كتاب

أصول الإيمان

في ضوء الكتاب والسنة

إعداد

نخبة من العلماء

مقدمة معالي الوزير الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـــيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـــيخ وزير الشـــؤون الإســـلامية والأوقاف والدعوة والإرشـــاد المشرف العام على المجمع.

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم { ãš$ 4<Ï ®<ó™ 7ŕ þJ3ütø$! þÍJöäàþ $øtì Zþ } [1] [النحل: ١٢٥]. والصلاة والســـلام علـــى أشرف الأنبياء والمرسلين، القـــائل: { بلغوا عني ولو آية } [2] [البخـــاري: ٣٤٦١].

أما بعد: فإنفاذاً لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبـــد العزيز آل سعود - حفظه الله- في إيصال الخير إلى عمـــوم المســـلمين في مشارق الأرض ومغاربها، بدءاً بالعناية بكتاب الله، والعمل على تيسير نشره، وترجمة معانيه، وتوزيعه بين المسلمين، والراغبين في دراسته من غـــيرهم، ثم نشر ما ينفع المسلمين في جميع شؤون حياتهم الدينية والدنيوية.

وإيمانًا من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ممثلـــة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، بأهمية الدعـــوة إلى الله تعالى على بصيرة فإنه يسرها أن تقدم كتاب:

((أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة))

وذلك لتبصير المسلمين في أمور العقيدة التي هي أساس الإيمان، لقولـــه صلى الله r { إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله } [3] [البخاري: ٥٢]، وستتبعه إن

---

(1) سورة النحل آية : ١٢٥ .

(2) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٧٤) ، الترمذي العلم (٢٦٦٩) ، أحمد (٢/١٥٩) ، الدارمي المقدمة (٥٤٢) .

(٣) البخاري الإيمان (٥٢) ، مسلم المساقاة (١٥٩٩) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٨٤) ، أحمد (٤/٢٧٠) ، الدارمي البيوع (٢٥٣١) .

شاء الله تعالى سلسلة من الكتب في الحديث، والفقه، والذكر والدعاء، والتي نرجو من الله العلي القدير أن ينفع بها عموم المسلمين.

وبهذه المناسبة يسرني أن أشكر الإخوة الذين قاموا بإعداد الكتاب (تأليفًا، ومراجعة، وصياغة) جهدهم المخلص، وللأمانة العامة للمجمع حسن اهتمامها ومتابعتها، وأدعو الله تعالى أن يحفظ هذه البلاد راعية للدين، وحامية للعقيدة الصحيحة في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني، حفظهم الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتمَّ علينا النعمة، وجعل أمَّتنا -أمَّة الإسلام- خيرَ أمَّة، وبعث فينا رسولًا منَّا يتلو علينا آياته ويزكينا، ويعلِّمنا الكتاب والحكمة، والصلاة والسلام على مَن أرسله الله للعالمين رحمة، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فإنَّ الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده، كما قال تعالى: { $Br z ÏŠ$Ar £ ÏÏ9 § Ry ÈbrߊçŽ Ï7÷èu‹Ï9 ÇÎÏÈ } (1) (الذاريات: ٥٦). ولذا كان التوحيد والعقيدة الصحيحة المأخوذةُ من منبعها الأصلي وموردها المبارك كتاب الله وسنة رسوله r هي الغاية لتحقيق تلك العبادة، فهي الأساس لعمارة هذا الكون، وبفقدها يكون فساده وخرابه واختلاله، كما قال الله تعالى: { öqs9 b%x. !$JÍÎŽ pÏJÎ#ä }

{ ª!$# ÿ9y ¡ ‰%?$ ù ÿÍyñ s» `¬ $# ‹ ' ÅÉ $# ë ä Ä $ ãÊ f Ã ã bq ÈÇË } (2) (الأنبياء: ٢٢)، وقال سبحانه: { $ ª! $# "Ï%©! $# t,n=y{ ™ ìö7y ;Nºuq»yJy™ z`ÏBur ÇÚö‘F{$# £`ßgn=÷WÏB ãA¨”t\tGtƒ âöDF{$# £`åks]÷t/ (#þqßJn=÷ètGÏ9 ¨br& ©!$# 4?ã » ä é « ä Ï ‰ % » ä é « r b $! Ï ` n ‰ È ÇÊËÈ } (3) (الطلاق: ١٢)، إلى غير ذلك من الآيات.

ولما كان غير ممكن للعقول أن تستقلَّ بمعرفة تفاصيل ذلك بعث الله رسلَه وأنزل كتبَه؛ لإيضاحه وبيانه وتفصيله للناس حتى يقوموا بعبادة الله على علم وبصيرة وأسسٍ واضحةٍ ودعائم قويمةٍ، فتتابع رسلُ الله على تبليغه، وتوالوا في بيانه كما قال سبحانه: { bÎ)r ô ÏiB >p¨Bé& žwÎ) Ÿx z $pkŽÏù ÖƒÉ‹tR ÇËÍÈ } (4) (فاطر: ٢٤)، وقال سبحانه: { ô‰s)s9ur $uZ÷Wyèt/ ’Îû Èe@ä. #Ž }

(1) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

(2) سورة الأنبياء آية : ٢٢ .

(3) سورة الطلاق آية : ١٢ .

(4) سورة فاطر آية : ٢٤ .

{ [1] (المؤمنون: ٤٤)، أي يتبع بعضُهم بعضًا إلى أن ختمهم بسيِّدهم وأفضلهم وإمامهم نبيِّنا محمد r فبَلّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده ودعا إلى الله ســرًّا وجهرًا، وقام بأعباء الرسالة أكملَ قيام، وأوذيَ في الله أشدَّ الأذى، فصــبر كما صبر أولو العزم من الرسل، و لم يزل داعيًا إلى الله هاديــًا إلى صراطــه المستقيم حتى أظهر الله به الدِّين، وأتم به النِّعمة، ودخل الناس بسبب دعوتــه في دين الله أفواجًا، و لم يَمُت r حتى أكمل الله به الدِّين وأتمَّ به النِّعمـــة، وأنـــزل في ذلك سبحانه قولـــه: { $YŠ N»=ðMø$Sa9 ãMŠÅ 'r ÓÉJèÏ Nà6ø‹æ ãMôÿàr Nä3Y/Š Nä3 9 ãMù=JØ& PöqK$# { [2] (المائدة: ٣).

فبيَّن صلوات الله وسلامه عليه الدين كلَّه أصوله وفروعه، كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله: " مُحال أن يُظنَّ بالنبي r أنه علَّم أمتــه الاستنجاء و لم يعلمهم التوحيد ".

وقد كان r داعيةً إلى توحيد الله وإخلاص الدِّين لله ونبذ الشرك كـــلِّه كبيرِه وصغيره شأن جميع المرسلين؛ إذ أنَّ الرسلَ كلَّهم متَّفقون على ذلـــك، متضافرون على الدعوة إليه، بل هو منطلقُ دعوتهم وزبدة رسالتهم وأســـاس بعثتهم، يقول الله تعالى: {

ª!$ “ %d ôB NG#Jù |Nqä«Ö9$#(qç7Gô_$# ©$#(r߉ç6ã$#Âc & wqߙ§ 7Bé @à2 'Î $Z#è/ ô‰s)9r

šú ü/Ê3B9$# pç7É)ã šc %. #ø. (rãÝR$# ÇÚ öF$'Î (rçÅù ä#»=Ò9$#ïøŠã ôM¤m ïÆ B NG#Br

ÇÌÏÈ { [3] (النحل: ٣٦)، وقال:

{ ÇÌÊÈ ÈbrߊçÎ7ã$$Sù O$Rr& wÎ) tm»s9Î) Iw ¼mR& Ïmøs9Î) ûÓÇqçR wÎ) @Aqߙ§ `B š• =6 `B $Zù=™ö‘& $Br { [4] (الأنبياء:

٢٥)، وقال تعالى: { br߉7èã ãg9#ä ÇÞ¨q$$È$Šr`B $Zùè_& $ZÎ$'• `B 7é6 `B $Yù=™ö‘& ôB @«ô‘r

(1) سورة المؤمنون آية : ٤٤ .

(2) سورة المائدة آية : ٣ .

(3) سورة النحل آية : ٣٦ .

(4) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

{ ÇÎÈ (الزخرف: ٤٥)[1]، وقال تعـــالى: } * íŽŸ Nä9 `Ë $!$Ëè $B ´ìer ¾ïnÎ]nq㍠%
ìŠÏ ‡(qèSÿG? Ÿwr ûïÏ$!$‡(qßŠÏ%& bŒ& öÍ¤ŠÅãr 4›qŠãr LìÏd°•ó¯ ÿïnÎ $Zbä r $Br 7ø‹Î &r⇒$Zbü Ÿ%$
{ (الشـــورى: ١٣)[2].

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة **t** عن رسول الله **r** أنه قال: { الأنبياء إخوة لعلَّات، أمَّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحد }[3] [4] فـــالدِّين واحـــدٌ، والعقيدة واحدةٌ، وإنَّما حصل التنوُّعُ بينهم في الشرائع، كما قـــال تعـــالى: } @ãï $Ÿtè_ ßaZ㍠ñäžÅ ‰[$gŸBr { (المائدة: ٤٨)[5].

ولذا ينبغي أن يكون متقرِّرا لدى كلِّ مسلم وواضحا لدى كلِّ مؤمـــن أنَّ العقيدة لا مجال فيها للرأي والأخذ والعطاء، وإنَّما الواجب علـــى كـــلِّ مسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرســـلين، وأن يؤمن بالأصول التي آمنوا بها ودعوا إليها دون تشـــكُّكٍ أو تـــردُّدٍ، } `B#ä $$ßIqÅ ÎJ$éRïA ìø‹Î `Ë ¾ïnÎS ‰$9@ø‹Bsä bqãZ @ä
`B#ä $¹«‹ ï3ï=Br ¾ïnF3ï¯Ççãr ¾ïnÎ$ßI#‹¾ Ÿw äÌhÿç ü/ šú %m& `Ë ¾ïnÎ$ßI#‹¾ r%$Ü qè‹(™Ü$Zèe$ r&ÛèeY
ÇÎÈ ŽçÅ J9$$šš• ø‹Î r $Y/‘ 7R#•ÿöã { (البقرة: ٢٨٥)[6].

فهذا شأنُ المؤمنين، وهذا سبيلهم: الإيمان والتسليم والإذعان والقبـــول، وعندما يكون المؤمن كذلك ترافقه السلامة، ويتحقق له الأمـــن والأمـــان، وتزكو نفسُه،

---

(1) سورة الزخرف آية : ٤٥ .
(2) سورة الشورى آية : ١٣ .
(3) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٥٩) ، مسلم الفضائل (٢٣٦٥) ، أبو داود السنة (٤٦٧٥) ، أحمد (٤٠٦/٢) .
(4) صحيح البخاري (٣٤٤٣) ، وصحيح مسلم (٢٣٦٥) .
(5) سورة المائدة آية : ٤٨ .
(6) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

ويطمئنُّ قلبُه، ويكون بعيدًا تمام البعد عمَّا يقع فيه ضُلَّال النـــاس بسبب عقائدهم الباطلة من تناقض واضطراب وشكوك وأوهام وحَيرة وتذبذب.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة وأسسها الســـليمة وقواعدهـــا المتينة هي - دون غيرها - التي تحقِّق للناس سعادتهم ورفعتهم وفلاحهم في الدنيـــا والآخرة؛ لوضوح معالمها، وصحَّة دلائلها، وســـلامة براهينـــها وحججـــها، ولموافقتها للفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، والقلوب السويَّة.

ولهذا فإنّ العالَمَ الإسلامي كلّه في أشدِّ الحاجة إلى معرفة هذه العقيدة الصافيـــة النقيَّة؛ إذ هي قطبُ سعادته الذي عليه تدور، ومستقر نجاته الذي عنه لا تحور.

وفي هذا المؤلّف الوجيز يجد المسلم أصولَ العقيدة الإسلامية وأهـــمَّ أسســـها وأبرزَ أصولها ومعالمها ممَّا لا غنى لمسلم عنه، ويجد ذلك كله مقرونا بدليله، مدعَّمًـــا بشواهده، فهو كتاب مشتمل على أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، وهي أصول عظيمة موروثة عن الرسل، ظاهرة غاية الظهور، يمكن لكل مميِّز من صغـــير وكبير أن يُدركها بأقصر زمان وأوجز مدَّة، والتوفيق بيد الله وحده. وبهذه المناسبة نتقدم بالشكر الجزيل للذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب وهم: الدكتور صالح بـــن سعد السحيمي، والدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، والدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي. كما نشـــكر اللذين قاما بمراجعته وصياغته وهما: الدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي، والدكتور أحمد بن عطية الغامدي.

وإنَّا لنرجوه سبحانه أن ينفع به عمومَ المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمـــد لله رب العالمين.

الأمانة العامة

لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

تمهيد

لا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكـــثرة عوائـــده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكـــاره والشـــرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: } ôB ®Ïä ¹ $[s{ `B E Ò2 r& ä\Rê qèdr Ö.Bsã 3ù ¼çZ•Í6 ô4km ßsÛ
Z9r ô‰ÏÿÍ Ô6 &Ü•ô Nèd•ô Ç¡ ôm'Î $B Ÿ2 $ß qè Jèf bqèd ÇÏÈ { [1] (النحل: ٩٧). وقال تعالى: }
ôBr &Š#‘ $ ïF Å•o r™ë4 ;$l $gšè™ $qèdr Ö.Bsã 7ÍÏr&ù b¼Ÿ2 ™èè OßŠè B 2&â#Yq
ÇÊÒÈ { [2] (الإسراء: ١٩).

وقـــال تعـــالى: } `Br ¾ÏÏ?ù $YBsã ô‰% @ÏJå $ysÎ=9 Á»Ms ÏM 7ÍÏr&ù ;Ïl $!$‘ _»M è$!$‘ 4?ãé
ÇÐÎÈ { [3] (طه: ٧٥). وقـــال تعـــالى: } bÎ) ûïÏ%©$ #qãZB#ä #qè=Ïår 9$ysÎ=» Ms .MR% ;Ïl
_»MZ è$!$‘ ©šÏ Ä Ã ©$# ’ Z»w ÇÐÉÈ z»Ïî $kŽÏù ‡ bqäó7t $kZã w#qmÏ ÇÊÉÑÈ { [4] (الكهف: ١٠٧، ١٠٨). والآيات في هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان يقوم على الأصـــول الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقـــدر خيره وشره، وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبويـــة في مواطن عديدة. منها:

---

(1) سورة النحل آية : ٩٧ .

(2) سورة الإسراء آية : ١٩ .

(3) سورة طه آية : ٧٥ .

(4) سورة الكهف آية : ١٠٧ ، ١٠٨ .

١ - قوله تعالى: ﴿ ‌4?ã A"R "‌‌‌‌¼©$É»FÅ‌ ¾ÎqR'r ‌«!$$/ ¾&qß™u‘ur É=»tGÅ3ø9$#ur ü‌Ï%©!$# tA¨“tR 4‌’n?tã ¾&Î!qß™u‘ É=»tGÅ6ø9$#ur ü‌Ï%©!$# tAt“Rr& `ÏB ã@ö6s% 4 `tBur öàÿõ3tƒ «!$$/ ¾ÏmÏFs3Í´¯»n=tBur ¾ÏmÎ7çFä.ur ¾&Î#ß™â‘ur ÏQöqu‹ø9$#ur ÌÅzFy$# ô‌‌‌s)s% ¨@|Ê Kx»n=|Ê #´‰‹Ïèt/ ÇÊÌÏÈ ﴾ (1) (النساء: ١٣٦).

٢ - وقوله تعالى: ﴿ ‌*§ øŠ©9 §ŽÉ9ø9$# br& (#q—9uqè? öNä3yd q_ãr Ÿ@t6Ï% É-ÎŽô³yJø9$# É>ÌøóyJø9$#ur £`Å3»s9ur §ŽÉ9ø9$# ô`tB z`tB#uä «!$$/ ÏQöqu‹ø9$#ur ÌÅzFy$# Ïpx6Í´¯»n=yJø9$#ur É=»tGÅ6ø9$#ur z`¿ÍhŠÎ;¨Z9$#ur ﴾ (2) (البقرة: ١٧٧).

٣ - وقوله تعالى: ﴿ ‌z`tB#uä ãAqß™§9$# !$yJÎ/ tAÌ“Ré& Ïmø‹s9Î) `ÏB ¾ÏmÎn/§‘ tbqãZÏB÷sßJø9$#ur 4 <@ä. z`tB#uä «!$$/ ¾ÏmÏFs3Í´¯»n=tBur ¾ÏmÎ7çFä.ur ¾&Î#ß™â‘ur Ÿw ä-ÌhxÿçR šú÷üt/ 7‰tnr& `ÏiB ¾&Î#ß™•‘ 4 (#qä9$s%ur $uZ÷èÏJy™ $oY÷èsÛr&ur (y7tR#tøÿäî $oY/u‘ y7ø‹s9Î)ur 玍ÅÁyJø9$# ÇËÑÎÈ ﴾ (3) (البقرة: ٢٨٥).

٤ - وقوله تعالى: ﴿ ‌$R¯Î) ¨@ä. >äóÓx« çm»oYø)n=yz 9‘y‰s)Î/ ÇÍÒÈ ﴾ (4) (القمر: ٤٩).

٥ - وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطـــاب المشهور بحديث جبريل ﴿ أن جبريل سأل النبي r فقال: أخبرني عن الإيمان، قـــال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خـــيره وشره ﴾ (5) (6) .

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمـــان لأحـــد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عـــن بعـــض، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

---

(1) سورة النساء آية : ١٣٦ .

(2) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(3) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(4) سورة القمر آية : ٤٩ .

(5) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (١/٢٧) .

(6) صحيح مسلم برقم (١) .

ولذا كان متأكدا في حق كل مسلم أن تعظم عنايته واهتمامه بهذه الأصول علما وتعلما وتحقيقا.

وفيما يلي بيان ما يتعلق بالأصل الأول من هذه الأصول وهو الإيمان بالله.

الباب الأول: الإيمان بالله

إن الإيمان بالله U هو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأنا، وأعلاها قدرا، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقية الأصول متفرعة منه، راجعة إليه، مبنية عليه. والإيمان بالله عز وجل هو الإيمان بوحدانيته سبحانه في ربوبية، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنما سمي توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ندَّ له.

وبهذا يعلم أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية ، وهو الإقرار بأنَّ الله تعالى رب كلّ شيء ومليكُه وخالقُه ورازقُه، وأنه المحيي المميتُ النافعُ الضار، المتفرِّدُ بالإجابة عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجع الأمرُ كله، لا شريك له في ذلك.

القسم الثاني: توحيد الألوهية ، وهو إفراد الله وحده بالذلِّ والخضوع والمحبَّة والخشوع والركوع والسجود والذبح والنذر، وسائر أنواع العبادة لا شريك له.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات ، وهو إفراد الله تعالى. بما سمى ووصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه r وتنزيهه عن النقائص والعيوب ومماثلة الخلق فيما هو من خصائصه والإقرار بأنَّ الله بكلِّ شيء عليم، وعلى كلِّ شيء قدير، وأنَّه الحيُّ القيُّوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، وأنَّه سميع بصير، رؤوف رحيم، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنَّه المَلِك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبَّار المتكبِّر، سبحان الله عمَّا يشركون، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة دلائلُ كثيرة من الكتاب والسنة.

فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد قد أخذها أهل العلم بالاستقراء والتتبع لنصوص الكتاب والسنة، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، أفاد هذه الحقيقة الشرعية، وهي أنّ التوحيد المطلوب من العباد هو الإيمان بوحدانية الله في ربوبيته وألوهيَّته وأسمائه وصفاته، فمَن لم يأت بهذا جميعه فليس بمؤمن، وفيما يلي فصول ثلاثة في كل فصل منها بيان لقسم من هذه الأقسام:

الفصل الأول: توحيد الربوبية

المبحث الأول: معناه وأدلته من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

أولا: تعريفه:

أ- **لغة** : الربوبية مصدر من الفعل ربب، ومنه الربُّ، فالربوبية صفـــة الله، وهي مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد المطاع، والـــمُصْلِح.

ب- **أما في الاصطلاح** : فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله.

ومنها الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكـــم، والقضاء والقدر، وغـــير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله.

ثانيا: أدلته :

أ- **من الكتاب** : قوله تعـــالى: } ÇÚ öÑF{$# ’Îû 4+›$r $kX¬•? %Hå Îöó͏ ÏN°q»J¡¡9$# ,=z
8 ¨ ê à2 `Ï B $kŽÏù $YG¯;R'ù [$B ä$J¡¡9$# `Ï B $Z©ør&r 7/#Š ê ä `Ï B $kŽÏù £] /r Ndã͏ ‰‹Ü? b& ÓÅ°r‘
&ü͏B @»=Ê ’Î bq߉Ϊà9$# ê/ ¾ïHrß `Ï B ûïÏ%©!$# ,=z{ #ŒE$B † Îrâ'ù «!$# ß,ù=z #‹»d ÇËÈ Ÿ≅ƒ/.
{ ÇËÈ [1] (لقمان: ١٠، ١١). وقولـــه تعالى: } ®Ñ ¨ ä‹ô« Îöî ôÏB (#qà)Î=äz ¨
{ ÇÌÎÈ šc qà)ÏΩ »,9$# [2] (الطور: ٣٥)

ب- **من السنة** : ما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبـــد الله بن الشخير **t** مرفوعا وفيه: (السيد الله تبارك وتعالى..). وقد ثبت في الترمـــذي وغيره أن النبي **r** قال في وصيته لابن عباس رضي الله عنـــهما:... } واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعـــوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن

---

(1) سورة لقمان آية : ١٠ ، ١١ .

(2) سورة الطور آية : ٣٥ .

يضروك بشيء لم يضـــروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف { .[1] [2]

ج- **دلالة العقل** : دل العقل على وجود الله تعالى وانفراده بالربوبيـــة وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكر في آيات الله الدالة عليه. وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طـــرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقان:

الطريق الأول : النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو مـــا يعرف بـــ (دلالة الأنفس)، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قـــال تعـــالى: } ÇËÈ brçÅÇ7ç Xùu& öäÅãR& þîr { [3] (الذاريات: ٢١)، وقال تعالى: } ÇÐÈ $g1§™ $Br <§øÿRr { [4] (الشمس: ٧)، ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجـــائب صنـــع الله لأرشده ذلك إلى أن له ربا خالقا حكيما خبيرا؛ إذ لا يستطيع الإنســـان أن يخلق النطفة التي كان منها ؟ أو أن يحولها إلى علقـــة، أو يحـــول العلقـــة إلى مضغة، أو يحول المضغة عظاما، أو يكسو العظام لحما ؟

الطريق الثاني : النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما يعـــرف بـــ (دلالة الآفاق)، وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالـــة علـــى ربوبيته، قال الله تعالى:

} Ìé@ä 4?ã ¼çR& 7hÎ É3õ3ƒ Ns9r& 3 ‘,ptø:$# çR& Ng9 ûü7Kƒ 4Ó®m NÍÅ ãR& þîr É$ùFy$# ’Î $ZÏ»ƒ#ä óOgƒÎãZ™ } ÇÎÌÈ ‰‹Î - äóÓ« { [5] (فصلت: ٥٣).

---

(1) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، أحمد (٢٩٣/١) .

(2) سنن الترمذي (٢٥١٦) ، ومسند أحمد (١ / ٣٠٧) ، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه ، وصححه الحاكم .

(3) سورة الذاريات آية : ٢١ .

(4) سورة الشمس آية : ٧ .

(5) سورة فصلت آية : ٥٣ .

ومن تأمل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأنهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسيير هذا الكون كله بهذا النظام الدقيق؛ دله ذلك على أن هناك خالقا لهذا الكون، موجدًا له مدبِّرًا لشؤونه، وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع الكائنات علم أنها خُلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به الله عن نفسه وأدلة على وحدانيته.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوما أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم رحمه الله: " أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد ؟ ".

فقالوا: " هذا محال لا يمكن أبدا. فقال لهم: إذا كان هذا محالا في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله ؟ ".

فنبه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل على وحدانية خالقه وتفرده.

المبحث الثاني: بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب.

إن توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة كما تقدم؛ ولذا فإنـــه لا يصح إيمان أحد ولا يتحقق توحيده إلا إذا وحد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام، ولا ينجـــي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه توحيد الألوهية.

ولذا يقول الله تعالى: { ÇÏÈ bqãÎô B Nèr ãv) « $ Nèčÿò2 & ßÈsšã$Br } [1] (يوسف: ١٠٦)، والمعنى أي: ما يقر أكثرهم بالله ربا وخالقا ورازقا ومدبــرا- وكل ذلك من توحيد الربوبية - إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره مـــن الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع.

وبهذا المعنى للآية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " من إيمانهم إذا قيل لهـــم مـــن خلـــق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا: الله وهم مشركون ".

وقال عِكْرِمَة: " تسألهم من خلقهم ومن خلـــق السماوات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره ".

وقال مجاهد: " إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شـــرك عبادتهم غيره ".

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: " ليس أحد يعبد مـــع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربُّه، وأنَّ الله خالقُه ورازقُه، وهـــو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: { A$% Ùà•ä OÈz ä $B OÈ?ç%ß br ÇÎÈ OÈR/#ä r $Nà2 $Bà‰ bqB ÇÏÈ ùäÎfù Nâ%ã A } ÙÎ ‘ >$è» = ÙûüÏ ÇÐÐÈ } [2] (الشـــعراء: ٧٥- ٧٧) " [1] .

---

(1) سورة يوسف آية : ١٠٦ .

(2) سورة الشعراء آية : ٧٥ ، ٧٧ .

والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل لقد كـــان المشـــركون زمن النبي **r** مقرين بالله ربا خالقا رازقا مدبرا، وكان شركهم به من جهـــة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعونهم ويستغيثون بهم ويترلون بهم حاجاتهم وطلباتهم.

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه علـــى إقـــرار المشـــركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: { ûÈr ™ø ÎF6N ôB {=, $9 ¡¡J»q°NÏ $ÏÅö Ú r™ ¤q•$9 ±ð§ 6$J)• 9‹å)q£$! ª ù`Tª4 ã$ùå2qb ÈÍÇ } (2) (العنكبوت: ٦١)، وقوله تعالى: { ûÍ!r ™ø ÎF6O B` ÅR"A B ÆŠ$9 ¡¡J$ã B$ Ïp'ù $Šô ÏmÎ$ Ïö Ú B. /èè‰ Bq÷?gB$ 9‹å)q£$! ª ó`è@ è$Ï6 ô)s ò%ð +Ī@/ &ò2Ýèèöd Ÿw ƒèø)Ïè=èbq ÇÏÌÈ } (3) (العنكبوت: ٦٣)، وقوله تعالى: { ûÈr ™ø ÎF6N ôB z=)6N 9‹å)q£$! ª ù`Tª4 ã$ùå2qb ÇÑÐÈ } (4) (الزخرف: ٨٧)، وقوله تعالى: { @è 9Jn`È $ÏÚö Ú ` Br B`ù $gŠÏi bÎ2à ò?Fè ?è=nJßqb šc ÇÑÍÈ ™u‹)qäq9=Ü ! @è ùsŠ« ›?x.©r ‘b ÇÑÎÈ @è B` ‘§> $9¡¡J»q°NÏ $9¡6ìÆ ‘r>> $9èyöÉ $9èàÏO ÇÑÐÈ ™u‹)qäq9=Ü ! @è ùsŠ« ?G)Gàq b ÇÑÑÈ @è B`. /ŠÏ‰Ík¾ 6=nB àq3à . à@e «ä`ó ¨hèqu ƒèfÅ`× Ÿwr ƒäfp$ ã=ù‹mÏ bÎ2à ò?Fè ?è=nJßqb šc ÇÑÑÈ ™u‹)qäq9=Ü ! @è ùs'Tª4 ?èó¡ysãrb šc ÇÑÒÈ } (5) (المؤمنون: ٨٤- ٨٩).

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تترل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك مـــن خصـــائص الـــرب سبحانه، ويقرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع ولا تبصر، ويقرون أن الله هو المتفرد

(1) انظر: تفسير ابن جرير (٧ / ٣١٢- ٣١٣).

(2) سورة العنكبوت آية: ٦١.

(3) سورة العنكبوت آية: ٦٣.

(4) سورة الزخرف آية: ٨٧.

(5) سورة المؤمنون آية: ٨٤ - ٨٩.

بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب ومـــا عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهـــم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفى؛ ولذا قال الله تعالى: } šú ïï%©$# #"ä «!$ ’<Î) !$Rqç/Ìhs)ã‹Ï9 žwÎ) öNèdß‰ç7÷ètR $B uä!$uŠÏ9÷rr& ÿ¾ÏmÏRrß `ÏB (#rä‹sƒªB$# { [1] (الزمـــر: ٣)، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلـــهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلـــود فيها واستباح رسوله r دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققـــوا لازم توحيـــد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

وبهذا يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفـــراد الله وحـــده بالعبادة. فإذا لم يأت بذلك فهو كافر حلال الدم والمال.

(1) سورة الزمر آية : ٣ .

المبحث الثالث: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجبولــة عليــه النفوس، متكاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنــده انحراف فيه، ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:

١ - جحد ربوبية الله أصلًا وإنكار وجوده سبحانه، كما يعتقد ذلــك الملاحدة الذين يسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهار، أو نحو ذلك { ãd$!$Zv) $Z3ïç $Br $<tUr ßlqß R $<R%9$$Z3$Šm žv) ‘ Ïd $B (q9$%r } [1] (الجاثية: ٢٤).

٢- جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنكار بعض معاني ربوبيتــه، كمن ينفي قدرة الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع لــه أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.

٣- إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه، فمن اعتقــد وجود متصرف مع الله U في أي شيء من تدبير الكون من إيجــاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفــع شر أو غير ذلك مــن معاني الربوبية فهو مشرك بالله العظيم.

---

(1) سورة الجاثية آية : ٢٤ .

الفصل الثاني: توحيد الألوهية

الألوهية مشتقة من اسم الإله، أي المعبود المطاع، فالإله اسم من أسمــاء الله الحسنى، والألوهية صفة من صفات الله العظيمة، فهو ســبحانه المــألوه المعبود الذي يجب أن تألهه القلوب وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه ســبحانه الرب العظيم، الخالق لهذا الكون، المدبر لشؤونه، الموصوف بكل كمــال، المنــزه عن كل نقص، ولهذا فإن الذل والخضوع لا ينبغي إلا له، فحيــث كان متفردا بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحــد وجــب أن ينفرد وحده بالعبادة دون سواه لا يشرك معه في عبادته أحد.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة، وذلك بأن يعلم العبدُ علمَ اليقِين أن الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة، وأن صفــات الألوهيــة ومعانيها ليست موجودة في أحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعــالى، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقا أفرد الله بالعبــادة كلــها الظــاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحــج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبرِّ الوالدين وصلة الأرحــام، ويقــوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقــدر خيره وشره، لا يقصد بشيء من ذلك غرضا من الأغراض غير رضا ربــه وطلب ثوابه.

وفي هذا الفصل سيتم تناول جملةٍ من المباحث المهمة المتعلقة بهذا النــوع من التوحيد.

المبحث الأول: أدلته، وبيان أهميته

المطلب الأول: أدلّته.

لقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة علـــى وجـــوب إفـــراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها على ذلك:

١ - تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿ $pkš‰r'¯»tƒ ¨$¨Z9$# (#r߉ç6ôã$# ãNä3/u‘ "Ï%©!$# öNä3s)n=s{ tûïÏ%©!$#ur `ÏB öNä3Î=ö6s% öNä3ª=yès9 šcqà)Gs? ÇËÊÈ ﴾ [1] (البقـــرة: ٢١)، وقولـــه: ﴿ * (#r߉ç6ôã$#ur ©!$# Ÿwur (#qä.Ύô³è@ ¾ÏmÎ/ $\«ø‹x© ﴾ [2] (النساء: ٣٦)، وقوله: ﴿ * 4Ó|Ós%ur y7•/u‘ žwr& (#ÿrß‰ç7÷ès? HwÎ) çn$ƒÎ) ﴾ [3] (الإسراء: ٢٣)، ونحوها من الآيات.

٢ - وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال تعالى: ﴿ $tBur àMø)n=yz £`Éfø9$# }§RM}$#ur žwÎ) Èbrß‰ç7÷èu‹Ï9 ÇÎÏÈ ﴾ [4] (الذاريات: ٥٦).

٣ - وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كمـــا في قولـــه تعـــالى: ﴿ ô‰s)s9ur $uZ÷Wyèt/ †Îû Èe@ä. 7p¨Bé& »wqß™§‘ Âcr& (#r߉ç6ôã$# ©!$# (#qç7Ï^tGô_$#ur |Nqäó»©Ü9$# ﴾ [5] (النحـــل: ٣٦)، وقوله: ﴿ !$tBur $uZù=y™ö‘r& `ÏB y7Î=ö6s% `ÏB @Aqß™§‘ žwÎ) ûÓÇqçR Ïmø‹s9Î) ¼çm¯Rr& Iw tm»s9Î) HwÎ) O$tRr& Èbrß‰ç6ôã$$sù ÇËÎÈ ﴾ [6] (الأنبياء: ٢٥).

---

(1) سورة البقرة آية : ٢١ .
(2) سورة النساء آية : ٣٦ .
(3) سورة الإسراء آية : ٢٣ .
(4) سورة الذاريات آية : ٥٦ .
(5) سورة النحل آية : ٣٦ .
(6) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

٤ - وتارة ببيان أنه المقصود من إنـــزال الكتب الإلـــهية، كمـــا في قوله تعالى: }
Ëqã?$Ü Ï®Ö Ÿwr ÆÉ9Î) ãw ¼çR¯r& (#þqãKÏR¯r& br& ÿ¾ÍnÏŠ$t6Ïã ô`ÏB âä!$t±o„ `tB 4’n?tã ¾ÍnÌøBr& ô`ÏB Çyr”9$$Î/ sps3Í´¯»n=yJø9$# ãA̍”t\ãƒ
ÇËÈ { (1) (النحل: ٢).

٥ - وتـــارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أجور عظيمـــة ونعم كريمة في الدنيـــا والآخرة، كما قال الله تعـــالى: { tûïÏ%©!$# (#qãZtB#uä óOs9ur (#þqÝ¡Î6ù=tƒ OßguZ»yJƒÎ) AOù=ÝàÎ/ y7Í´¯»s9'ré&
ÇÑËÈ bqè?yÎgB Nèdur ß`øBF{$# ãNßgs9 { (2) (الأنعام: ٨٢).

٦ - وتارة بالتحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعـــد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تعالى: } ¼çm¯RÎ) `tB õ8Ύô³ç «!$$Î/ ô‰s)sù tP§ym ª!$# Ïmø‹n=tã sp¨Ypgø:$# çm1urù'tBur
$tBur šúüÏJÎ=»©à=Ï9 ô`ÏB 9$|Á=Rr& ÇÐËÈ { (3) (المائدة: ٧٢)، وقوله تعالى: } Ÿwr ö@yèøgrB yìtB «!$#
$·g»s9Î) tyz#uä 4’s+ù=çGsù ’Îû zN¨Yygy_ $YBqè=tB #·‘qãmô‰¨B ÇÌÒÈ { (4) (الإسراء: ٣٩).

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليـــه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

١ - ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل t قال: قال النبي r { يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال: الله ورسوله أعلم. قـــال: أن يعبدوه ولا

---

(1) سورة النحل آية : ٢ .

(2) سورة الأنعام آية : ٨٢ .

(3) سورة المائدة آية : ٧٢ .

(4) سورة الإسراء آية : ٣٩ .

يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه ؟ قال: الله ورســـوله أعلم. قال: أن لا يعذبهم } [(1)] [(2)] .

٢ - وعن ابن عباس t قال: لما بعث النبي r معاذا نحو اليمن قال لـــه: { إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكـــن أول مـــا تدعوهـــم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فـــرض عليـــهم خمـــس صلوات } [(3)] ....، الحديث، رواه البخاري [(4)].

٣ - وعن ابن مسعود t أن رســـول الله r قـــال: { مـــن مـــات وهـــو يـــدعو من دون الله نـــدًّا دخل النار } [(5)] ، رواه البخاري [(6)] .

٤ - وعن جابر بن عبد الله t أن رسول الله r قال: { من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شـــيئا دخـــل النـــار } [(7)] ، رواه مسلم [(8)] .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

المطلب الثاني بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل

(1) البخاري التوحيد (٦٩٣٨) ، مسلم الإيمان (٣٠) ، الترمذي الإيمان (٢٦٤٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٩٦) ، أحمد (٥/٢٣٠) .

(2) صحيح البخاري (٧٣٧٣) .

(3) البخاري المغازي (٤٠٩٠) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (١/٢٣٣) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

(4) صحيح البخاري (٧٣٧٢) .

(5) البخاري تفسير القرآن (٤٢٢٧) ، مسلم الإيمان (٩٢) ، أحمد (١/٤٤٣) .

(6) صحيح البخاري (٤٤٩٧) .

(7) البخاري العلم (١٢٩) ، مسلم الإيمان (٣٢) ، أحمد (٣/٢٤٤) .

(8) صحيح مسلم (٩٣) .

المطلب الثاني: بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل.

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملـــها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقـــده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعـــوة الرســـل وغايـــة رسالتهم وأساس دعوتهم، يقول الله تبارك وتعالى: { ôs)s9ur $uZ÷Wyèt/ ’Îû Èe@ä. 7p¨Bé& »wqß™§‘ Âcr& (#rß‰ç6ôã$# ©!$# (#qç7Ï^tGô_$#ur |Nqäó»©Ü9$# } [1] (النحـــل: ٣٦)، وقـــال: { !$tBur $uZù=y™ö‘r& `ÏB y7Î=ö6s% `ÏB @Aqß™§‘ žwÎ) ûÓÇqçR Ïmø‹s9Î) ¼çm¯Rr& Iw tm»s9Î) HwÎ) O$tRr& Èbrß‰ç7ôã$$sù } [2] (الأنبياء: ٢٥).

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة أن توحيد الألوهية هو مفتـــاح دعوة الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له، قال الله تعالى: { ô‰s)s9 $uZù=y™ö‘r& %·nqçR 4’n<Î) ¾ÏmÏBöqs% tA$s)sù ÉQöqs)»tƒ (#rß‰ç6ôã$# ©!$# $tB /ä3s9 ô`ÏiB >m»s9Î) ÿ¼çnçŽöxî } [3] (الأعراف: ٦٥)، وقال تعـــالى: { 4’n<Î)ur >Š%tæ öNèd%s{r& #YŠqèd 4 tA$s% ÉQöqs)»tƒ (#rß‰ç6ôã$# ©!$# $tB /ä3s9 ô`ÏiB >m»s9Î) ¼çnçŽöxî } [4] (الأعـــراف: ٧٣)، وقال تعالى: { 4’n<Î)ur yŠqßJrO öNèd%s{r& $[sÎ=»|¹ 4 tA$s% ÉQöqs)»tƒ (#rß‰ç6ôã$# ©!$# $tB Nà6s9 ô`ÏiB >m»s9Î) ¼çnçŽöxî } [5] (الأعراف: ٨٥).

المطلب الثالث: بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

تقدم أن توحيد العبادة هو مفتتح دعوات الرسل جميعهم، فمـــا مـــن رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء

(1) سورة النحل آية : ٣٦ .
(2) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .
(3) سورة الأعراف آية : ٦٥ .
(4) سورة الأعراف آية : ٧٣ .
(5) سورة الأعراف آية : ٨٥ .

وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعونهم إلى توحيـــد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام يصرون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

قال الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: } (#qä9$s%ur Ÿw ¨bâ‘x‹s? ö/ä3tGyg÷9#uä Ÿw ¨bâ‘x‹s?ur #tŠur Ÿwur %Yæ#uqß™ Ÿwur šVqäótƒ s-qãètƒur #ZŽô£nS ÇËÌÈ ô‰s%ur (#q=|Êr& #ZŽÏVx. (Ÿwur ÏŠÌ“s? šúüÏHÍ>»©à9$# žwÎ) Wx»n=|Ê ÇËÍÈ { [1] (نوح: ٢٣-٢٤)، وقال عن قوم هود عليه الســـلام: } (#þqä9$s% $uZoKø¤Å_r& $tRsŒÅÍtGÏ9 ô`tã $oYÏGygÏ9#uä $oYÏ?ù'sù $yJÎ/ !$tR߉Ïès? bÎ) |MYä. z`ÏB šúüÏ%ω»¢Á9$# ÇËËÈ { [2] (الأحقاف: ٢٢)، } (#qä9$s% ߊqßg»tƒ $tB $oYoKø¤Å_ 7poYÉi t/ $tBur ß`øtwU þ’Å1Í‘$tFÎ/ $oYÏFygÏ9#uä `tã š Ï9öqs% $tBur ß`øtwU y7s9 šúüÏYÏB÷sßJÎ/ ÇÎÌÈ { [3] (هود: ٥٣).

وقال عن قوم صالح عليه السلام: } (#qä9$s% ßxÎ=»|Á»tƒ ô‰s% |MYä. $uZŠÏù #vqã_ötB Ÿ@ö6s% !#x‹»yd (!$uZ8pk÷]s?r& br& y‰ç7÷è¯R $tB ߉ç6÷ètƒ $tRät!$t/#uä $oR¨)Î)ur ’Å"s9 7e7x© $£JÏiB !$tRqããô‰s? Ïmø‹s9Î) 5=ƒÌãB ÇÏËÈ { [4] (هود: ٦٢).

وقال عن قوم شعيب عليه السلام: } (#qä9$s% Ü=øŠyèà±»tƒ y7è?4qn=|¹r& š‚ãßDù's? br& x8çŽtI¯R $tB ߉ç7÷ètƒ !$tRät!$t/#uä ÷rr& br& Ÿ@yèø¯R þ’Îû $uZÏ9ºuqøBr& $tB (#às¯»t±nS (y7¨RÎ) |MRV{ ãLìÎ=ptø:$# ߉ŠÏ©§9$# ÇÑÐÈ { [5] (هود: ٨٧).

وقال عن كفـــار قريـــش: } (#þqè=Ågr&r& spygÏ9Fy$# $Yg»s9Î) #´‰Ïnºur (¨bÎ) #x‹»yd íäóÓy´s9 Ò>$yfãã ÇÎÈ t,n=sÜR$#ur _|yJø9$# öNåk÷]ÏB Èbr& (#qà±øB$# (#r玣É9ô¹$#ur #’n?tã ö/ä3ÏFygÏ9#uä (¨bÎ) #x‹»yd Öäó_t±s9 ߊ#tãƒ ÇÏÈ .

---

(1) سورة نوح آية : ٢٣ ، ٢٤ .
(2) سورة الأحقاف آية : ٢٢ .
(3) سورة هود آية : ٥٣ .
(4) سورة هود آية : ٦٢ .
(5) سورة هود آية : ٨٧ .

žw) ‡‹»d b) ó•Å ÿ$Ï@Î9$ ’Î ‡‹»kÏ $Zèÿœ $B ÇÎÈ Š#•ã öб´ 9 ‡‹»d b) ‡áaGg9#ä #?ã ‡rž5Ò $ { ÇÐÈ î, »=‹z $ (1) (ص: ٤-٧).

وقـــال: } Š$Y2 b) ÇÍÈ wqß‘ ª! $] è/ “ ‰©$#‹»d& #rãèd žw) 7Rrä Ï, 6ƒ b) 8‹#‘ #Œ)r ‍@ Ê& ôB >#‹è#$b‹•ƒ šú üÏn bqß=ô|ƒ | ’ ô™r $gŠæ $Rž9 ¹ c & lwqø $ZÏg9#ä ôã $Y•Ô ã ÑèŽYò2 & b& Ü | ¡ tB ‹& ÇÎÈ ¸x‹Å2 r Ïnøã ã qã? |MR'ù& çl1qd ¼çg»9) ‹ƒB$Ç B |M‹ä‘& ÇÎÈ ¸x‹ô™ @ Ê& Ñèd @/ Ä»èR{$ žw) Ñèd b) šc qè=É‹ƒ ‹& šc qãJó„ { (2) (الفرقان: ٤١-٤٤).

فهذه النصوص وما جاء في معناها تدل أوضح دلالـــة أن المعـــترك والخصومة بين الأنبياء وأقوامهم إنما كان حول توحيد العبادة والدعـــوة إلى إخلاص الدين لله.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي r قال: } أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيمـــوا الصـــلاة ويؤتـــوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحـــق الإســـلام وحسابهم على الله { (3) (4).

وثبت في الصحيح أيضا عن النبي r قال: } من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله { (5) (6).

---

(1) سورة ص آية : ٤ - ٧ .
(2) سورة الفرقان آية : ٤١ - ٤٤ .
(3) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .
(4) صحيح البخاري برقم (٥٢) ، وصحيح مسلم برقم (٢٢) .
(5) مسلم الإيمان (٢٣) ، أحمد (٦/٣٩٤) .
(6) صحيح مسلم برقم (٢٣) .

المبحث الثاني: وجوب إفراد الله بالعبادة، وتحته مطالب

المطلب الأول: معنى العبادة والأصول التي تُبنى عليها.

العبادة في اللغة: الذل والخضوع، يقال: بعير معبد، أي: مذلل، وطريــق معبد: إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام.

وشرعا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمــال الظاهرة والباطنة.

وسيأتي ما يوضح ذلك عند ذكر بعض أنواع العبادة.

وهي تبنى على ثلاثة أركان:

الأول: كمال الحب للمعبود سبحانه، كما قال تعالى: { ûïÏ%©!$# (#þqãZB#ä ‰©x© ${ãn ?! } [1] (البقرة: ١٦٥).

الثاني: كمال الرجاء، كما قال تعالى: { tbqã_ötƒur ¼çmtGJôm‘ } [2] (الإسراء: ٥٧).

الثالث: كمال الخوف من الله سبحانه، كما قــال تعــالى: { tbqèù$sƒs†ur ÿ¼çmt/#x‹tã } [3] (الإسراء: ٥٧).

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة الكتــاب في قوله سبحانه: { ߉ôJptø:$# ¬! Å_Uu‘ tûüÏJn=»yèø9$# } [4] { Ç`»uH÷q§9$# ÉOŠÏm§9$# } [5] { Å7Î=»tB } { ÏQöqtƒ ÈûïÏe$!$# } [6]، فالآية الأولى فيها المحبة؛ فإن الله منعم، والمنعم يُحبُّ علــى

(1) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

(2) سورة الإسراء آية : ٥٧ .

(3) سورة الإسراء آية : ٥٧ .

(4) سورة الفاتحة آية : ٢ .

(5) سورة الفاتحة آية : ٣ .

(6) سورة الفاتحة آية : ٤ .

قـــدر إنعامه، والآية الثانية فيها الرجاء، فالمتصف بالرحمة ترجى رحمتـــه، والآية الثالثة فيها الخوف، فمالك الجزاء والحساب يخاف عذابه.

ولهذا قال تعالى عقب ذلك: { $ƒÎ) x8$ƒÎ) ‰ç7÷ètR } (1) ، أي: أعبدك يا رب هـــذه الثلاث: بمحبتك التي دل عليها: { ߉ôJptø:$# ¬! Å_Uu' šúüÏHs>»yèø9$# } (2) ، ورجائك الـــذي دل عليه: { Ç`»uH÷q§9$# ÉOŠÏm§9$# } (3) ، وخوفـــك الـــذي دل عليـــه: { Å7Î=»tB ÏQöqtƒ ÉúïÏe$!$# } (4) .

والعبادة لا تقبل إلا بشرطين:

١ - **الإخلاص فيها للمعبود** ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخـــالص لوجهه سبحانه، قال تعالى: { !$tBur (#ÿrâÉDé& žwÎ) (#rß‰ç6÷èu‹Ï9 ©!$# tûüÅÁÎ=øƒèC çms9 tûïÏe$!$# } (5) (البينة: ٥)، وقَال تعالى: { Ÿwr& ¬! ßûïÏe$!$# ßÈÏ9$sƒø:$# } (6) (الزمر: ٣)، وقال تعـــالى: { È@è% ©!$# ߉ç7ôãr& $TÁÎ=øƒèC ¼ã&©! ÓÍ_ƒÏŠ } (7) (الزمر: ١٤).

٢ - **المتابعة للرسول** صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول **r** قال الله تعالى: { ö@è% bÎ) óOçFZä. tbq™7ÏtéB ©!$# ÏRqãèÎ7¨?$$sù }

---

(1) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(2) سورة الفاتحة آية : ٢ .

(3) سورة الفاتحة آية : ٣ .

(4) سورة الفاتحة آية : ٤ .

(5) سورة البينة آية : ٥ .

(6) سورة الزمر آية : ٣ .

(7) سورة الزمر آية : ١٤ .

{ •f© $JŠÏi 8qßÅs ã 4Ïm šc qãBsã Ÿw 7În r Ÿxù } وقَال تعالى: (الحشر: ٧)، [1] {

{ ÇÏÎÈ $VJŠÎó Ø (#qßJÏk¡ q M |ÒŠ% $£JÏB %[•m öNÍkŦàÿRr& þ Î (#r߉Åg† Ÿw §NèO ¢Yr/ } [2] (النساء: ٦٥).

وقوله **r** { من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فـــهو رد } [3] [4] (أي مردود عليه).

فلا عبرة بالعمل ما لم يكـــن خالصا لله صوابا على سنة رســـول الله **r** قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعـــالى: { WxJã ß |¡ ômr& öNä3 r& öNà2 uqè=ö7uÏ9 } [5] (هود: ٧، الملك: ٢): " أخلصه وأصوبه "، قيل: يا أبا علي، وما أخلصـــه وأصوبه ؟ قال: " إن العمل إذا كان خالصا و لم يكن صوابا لم يقبـــل، وإذا كان صوابا و لم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص مـــا كان لله، والصواب ما كان على السنة " [6].

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف: { `yJsù tb%x. (#qã_ötƒ uä!$s)Ï9 ¾ÏmÎn/u‘ ö@yJ÷èu‹ù=sù WxyJtã $[sÎ=»|¹ Ÿwur ñ8Î ô³ç„ ÏoŠ$t7ÏèÎ/ ÿ¾ÏmÎn/u‘ #J‰tnr& ÇÊÊÉÈ } [7] (الكهف: ١١٠).

---

(1) سورة الحشر آية : ٧ .

(2) سورة النساء آية : ٦٥ .

(3) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٧٠) .

(4) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧) .

(5) سورة هود آية : ٧ .

(6) حلية الأولياء : (٨ / ٩٥) .

(7) سورة الكهف آية : ١١٠ .

المطلب الثاني: ذكر بعض أنواع العبادة.

العبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه قولي أو فعلـــي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفرد من أفرادها، وفيما يلي ذكر بعـــض الأمثلة على ذلك:

١ - فمن أنواع العبادة: الدعاء، بنوعيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

قـــال الله تعـــالى: { ûïÏ$!$ ©9 šú üÅÁÎ÷ è ©$ #qãšÜ$ } [1] (غافر: ١٤)، وقال تعالى: { ÇÌÑÈ #Y‰n& «!$ ìB #qãã‰? Ÿxù ¬! ‰É»|¡ J9$ b&r } [2] (الجن: ١٨)، وقال تعـــالى: { ôÓgÏ!æß `ã Nèdr ÏpJ»ŠÉ)9$ Qöqƒ 4<Î) ÿ¼ã ß=‹ÉGó„ žw `B «!$ Èbrß `B #qãã‰ƒ `£JÏB @|Ê&ôBr } [3] (الأحقاف: ÇÏÈ ûïÌÏÿ». NÍkÌŠ$7ÏèÎ/ #qçR%.r [ä!%ã&r NçGs; #qçR%. â¨$Z9$ ŽÅ³ãm #Œ)Îr ÇÎÈ bqè#Ïÿ»î ٥ - ٦).

فمن دعا غير الله **U** بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كـــافر ســـواء كان المدعو حيا أو ميتا، ومن دعا حيا. بما يقدر عليه مثل أن يقـــول: يا فلان أطعمني، أو يا فلان اسقني، ونحو ذلك فلا شيء عليه، ومن دعا ميتا أو غائبا. بمثل هذا فإنه مشرك؛ لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم. بمثل هذا.

والدعاء نوعان: دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة، هو سؤال الله من خيري الدنيا والآخرة، ودعاء العبـــادة يدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله طالب بلسان مقالـــه ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعـــاء غـــير الله والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة.

---

(1) سورة غافر آية : ١٤ .

(2) سورة الجن آية : ١٨ .

(3) سورة الأحقاف آية : ٥ ، ٦ .

٢، ٣، ٤ - ومن أنواع العبادة: المحبة والخوف والرجاء، وقد تقـــدم الكلام عليها وبيان أنها أركان للعبادة.

٥ - **ومن أنواعها:** التوكل، وهو الاعتماد على الشيء.

والتوكل على الله: هو صدق تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتمادا عليـــه وثقة به مع مباشرة ما شرع وأباح من الأسباب لتحصيـــل المنـــافع ودفـــع المضار، قال الله تعالى: { ÇÌÈ ûüÏZBs9B OçÝä bÎ (#þè=qGù « $'?ãr } [1] (المائدة: ٢٣)، وقال تعالى: { @©qGf `Br } { ÿçmç7ó m qßù « $'?ã } [2] (الطلاق: ٣).

٦، ٧، ٨- **ومن أنواع العبادة:** الرغبة والرهبة والخشوع.

فأما الرغبة: فمحبة الوصول إلى الشيء المحبوب، والرهبة: الخوف المثمـــر للهرب من المخوف، والخشوع: الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستســـلم لقضائه الكوني والشرعي، قال الله تعالى في ذكر هذه الأنواع الثلاثة مـــن العبادة: { (#qç$Y2 NßgRÎ) ÇÒÈ šú üèEÏ»z $Z9 (#qç$Y2 r $Y6d'r $Y6î' $YRqãã ô‰tƒr ÏNºŽö, ø‚$'Î šc qããÌ»|¡ ç } [3] (الأنبياء: ٩٠).

٩ - **ومن أنواعها:** الخشية، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة مـــن يخشاه وكمال ســـلطانه، قـــال الله تعـــالى: { NdöqÝ±øƒB Ÿxù NöqÝB } [4] (البقرة: ١٥٠).

{ ÈbqÝ±z$#r NdöqÝ±øƒB Ÿxù } [5] (المائدة: ٣).

---

(1) سورة المائدة آية : ٢٣ .

(2) سورة الطلاق آية : ٣ .

(3) سورة الأنبياء آية : ٩٠ .

(4) سورة البقرة آية : ١٥٠ .

(5) سورة المائدة آية : ٣ .

١٠- **ومنها الإنابة** ، وهي الرجوع إلى الله تعـــالى بالقيـــام بطاعتـــه واجتناب معصيته، قال الله تعالى: { ¼qç9 ‡qΡÎ&r Nä3În‘ 4’n<Î) (#þqç7ŠÏRr& } [(1)] (الزمـــر: ٥٤).

١١ - **ومنها: الاستعانة** ، وهي طلب العون من الله في تحقيـــق أمـــور الدين والدنيا، قال الله تعالى: { ÇÎÈ ÚúüÏètGó¡nS x‚$¯Ρr)ur ߉ç7÷ètR x‚$¯Ρr) } [(2)] ، وقـــال r في وصيته لابن عباس: { إذا استعنت فاستعن بالله } [(3)] [(4)] .

١٢ - **ومنها: الاستعاذة** ، وهي طلب الإعاذة والحماية من المكـــروه، قال الله تعالى: { ÇÊÈ È,n=xÿø9$# Éb>tÎ/ èŒqããr& ö@è% } [(5)] وقال تعالى { ÇÊÈ Ä¨$¨Z9$# Éb>tÎ/ èŒqããr& ö@è% ÇËÈ Ä¨$¨Z9$# Å7Î=tB ÇÌÈ Ä¨$¨Z9$# Ïm»s9Î) ÇÍÈ Ä¨$¨Y sƒø:$# #qó™uqø9$# Îhx© `ÏB } [(6)] .

١٣ - **ومنها الاستغاثة** ، وهو طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشـــدة والهلاك، قال الله تعالى: { öNà6 9 >$ f FŸ$$sù öNä3/u‘ bqèVŠÉótGó¡n@ øŒÎ) } [(7)] (الأنفال: ٩).

١٤ - **ومنها الذبح** ، وهو إزهاق الروح بإراقـــة الـــدم علـــى وجـــه الخصوص تقربا إلى الله، قال الله تعالى: { ö@è% ¨bÎ) ’ÎAŸx|¹ ’Å5Ý¡èSur y“$u‹øtxCur ’ÎA$yJtBur ¬! Éb>u‘ tûüÏJn=»yèø9$# ÇÊÏËÈ } [(8)] (الأنعام: ١٦٢)، وقال تعـــالى: { ö@|Ásù y7În/tÏ9 öptùU$#ur ÇËÈ } [(9)] (الكوثر: ٢).

(1) سورة الزمر آية : ٥٤ .

(2) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(3) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، أحمد (٣٠٨/١) .

(4) سنن الترمذي (٢٥١٦) ، ومسند أحمد (١ / ٣٠٧) ، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه الحاكم .

(5) سورة الفلق آية : ١ ، ٢ .

(6) سورة الناس آية : ١ - ٤ .

(7) سورة الأنفال آية : ٩ .

(8) سورة الأنعام آية : ١٦٢ .

(9) سورة الكوثر آية : ٢ .

١٥ - **ومنها النذر** ، وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غـــير واجبة، قال الله تعالى: { ÇÈ #ZÜGó Ä ¼çŸ b‰. $Bóÿ bqè$/†r ÎõZ9$$ bqèqã } [1] (الإنسان: ٧).

فهذه بعض الأمثلة على أنواع العبادة، وجميع ذلك حق لله وحـــده لا يجوز صرف شيء منه لغير الله.

والعبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات القلب، كالمحبـــة والخوف والرجـــاء والإنابـــة والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاســـتغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحـــج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

(1) سورة الإنسان آية : ٧ .

المبحث الثالث: حماية المصطفى r جناب التوحيد

لقد كان النبي r حريصا أشد الحرص على أمته؛ لتكون عزيزة منيعة محققة لتوحيد الله U مجانبة لكل الوسائل والأسباب المفضية لما يضاده ويناقضه، قال الله تعالى: { ô‰s)s9 öNà2u!%y` Ñ^qß™u' ô`ÏiB öNà6Å¡àÿRr& î"ƒÍ•tã Ïmø‹n=tã $tB óOšGÏYtã ëÈƒÌ•ym Nà6ø‹n=tæ šúüÏZÏB÷sßJø9$$Î/ Ô$râäu' ÒOŠÏm§' } (1) (التوبة: ١٢٨).

وقد أكثر r في النهي عن الشرك وحذر وأنذر وأبدأ وأعاد وخص وعم في حماية الحنيفية السمحة ملة إبراهيم التي بعث بها من كل ما قد يشوبها من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، وهذا كثير في السنة الثابتة عنه r فأقام الحجة، وأزال الشبهة، وقطع المعذرة، وأبان السبيل.

وفي المطالب التالية عرض يتبين من خلاله حماية المصطفى r حمى التوحيد وسده كل طريق يفضي إلى الشرك والباطل.

المطلب الأول: الرقى.

أ- **تعريفها**: الرقى جمع رقية، وهي القراءة والنفث طلبا للشفاء والعافية، سواء كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية النبوية المأثورة.

ب- **حكمها**: الجواز، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

فعن عوف بن مالك t قال: { كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك } (2) ، رواه مسلم (3) .

(1) سورة التوبة آية : ١٢٨ .
(2) مسلم السلام (٢٢٠٠) ، أبو داود الطب (٣٨٨٦) .
(3) صحيح مسلم برقم (٢٢٠٠) .

وعن أنس بن مالك t قال: { رخص رسول الله r في الرقية من العين[1] والحمة[2] والنملة }[3] "، رواه مسلم[4] .

وعن جابر بن عبد الله t قال: قال رسول الله r { من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل }[5] ، رواه مسلم[6] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: { كان رسول الله r إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما }[7] ، رواه البخاري ومسلم[8] .

ج- شروطها: ولجوازها وصحتها شروط ثلاثة:

الأول: أن لا يعتقد أنها تنفع لذاتها دون الله، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله فهو محرم، بل هو شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

الثاني: أن لا تكون بما يخالف الشرع كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله أو استغاثة بالجن وما أشبه ذلك، فإنها محرمة، بل شرك.

الثالث: أن تكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنس الطلاسم والشعوذة فإنها لا تجوز.

---

(1) " العين " إصابة العائن غيره بعينه بقدر الله .

(2) " الحمة " بحاء مهملة مضمومة ثم ميم مخففة : وهي السم ، ومعناه : أذن في الرقية من كل ذات سم ، مثل لدغة الثعبان ، أو العقرب أو نحوهما .

(3) " النملة " بفتح النون وإسكان الميم : قروح تخرج من الجنب .

(4) صحيح مسلم برقم (٢١٩٦) .

(5) مسلم السلام (٢١٩٨) ، أحمد (٣/٣٠٢) .

(6) صحيح مسلم برقم (٢١٩٩) .

(7) البخاري الطب (٥٤١٨) ، مسلم السلام (٢١٩١) ، ابن ماجه الطب (٣٥٢٠) ، أحمد (٦/٤٥) .

(8) صحيح البخاري برقم (٥٧٤٣) ، وصحيح مسلم برقم (٢١٩١) .

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله: أيرقي الرجل ويسترقي ؟ فقـــال: " لا بأس بذلك، بالكلام الطيب ".

د- الرقية الممنوعة: كل رقية لم تتوفر فيها الشروط المتقدمة فإنها محرمة ممنوعة، كأن يعتقد الراقي أو المرقي أنها تنفع وتؤثر بذاتها، أو تكـــون مشتملة على ألفاظ شركية وتوسلات كفرية وألفاظ بدعية، ونحو ذلـــك، أو تكون بألفاظ غير مفهومة كالطلاسم ونحوها.

المطلب الثاني: التمائم.

أ- تعريفها: التمـــائم جمع تميمة، وهي ما يعلق على العنق وغـــيره من تعويـــذات أو خرزات أو عظام أو نحوها لجلب نفع أو دفع ضـــر، وكان العرب في الجاهلية يعلقونها على أولادهم يتقون بها العـــين بزعمـــهم الباطل.

ب- حكمها: التحريم،

بل هي نوع من أنواع الشرك؛ لما فيها من التعلق بغير الله؛ إذ لا دافـــع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته.

عن ابن مسعود t قال: سمعت رسول الله r يقـــول: { إن الرقـــى والتمائم والتولة شرك } [(1)] ، رواه أبو داود والحاكم [(2)] .

وعن عبد الله بن عكيم t مرفوعا: { من تعلق شيئا وكل إليـــه } [(3)] ، رواه أحمد والترمذي والحاكم [(4)] .

---

(1) أبو داود الطب (٣٨٨٣) ، ابن ماجه الطب (٣٥٣٠) ، أحمد (٣٨١/١) .

(2) سنن أبي داود برقم (٣٨٨٣) ، ومستدرك (٤ / ٢٤١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(3) الترمذي الطب (٢٠٧٢) .

(4) مسند أحمد (٤ /٣١٠) ، وسنن الترمذي برقم (٢٠٧٢) ، ومستدرك الحـــاكم (٤ / ٢٤١) وصححـــه الحاكم .

وعن عقبة بن عامر t مرفوعا: { من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومـــن تعلق ودعة فلا ودع الله له }[1]، رواه أحمد والحاكم [2] .

وعن عقبة بن عامر t أن رسول الله r قال: { من علق تميمة فقـــد أشرك } [3] ، رواه أحمد [4] . فهذه النصوص وما في معناها في التحذير من الرقـــى الشركية التي كـــانت هي غالب رقى العرب فنهي عنها لما فيها من الشـــرك والتعلق بغير الله تعالى.

ج- وإذا كان المعلق من القرآن الكريم، فهذه المسألة اختلف فيها أهـــل العلم، فذهب بعضهم إلى جواز ذلك، ومنهم من منع ذلك، وقال لا يجـــوز تعليق القرآن للاستشفاء، وهو الصواب لوجوه أربعة:

١- عموم النهي عن تعليق التمائم، ولا مخصص للعموم.

٢- سدا للذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن.

٣- أنه إذا علق فلا بد أن يمتهن المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجـــة والاستنجاء، ونحو ذلك.

٤- أن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة، وهي القراءة بـــه علـــى المريض فلا تتجاوز.

المطلب الثالث لبس الحلقة والخيط ونحوها

---

(1) أحمد (٤/١٥٤) .

(2) مسند أحمد (٤/ ١٥٤) ، ومستدرك الحاكم (٤/ ٢٤٠) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(3) أحمد (٤/١٥٦) .

(4) مسند أحمد (٤ / ١٥٦) ، وصححه الحاكم (٤/ ٢٤٤) وقال عبد الرحمن بن حسن ورواته ثقات .

المطلب الثالث: لبس الحلقة والخيط ونحوها.

أ- الحلقة قطعة مستديرة من حديد أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحـــو ذلك، والخيط معروف، وقد يجعل من الصوف أو الكتان أو نحوه، وكـــانت العرب في الجاهلية تعلق هذا ومثله لدفع الضر أو جلب النفع أو اتقاء العـــين، والله تعالى يقول: { $B OÇ÷ä•ù& @è Æ ë @d þJôm•ÎÅ ’Îš#‘& ¥ ÿ¼ÏmÎhÑ ôMªÿÏ±». £ë @d ÎÎÛÍ ª!$ ’Îš#‘& þÌ Ï‹ $ÈrŠ `ÏB bqãã ÇÌÏÈ bqè÷ qG.B$#Z2 qGƒ ïø ª!$Ó4 m @è ¾ÏmÏG‘ ôM»3Å¡ } [1] (الزمر: ٣٨)، ويقول تعالى: { Ÿx ƒÏŒB Ÿwr ßNã Ÿã ÎÛ9$ #ê. šc qãÎô ƒ Ÿxù ¾ÏmÏRrŠ `ÏB OçFôã– ûïÏ%©$# qãã$# @è ÇÏÎÈ } [2] (الإسراء: ٥٦).

وعن عمران بن حصين **t** {أن النبي **r** رأى رجلا في يده حلقة مـــن صفر فقال: ما هذه ؟ قال: من الواهنة، فقال: انـــزعها؛ فإنها لا تزيـــدك إلا وهنا، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك مـــا أفلحـــت أبـــدا} [3] ، رواه أحمد [4] .

وعن حذيفة بن اليمان **t** (أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمـــى فقطعه وتلا قوله تعـــالى: { $Br ßBsã & NèdŽyò2 $! «$ Ÿwî Nèdr bqãîô³B ÇÏÉÈ } [5] (يوسف: ١٠٦) [6] .

---

(1) سورة الزمر آية : ٣٨ .

(2) سورة الإسراء آية : ٥٦ .

(3) ابن ماجه الطب (٣٥٣١) ، أحمد (٤/٤٤٥) .

(4) المسند (٤ / ٤٤٥) ، وقال البوصيري إسناده حسن وقال الهيثمي رجاله ثقات .

(5) سورة يوسف آية : ١٠٦ .

(6) تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٠٧) .

ب- حكم لبس الحلقة والخيط ونحو ذلك، محرم فإن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله فهو مشرك شركا أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقد وجود خالق مدبر مع الله تعالى الله عما يشركون.

وإن اعتقد أن الأمر لله وحده وأنها مجرد سبب، ولكنه ليس مؤثرا فـــهو مشرك شركا أصغر لأنه جعل ما ليس سببا سببا والتفت إلى غير ذلك بقلبه، وفعله هذا ذريعة للانتقال للشرك الأكبر إذا تعلق قلبه بها ورجا منها جلـــب النعماء أو دفـــع البلاء.

المطلب الرابع التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها

المطلب الرابع: التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها.

التبرك هو طلب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

١ - أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم مثل القرآن قال الله تعـــالى: { #«»dr ÏGi» é& 8‘$t6ãB Ÿ≅ÏR&Y } (1) (الأنعام: ٩٢، ١٥٥)، فمـــن بركتـــه هدايتـــه للقلوب وشفاؤه للصدور وإصلاحه للنفوس وتهذيبه للأخلاق، إلى غير ذلـــك من بركاته الكثيرة.

٢ - أن يكون التبرك بأمر غير مشروع، كالتبرك بالأشجار والأحجـــار والقبور والقباب والبقاع ونحو ذلك، فهذا كله من الشرك.

فعن أبي واقد الليثي قال: { خرجنا مع رسول الله r إلى حنين ونحـــن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة (2) يعكفون عندها وينوطـــون بهـــا أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يـــا رســـول الله r اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله r الله أكـــبر، إنها الســـنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنـــو إســـرائيل لموســـى: { $oè@ô©Z$ $9»yg$ $J. 6ßg9 ä#gx@ %A$ ãRÏ) tA$s% bqè=ygpB }

(1) سورة الأنعام آية : ٩٢ .

(2) السدرة : شجرة ذات شوك .

ÇìÈ { لتركبن سنـــن مـــن كـــان قبلكـــم } [1] (الأعـــراف: ١٣٨)، رواه الترمـــذي وصـــححه [2] .

فقد دل هذا الحديـــث على أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبـــور والأحجار ونحوها من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشـــرك، ولهذا أخبر في الحديث أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لمـــا قـــالوا لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فهؤلاء طلبوا سدرة يتبركون بهـــا كمـــا يتبرك المشركون، وأولئك طلبوا إلـــها كما لهم آلهة، فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد؛ لأن التبرك بالشجر نوع من الشرك، واتخاذ إلـــه غـــير الله شرك واضح.

وفي قوله r في الحديث: { لتركبن سنن من كان قبلكـــم } [3] إشـــارة إلى أن شيئا من ذلك سيقع في أمته r وقد قال ذلك عليه الصلاة والسلام ناهيـــا ومحذرا.

المطلب الخامس النهي عن أعمال تتعلق بالقبور

المطلب الخامس: النهي عن أعمال تتعلق بالقبور.

لقد كان الأمر في صدر الإسلام على منع زيارة القبور لقرب عـــهدهم بالجاهلية حماية لحمى التوحيد وصيانة لجنابه، ولما حسن الإيمان وعظم شـــأنه في الناس ورسخ في القلوب واتضحت براهين التوحيد وانكشـــفت شـــبهة الشرك جاءت مشروعية زيارة القبور محددة أهدافها موضحة مقاصدها.

فعن بريدة بن الحصيب t قال: قال رسول الله r { نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها } [4] ، رواه مسلم [5] .

---

(1) سورة الأعراف آية : ١٣٨ .

(2) سنن الترمذي برقم (٢١٨٠) .

(3) الترمذي الفتن (٢١٨٠) ، أحمد (٢١٨/٥) .

(4) مسلم الجنائز (٩٧٧) ، النسائي الأشربة (٥٦٥٢) ، أبو داود الأشربة (٣٦٩٨) ، أحمد (٣٥٠/٥) .

(5) صحيح مسلم برقم (٩٧٧) .

وعن أبي هريرة t قال: قال النبي r { زوروا القبور فإنها تذكر الموت } [1] [2] .

وعن أبي سعيد الخدري t قال رسول الله r { إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة } [3] [4] .

وعن أنس بن مالك t قال: قال رسول الله r { كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرا } [5] [6] .

وعن بريدة t قال: { كان رسول الله r يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية } [7] ، رواه مسلم [8] .

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل على أن مشروعية زيارة القبور بعد المنع من ذلك إنما كانت لهدفين عظيمين وغايتين جليلتين:

الأولى: التزهيد في الدنيا بتذكر الآخرة والموت والبلى، والاعتبار بأهل القبور مما يزيد في إيمان الشخص ويقوي يقينه ويعظم صلته بالله، ويذهب عنه الإعراض والغفلة.

---

(1) مسلم الجنائز (٩٧٦) ، النسائي الجنائز (٢٠٣٤) ، أبو داود الجنائز (٣٢٣٤) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٧٢) ، أحمد (٢ /٤٤١) .

(2) صحيح مسلم برقم (٩٧٥) .

(3) أحمد (٣/٣٨) ، مالك الضحايا (١٠٤٨) .

(4) مسند أحمد (٣/ ٣٨) ، ومستدرك الحاكم (١/ ٥٣١) .

(5) أحمد (٣/٢٣٧) .

(6) مستدرك الحاكم (١ / ٥٣٢) .

(7) مسلم الجنائز (٩٧٥) ، النسائي الجنائز (٢٠٤٠) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٤٧) ، أحمد (٥/٣٥٣) .

(8) صحيح مسلم برقم (٩٧٥) .

الثانية: الإحسان إلى الموتى بالدعاء لهم والترحم عليهم وطلب المغفـــرة لهم وسؤال الله العفو عنهم.

هذا الذي دل عليه الدليل، ومن ادعى غير ذلـــك طولـــب بالحجـــة والبرهان.

ثم إن السنة قد جاءت بالنهي عن أمور عديدة متعلقة بالقبور وزيارتها، صيانة للتوحيد وحماية لجنابه، يجب على كل مسلم تعلمها ليكون في أمنـــة من الباطل وسلامة من الضلال، ومن ذلك:

١ - النهي عن قول الهجر عند زيارة القبور.

وقد تقدم قوله r { ولا تقولوا هجرا } [1] ، والمراد بالهجر كل أمر محظـــور شرعا، ويأتي في مقدمة ذلك الشرك بالله بدعاء المقبورين وسؤالهم مـــن دون الله والاستغاثة بهم وطلب المدد والعافية منهم، فكل ذلك من الشرك البـــواح والكفر الصراح، وقد ثبت عن النبي r أحاديث عديدة صريحة في المنع مـــن ذلك والنهي عنه ولعن فاعله، ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبـــد الله t أنه قال: سمعت رسول الله r قبل أن يموت بخمس يقول: { ألا إن من كـــان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنِّي أنهاكم عن ذلك } [2] [3] . فدعاء الأمـــوات وســـؤالهم الحاجـــات وصرف شيء من العبادة لهم شرك أكبر، أما العكوف عند القبور وتحـــري إجابة الدعاء عندها ومثله الصلاة في المساجد التي فيها القبور فهو من البـــدع المنكرة.

(1) النسائي الجنائز (٢٠٣٣) ، أبو داود الأشربة (٣٦٩٨) ، أحمد (٥/٣٥٥) .
(2) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢) .
(3) صحيح مسلم برقم (٥٣٢) .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنه r قال في مرضه الـــذي لم يقم منه: { لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } [(1)] [(2)] .

٢ - الذبح والنحر عند القبور.

فإن كان ذلك تقربا إلى المقبورين ليقضوا حاجة للشخص فهو شـــرك أكبر وإن كان لغير ذلك فهو من البدع الخطيرة التي هي من أعظم وســـائل الشرك لقوله r { لا عقر في الإسلام } [(3)] ، قال عبد الرزاق: { كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة } [(4)] [(5)] .

٣، ٤، ٥، ٦، ٧ - رفعها زيادة على التراب الخارج منـــها، وتجصيصها، والكتابة عليها، والبناء عليها، والقعود عليها.

فكل ذلك من البدع التي ضلت بها اليهود والنصارى وكانت من أعظم ذرائع الشرك، فعن جابر t قال: { نهى رسول الله r أن يجصص القـــبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه، وأن يزاد عليه، أو يكتب عليه } [(6)] . رواه مسلم، وأبو داود، والحاكم [(7)] .

٨ - الصلاة إلى القبور وعندها.

فعن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله r يقول: لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها))، رواه مسلم [(1)] .

(1) البخاري الجنائز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (١٤٦/٦) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .
(2) صحيح البخاري برقم (١٣٣٠) ، وصحيح مسلم برقم (٥٣١) .
(3) أبو داود الجنائز (٣٢٢٢) ، أحمد (١٩٧/٣) .
(4) أبو داود الجنائز (٣٢٢٢) ، أحمد (١٩٧/٣) .
(5) سنن أبي داود لرقم (٣٢٢٢) .
(6) مسلم الجنائز (٩٧٠) ، الترمذي الجنائز (١٠٥٢) ، النسائي الجنائز (٢٠٢٧) ، أبو داود الجنائز (٣٢٢٥) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٦٣) ، أحمد (٣٣٩/٣) .
(7) صحيح مسلم برقم (٩٧٠) ، وسنن أبي داود برقم (٣٢٢٥) ، ورقم (٣٢٢٦) ، ومســتدرك الحـــاكم (١ / ٥٢٥) .

وعن أبي سعيد الخدري t قال: قال رسول الله r { الأرض كلـــها مسجد، إلا المقبرة والحمام } [2] . رواه أبو داود والترمذي [3] .

٩ - بناء المساجد عليها.

وهو بدعة من ضلالات اليهود والنصارى وتقدم حديث عائشة: { لعـــن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } [4] .

١٠ - اتخاذها عيدا.

وهو من البدع التي جاء النهي الصريح عنها لعظم ضررها، فعـــن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r { لا تتخذوا قبري عيدا [5] ولا تجعلـــوا بيوتكم قبورا، وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني } ، رواه أبـــو داود وأحمد [6] .

١١ - شد الرحال إليها.

وهو أمر منهي عنه لأنه من وسائل الشرك فعن أبي هريرة t عن النبي r قال: { لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحـــرام، ومسجد الرسول r ومسجد الأقصى } [7] . رواه البخاري ومسلم [1] .

---

(1) صحيح مسلم برقم (٩٧٢) .

(2) الترمذي الصلاة (٣١٧) ، أبو داود الصلاة (٤٩٢) ، ابن ماجه المساجد والجماعات (٧٤٥) .

(3) سنن أبي داود برقم (٤٩٢) ، وسنن الترمذي برقم (٣١٧) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(4) البخاري الجنائز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (١٤٦/٦) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(5) العيد هو الذي يعود ويتكرر مثل عيد الفطر وعيد الأضحى ، فكون الإنسان يكرر الزيارة لقبر الرسول كل يوم من أجل السلام فكأنه يتخذه عيدا ، فنهى الرسول عن ذلـــك ، أمر المسلم أن يصلي ويسلم عليه وهو في أي مكان كان لأن لله ملائكة سياحين يبلغون الرسول السلام وهذا من يسر هذا الدين إذ ليس باستطاعة كل مسلم أن يأتي إلى المدينة .

(6) سنن أبي داود برقم (٢٠٤٢) ، ومسند أحمد (٢/ ٣٦٧) .

(7) البخاري الجمعة (١١٣٢) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤١٠) .

المطلب السادس: التوسل.

أ- **تعريفه:** التوســـل مأخوذ في اللغة من الوسيلة، والوســـيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوســـل هو التوصل إلى المراد والسعي في تحقيقه.

وفي الشرع يراد به التوصل إلى رضوان الله والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهي عنه.

ب- معنى الوسيلة في القرآن الكريم:

وردت لفظة " الوسيلة " في القرآن الكريم في موطنين:

١ - قوله تعالى: { pkš‰r'¯»tƒ tûïÏ%©!$# (#qãZtB#uä (#qà)®?$# ©!$# (#þqäótGö/$#ur Ïmø‹s9Î) s's#‹Å™uqø9$# (#rß‰Îg»y_ur ’Îû ¾Ï&Î#‹Î6y™ öNà6¯=yès9 šcqßsÎ=øÿè? } [2] (المائدة: ٣٥).

٢ - قوله تعالى: { y7Í´¯»s9'ré& tûïÏ%©!$# šcqããô‰tƒ šcqäótGö6tƒ 4’n<Î) ÞOÎgÎn/u‘ s's#‹Å™uqø9$# öNåk›‰r& Ü>tø%r& šcqã_ötƒur ¼çmtGyJômu‘ šcqèù$sƒs†ur ÿ¼çmt/#x‹tã 4 ¨bÎ) z>#x‹tã y7În/u‘ tb%x. #Y‘rä‹øtxC } [3] (الإسراء: ٥٧).

والمراد بالوسيلة في الآيتين، أي: القربة إلى الله بالعمل بما يرضيه، فقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الأولى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائـــل والحسن البصري وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد [4] .

وأما الآية الثانية فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود **t** مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: " نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين يعبدونهم لا يشعرون " [5] .

---

(1) صحيح البخاري برقم (١١٨٩) ، وصحيح مسلم (١٣٩٧) .

(2) سورة المائدة آية : ٣٥ .

(3) سورة الإسراء آية : ٥٧ .

(4) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠) .

(5) صحيح مسلم برقم (٣٠٣٠) . وصحيح البخاري رقم (٤٧١٤) .

وهذا صريح في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة والعبادات الجليلة، ولذلك قال: } '#‹Ä¯q§ø$ Ðßgh‹ 4‹Ĵ šc qãG6ÿ { [1] أي يطلبون ما يتقربون به إلى الله وينالون به مرضاته من الأعمال الصالحة المقربة إليه.

ج- أقسام التوسل:

ينقسم التوسل إلى قسمين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

١ - **التوسل المشروع:** هو التوسل إلى الله بالوسيلة الصحيحـــة المشروعة، والطريق الصحيح لمعرفة ذلك هو الرجوع إلى الكتاب والسنة ومعرفة ما ورد فيهما عنها، فما دل الكتاب والسنة على أنه وسيلة مشروعة فهو من التوسل المشروع، وما سوى ذلك فإنه توسل ممنوع.

والتوسل المشروع يندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العظيمة، كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن الرحيم أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي وترحمني، ونحو ذلك.

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله تعالى: } r ¬!$ âäöêF$ ó_qçø$ ú qãš$ù $kÍ { [2] (الأعراف: ١٨٠).

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد، كأن يقول: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي، أو يقول: اللهم إنـــي أسألك بحبي لنبيك محمد r وإيماني به أن تفرج عني، أو أن يذكر الداعي عملا صالحا ذا بال قام به فيتوسل به إلى ربه، كما في قصة أصحاب الغـــار الثلاثة التي سيرد ذكرها.

---

(1) سورة الإسراء آية : ٥٧ .

(2) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

ويدل على مشروعيته قوله تعالى: { $Y/qß$ $Z9 ö¨ÿô$Ï $YB#ä $YRĵ $Y/' bqä9qà)tƒ šú ïÏ%©!$ } {ÇÊÏÈ í$Z9$# >#‹ãã $Z%Ïr} (1) (آل عمران: ١٦)، وقوله تعـــالى: { M©9t“Rr& !$JÎ/ $YB#ä !$Y/' } {ÇÎÌÈ šú ïÏ‰Íh»±9$# ìB $Ytç6çFò2$$sù AqßŸ§9$# $Yè7?$#} (2) (آل عمران: ٥٣).

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار الثلاثة كما يرويها عبـــد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: { بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنـــه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه، وأني عمـــدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريـــت منه بقرا، وأنه أتاني يطلـــب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فـــرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت (3) عنهم الصخـــرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنـــت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشـــيتك ففـــرج عنـــا، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللـــهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وإني راودتـــها عـــن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت

---

(1) سورة آل عمران آية : ١٦ .

(2) سورة آل عمران آية : ٥٣ .

(3) فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه ، كما في حديث سالم .

بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا } . رواه البخاري [1] .

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه، كأن يذهب المسلم إلى رجل يرى فيه الصلاح والتقوى والمحافظة على طاعة الله، فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج كربته وييسر أمره.

ويدل على مشروعية هذا النوع أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي r أن يدعو لهم بدعاء عام ودعاء خاص.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك t { أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله r قائم يخطب، فاستقبل رسول r قائما فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله r يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة [2] ولا شيئا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة- ورسول الله r قائم يخطب- فاستقبله قائما فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسول الله r يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والظراب ومنابت الشجر، قال: فانقطعت،

(1) صحيح البخاري برقم (٣٤٦٥) .

(2) سحاب متفرق .

وخرجنا نمشي في الشمس } . قال شـــريك: فسألت أنسا: أهو الرجل الأول ؟ قَال: لا أدري [1] .

وفي الصحيحين أن النبي r لما { ذكر أن في أمته سبعين ألفـــا يدخلـــون الجنة بغير حساب ولا عذاب وقال: (هم الذي لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) قام عكاشة بن محصن فقال: يا رســـول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (أنت منهم) } [2] [3] . ومن ذلك حديـــث ذكـــر النبي r أويسا القرني وفيه قال: { فاسألوه أن يستغفر لكـــم } .

وهذا النوع من التوسل إنما يكون في حياة من يطلب منه الدعاء، أمـــا بعد موته فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له.

٢ - **التوسل الممنوع:** هو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:

١ - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغـــائبين والاســـتغاثة بهـــم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا مـــن الشـــرك الأكبر الناقل من الملة.

٢ - التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعـــاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشـــرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

٣ - التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصـــالحين ومكانتهم ومنـــزلتهم عند الله، وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشـــرعه الله و لم يأذن به. قال تعالى: {

---

(1) صحيح البخاري برقم (١٠١٣) ، وصحيح مسلم رقم (٨٩٧) .

(2) البخاري الطب (٥٤٢٠) ، مسلم الإيمان (٢٢٠) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٤٦) ، أحمد (٢٧١/١) .

(3) صحيح البخاري برقم (٥٧٠٥) ، وصحيح مسلم برقم (٢١٨) .

{ ŠÏä9 šc Ë& ª! #ä } [1] (يونس: ٥٩) ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم، كما قال الله تعالى: { ÇÌÈ 4ë™ $B žwÎ) Ç≈|¡SM9 § øŠ©9 b&r } [2] (النجم: ٣٩)، ولذا لم يكن هذا التوسل معروفا في عهد النبي r وأصحابه، وقد نص على المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم:

قال أبو حنيفة رحمه الله: ((يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام)).

د- شبهات وردها في باب التوسل.

قد يورد المخالفون لأهل السنة والجماعة بعض الشبهات والاعتراضات في باب التوسل؛ ليتوصلوا بها إلى دعم تقريراتهم الخاطئة، وليوهموا عوام المسلمين بصحة ما ذهبوا إليه، ولا تخرج شبهات هؤلاء عن أحد أمرين:

الأول: إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة يستدل بها هؤلاء على ما ذهبوا إليه، وهذه يفرغ من أمرها بمعرفة عدم صحتها وثبوتها، ومن ذلك:

١ - حديث: { توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم } ، أو { إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم } ، وهو حديث باطل لم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث.

٢ - حديث: { إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور } ، أو { فاستغيثوا بأهل القبور } ، وهو حديث مكذوب مفترى على النبي r باتفاق العلماء.

٣ - حديث: { لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه } ، وهو حديث باطل مناقض لدين الإسلام، وضعه بعض المشركين.

---

(1) سورة يونس آية : ٥٩ .

(2) سورة النجم آية : ٣٩ .

٤ - حديث: { لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمدا و لم أخلقه ؟ قال: يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك } [1] وهو حديث باطل لا أصل له، ومثله حديث: { لولاك ما خلقت الأفلاك } .

فمثل هذه الأحاديث المكذوبة والروايات المختلقة الملفقة لا يجوز لمسلم أن يلتفت إليها فضلا عن أن يحتج بها ويعتمدها في دينه.

الثاني: أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي r يسيء هؤلاء فهمها ويحرفونا عن مرادها ومدلولها، ومن ذلك:

١ - ما ثبت في الصحيح: { أن عمر بن الخطاب t كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون } [2] [3] .

ففهموا من هذا الحديث أن توسل عمر t إنما كان بجاه العباس t ومكانته عند الله U وأن المراد بقوله: { كنا نتوسل إليك بنبينا [أي بجاهه] فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا } [4] [أي بجاهه].

وهذا ولا ريبِ فهم خاطئ وتأويل بعيد لا يدل عليه سياق النص لا من قريب ولا من بعيد؛ إذ لم يكن معروفا لدى الصحابة التوسل إلى الله بذات النبي r أو جاهه، وإنما

---

(1) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ج ١ / ٨٨ ح ٢٥ .
(2) البخاري الجمعة (٩٦٤) .
(3) صحيح البخاري برقم (١٠١٠) .
(4) البخاري الجمعة (٩٦٤) .

كانوا يتوسلون إلى الله بدعائه حال حياتـــه كمـــا تقدم بعض هذا المعنى، وعمر t لم يرد بقوله: { إنا نتوسل إليك بعم نبينا } [1] أي ذاته أو جاهه، وإنما أراد دعاءه، ولو كان التوسل بـــالذات أو الجاه معروفا عندهم لما عدل عمر عن التوسل بـــالنبي r إلى التوســـل بالعباس t بل ولقال له الصحابة إذ ذاك كيف نتوســـل بمثـــل العباس ونعدل عن التوسل بالنبي r الذي هو أفضل الخلائق، فلما لم يقـــل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه، وبعد مماتـــه توســـلوا بدعاء غيره علم أن المشروع عندهم التوسل بدعـــاء المتوســـل لا بذاته.

وبهذا يتبين أن الحديث ليس فيه متمسك لمن يقول بجـــواز التوســـل بالذات أو الجاه.

٢ - حديث عثمان بن حنيف: { أن رجلا ضرير البصر أتى النبي r فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضـــوءه ويدعـــو بهـــذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في } [2]، رواه الـــترمذي وأحمد وقال البيهقي إسناده صحيح[3].

ففهموا من الحديث أنه يدل على جواز التوسل بجاه النبي r أو غـــيره من الصالحين، وليس في الحديث ما يشهد لذلك، فإن الأعمى قد طلب مـــن النبي r أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره، فقال له: { إن شئت صبرت وإن شئت دعوت } [4] ، فقال: فادعه، إلى غير ذلك من الألفاظ الواردة في الحديـــث المصرحة بأن هذا توسل بدعاء النبي r لا بذاته أو جاهه؛ ولذا ذكر أهـــل العلم هذا الحديث من معجزات النبي r ودعائه

(1) البخاري الجمعة (٩٦٤) .

(2) الترمذي الدعوات (٣٥٧٨) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٨٥) .

(3) سنن الترمذي برقم (٣٥٧٨) ، ومسند أحمد (٤ / ١٣٨) .

(4) البخاري المرضى (٥٣٢٨) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٧٦) ، أحمد (٣٤٧/١) .

المستجاب، فإنه r ببركـــة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ولهـــذا أورده البيـــهقي في دلائـــل النبوة [1] .

وأما الآن وبعد موت النبي r فإن مثل هذا لا يمكن أن يكون لتعـــذر دعاء النبي r لأحد بعد الموت، كما قال النبي r { إذا مات الإنسان انقطـــع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو لـــه } [2] ، رواه مسلم [3] .

والدعاء من الأعمال الصالحة التي تنقطع بالموت.

وعلى كل فإن جميع ما يتعلق به هؤلاء لا حجة فيه؛ إما لعدم صحته، أو لعدم دلالته على ما ذهبوا إليه.

المطلب السابع: الغلو.

أ- **تعريفه:** الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد، بأن يزيد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق.

وفي الشرع: هو مجاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيـــدة أو العبادة.

ب- **حكمه:** التحريم؛ لما جاء من النصوص في النهي عنه والتحذيـــر منه وبيـــان ســـوء عواقبه على أهله في العاجل والآجل. قال الله تعـــالى: { ‰7»'d@Ÿ$s% ≅÷δr'¯»tƒ Ÿω (#θè=øós? ’Îû öΝà6ÏΖƒÏŠ Ÿωuρ (#θä9θà)s? ’n?tã «!$# āωÎ) ¨,ysø9$# ; } [4] (النساء: ١٧١).

وقال تعالى: { ö@è% ‰7»'d@Ÿ$s% ≅÷δr'¯»tƒ Ÿω (#θè=øós? ’Îû öΝà6ÏΖƒÏŠ uŽöxî Èd,ysø9$# Ÿωuρ (#þθãèÎ6®Ks? u!#uθ÷δr& 7Πöθs% ô‰s% (#θ=|Ê ÏΒ ã≅ö6s% (#θ=|Êr&uρ #ZŽÏVx. (#θ=|Êuρ tã Ï!#uθy™ È≅‹Î6¡¡9$# } [5] (المائدة: ٧٧).

---

(1) دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ١٦٧) .

(2) مسلم الوصية (١٦٣١) ، الترمذي الأحكام (١٣٧٦) ، النسائي الوصايا (٣٦٥١) ، أبو داود الوصايا (٢٨٨٠) ، أحمد (٢/ ٣٧٢) ، الدارمي المقدمة (٥٥٩) .

(3) صحيح مسلم برقم (١٦٣١) .

(4) سورة النساء آية : ١٧١ .

(5) سورة المائدة آية : ٧٧ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسـول الله r قـال: { إيـاكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين } [1]، رواه أحمد والحـاكـم وصححه ووافقه الذهبي [2].

وعن ابن مسعود t قال: قال رسول الله r { هلك المتنطعون } [3]، قالها ثلاثا، رواه مسلم [4].

وعن عمر بن الخطاب t أن رسول الله r قال: { لا تطروني كمـا أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنمـا أنـا عبـد الله ورسـوله } [5]، رواه البخاري [6].

والمراد هذا الحديث، أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كمـا غلـت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية والألوهية، وإنما أنا عبد الله فصفـوني بما وصفني به ربي، وقولوا: عبد الله ورسوله، فأبى الضلال إلا مخالفة لأمـره وارتكابا لنهيه وناقضوه أعظم المناقضة فغلوا فيه وبالغوا في إطرائه وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب وتفريـج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما هو مختص بالله وحده لا شريك لـه، وكل ذلك من الغلو في الدين.

---

(1) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧) ، ابن ماجه المناسك (٣٠٢٩) ، أحمد (٣٤٧/١) .

(2) المسند (١ / ٣٤٧) ، والمستدرك (١ / ٦٣٨) .

(3) مسلم العلم (٢٦٧٠) ، أبو داود السنة (٤٦٠٨) ، أحمد (٣٨٦/١) .

(4) صحيح مسلم برقم (٢٦٧٠) .

(5) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) ، أحمد (٢٤/١) .

(6) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٥) .

المبحث الرابع: الشرك والكفر وأنواعهما

وفيه مطالب

ما من ريب أن في معرفة المسلم للشرك والكفر وأسبابهما ووســـائلهما وأنواعهما فوائد عظيمة، إذا عرفها معرفة يقصد من ورائها السلامة من هذه الشرور والنجاة من تلك الآفات، والله سبحانه يحـــب أن تعرف سبيل الحـــق لتحب وتسلك، ويحب أن تعرف سبل الباطل لتجتنب وتبغـــض، والمســـلم كما أنه مطالب بمعرفة سبيل الخير ليطبقها، فهو كذلك مطالب بمعرفة ســـبل الشر ليحذرها، ولهذا ثبت في الصحيحين عن حذيفة بن اليمان رضـــي الله عنهما أنه قال: { كان الناس يسألون رسول الله r عن الخير وكنت أســـأله عن الشر مخافة أن يدركني } [1] [2] .

ويقول عمر بن الخطاب t " إنما تنقض عـــرى الإســـلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ".

والقرآن الكريم مليء بالآيات المبينة للشرك والكفر والمحذرة من الوقـــوع فيهما، والدالة على سوء عاقبتهما في الدنيا والآخرة، بل إن ذلك مقصـــد عظيم من مقاصد القرآن الكريم والسنة المطهرة، كمـــا قـــال الله تعـــالى: { ŸM»ƒFF$ @Å ÿç 7ïŠ‹.r ÇÎÈ ûüBÌ÷ 3$@<6™ ûüΠKó Kïr } [3] (الأنعام: ٥٥).

وفيما يِلي ذكر لبعض المطالب المهمة المتعلقة بهذا الجانب.

المطلب الأول: الشرك.

أ- **تعريفه**: يطلق الشرك في اللغة على التسوية بين الشيئين.

وله في الشرع معنيان: عام وخاص.

---

(1) البخاري المناقب (٣٤١١) ، مسلم الإمارة (١٨٤٧) ، أحمد (٥/٣٨٧) .

(2) صحيح البخاري برقم (٧٠٨٤) ، وصحيح مسلم برقم (١٨٤٧) .

(3) سورة الأنعام آية : ٥٥ .

١ - **المعنى العام:** تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه سـبحانه، ويندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: الشرك في الربوبية، وهو تسوية غير الله بالله فيمـا هـو مـن خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره، كالخلق والرزق والإيجـاد والإماتة والتدبير لهذا الكون ونحو ذلك.

قال تعالى: } 4† ÏŤ'ù qèd žwÎ) m»9Î) Iw ÇÚö‘F{$# ur ä$J¡¡9$# z`ÏiB Nä3è%ã—ö„t ª!$# çŽöxî @,Ï»yz ô`ÏB @ö‘d { ÇÌÈ šc qä3sùsè÷ÿ (1) (فاطر: ٣).

الثاني: الشــرك في الأسماء والصفات، وهو تسوية غــير الله بــالله في شيء منها، والله تعالى يقول: } §øŠs9 ¾Ïm Î#÷WÏJx. ÖäïŠx« (uqèdur ßìŠÏJ¡¡9$# 玍ÅÁt7ø9$# ÇÊÊÈ { (2) (الشورى: ١١).

الثالث: الشرك في الألوهية، وهو تسوية غير الله بالله في شـيء مـن خصائص الألوهية، كالصلاة والصيام والدعاء والاستغاثة والذبـح والنـذر ونحو ذلك.

قال الله تعالى: } š`ÏBur Ĩ$¨Z9$# `B ä‹Ï‚Gtƒ `ÏB Èbrߊ «!$# #YŠ#y‰R& öNåkXq™6Ïtä† Éb6ßsx. «!$# { (3) (البقرة: ١٦٥).

٢ - **المعنى الخاص:** وهو أن يتخذ لله ندا يدعوه كـما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، وهـذا هو المعنى المتبادر من كلمة " الشرك " إذا أطلقت في القرآن أو السنة.

---

(1) سورة فاطر آية : ٣ .

(2) سورة الشورى آية : ١١ .

(3) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

ب- الأدلة على ذم الشرك وبيان خطره.

لقد تنوعت دلالة النصوص على ذم الشرك والتحذير منه وبيان خطـــره وسوء عاقبته على المشركين في الدنيا والآخرة.

١ - فقد أخبر الله ســـبحانه أنه الذنب الذي لا يغفره إلا بالتوبة منـــه قبل الموت، فقال تعالى: { ā$±„ `Jϊ 7ϊ¨Œ brŠ $B ãÿøƒr ¾ÏmÎ 8ŽŏçbÎ& ãÿøƒ ŵ ©$bÎ) } (1) (النساء: ٤٨).

٢ - ووصفه بأنه أظلم الظلم، فقال تعالى: { žcÎ) 8Žõ9$# Dù=Ýàs9 ÒOŠÏàã ÇÊÌÈ } (2) (لقمان: ١٣).

٣ - وأخبر أنه محبط للأعمال، فقال تعالى: { ô‰s)s9ur zÓÇré& y7ø‹s9Î) ’n<Î)ur šúïÏ%©!$# `ÏB y7Î=ö6s% ûÈõs9 |Mø.uŽõ°r& £`sÜt6ósuŠs9 y7è=yJtã £`tRqä3tGs9ur z`ÏB zƒÎŽÅ¡»y‚ø9$# ÇÏÎÈ } (3) (الزمر: ٦٥).

٤ - ووصفه بأن فيه تنقصا لرب العالمين ومساواة لغيره به، فقال تعالى: { «!$$s? bÎ) $¨Zä. ’Å"s9 9@»n=|Ê AûüÎ7B ÇÒÐÈ øŒÎ) Nä3ƒÈhq|¡çR Éb>tÎ/ tûüÏJn=»yèø9$# ÇÒÑÈ } (4) (الشعراء: ٩٦ - ٩٨).

٥ - وأخبر أن من مات عليه يكون مخلدا في نار جهنم، فقال تعـــالى: { ¼çm¯RÎ) `B õ8ÎŽô³ç «!$$Î/ ô‰s)sù tP§ym ª!$# Ïmø‹n=tã sp¨Ypgø:$# çm1urù'tBur â‘$¨Z9$# ($tBur šúüÏJÎ=»©à=Ï9 ôÏB 9$|ÁRr& ÇÐËÈ } (5) (المائدة: ٧٢).

(1) سورة النساء آية : ٤٨ .

(2) سورة لقمان آية : ١٣ .

(3) سورة الزمر آية : ٦٥ .

(4) سورة الشعراء آية : ٩٦ - ٩٨ .

(5) سورة المائدة آية : ٧٢ .

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة، وهي كثيرة جدا في القرآن الكريم.

ج- سبب وقوع الشرك:

إن أصل الشرك وسبب وقوعه في بني آدم هـــو الغلـــو في الصـــالحين المعظمين، وتجاوز الحد في إطرائهم ومدحهم والثناء عليهم، قال الله تعـــالى: } bâ‹? ÿw ‡(qä9$%r Šì? ÿwr #Žžÿ. ‡(q•Ê& ‰ô‰%r ÇËÌÈ #Žž6Ÿ2 -qä9$%r šW qäŒ ÿwr %æ#qß™ ÿwr #Šr bâ‹? ÿwr öä3Gg9#ä ÇÊÍÈ W‰»=Ê žw) ûüÏJÎ»©9$ { [1] (نـــوح: ٢٣- ٢٤).

فهذه أســـماء رجـــال صـــالحين من قوم نوح لما مـــاتوا جعلـــوا لـــهم أصنـــامـــا على صـــورهم وســـموها بأسمائهم قـــاصدين بذلك تعظيمهم وتخليد ذكرهم وتذكر فضلهم إلى أن آل هِـــم الأمـــر إلى عبادهم.

ويشـــهد لـــهذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنـــه قـــال: " صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أمـــا ود فكـــانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمـــراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأمـــا نســـر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلســـون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ (ونسخ العلم) [2] العلـــم عبدت " [3] .

روى ابن جرير الطبري عن محمد بن قيس عند قوله تعالى: وقالوا لا تذرن آلهتك الآية، قال: " كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهـــم أتباع يقتدون هم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهـــم: لـــو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا

(1) سورة نوح آية : ٢٣ - ٢٤ .

(2) أي علم تلك الصور بخصوصها .

(3) صحيح البخاري برقم (٤٩٢٠) .

ذكرناهم، فصوروهم، فلما مـــاتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهـــم يســـقون المطر، فعبدوهم " [1] . فجمعوا بين فتنتين:

الأولى: العكوف عند قبورهم.

الثانية: تصوير صورهم ونصبها في مجالسهم والجلوس إليها.

فبهذا وقع الشرك لأول مرة في تاريخ البشرية فهما أعظم وسائل الشرك في كل زمان ومكان.

د- أنواع الشرك: ينقسم الشرك إلى قسمين: أكبر وأصغر.

١ - الشرك الأكبر: هو اتخاذ ند مع الله يعبد كما يعبد الله، وهـــو ناقل من ملة الإسلام محبط للأعمال كلها، وصاحبه إن مات عليه يكـــون مخلدا في نار جهنم لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها.

أنواع الشرك الأكبر: وينقسم الشرك الأكبر إلى أربعة أنواع:

١ - شرك الدعوة، أي الدعاء، وذلك أن الدعاء من أعظـــم أنـــواع العبادة، بل هو لب العبادة كما قال النبي r { الدعاء هو العبـــادة } [2] ، رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح [3] قال الله تعالى: { šú ïÏ%©$!$# ¨bÎ) 4 ö/ä3s9 ó=ÉftGó™r& þÎTqãã÷Š$# ãNà6š/u‘ tA$s%ur ÇÏËÈ šú ïÌÅz#yŠ tL©èygy_ tbqè=äzô‰u‹y™ ’ÎAyŠ$t6Ïã ô`tã tbrçŽÉ9õ3tGó¡o„ } [4] (غافر: ٦٠).

ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله شرك، فمن دعا نبيا أو ملكـــا أو وليا أو قبرا أو حجرا أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشرك كافر، كمـــا قال تعالى: { `Br

(1) تفسير الطبري (١٢ / ٢٥٤) .
(2) الترمذي تفسير القرآن (٢٩٦٩) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٢٨) .
(3) مسند أحمد (٤ / ٢٦٧) ، وسنن الترمذي برقم (٢٩٦٩) .
(4) سورة غافر آية : ٦٠ .

brãý»3ø$# ßxÎóãW ¼çR) ¾ÏmÎ/ ¼ã©9 z`»ydöç/ Ÿw •z#ä $·g»s9Î) «!$# yìtB äíôÿt

ÇÊÊÐÈ { (1) (المؤمنون: ١١٧).

ومن الأدلة على أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك قوله تعـــالى: { #sŒÎ*sù

bqä.Îô³ç ö/èf #sŒÎ) Îhy9ø9$# 'n<Î) ö/àS9¯gUtR $£Jn=sù tûïÏe$!$# ã&s! tûüÅÁÎ=øƒèC ©!$# (#ãqtãyŠ Å7ù=àÿø9$# 'Îû (#qç6Ï.u'

ÇÏÎÈ { (2) (العنكبوت: ٦٥)، فأخبر عن هؤلاء المشركين بأنهم يشـــركون بالله في رخائهم، ويخلصون له في كربهم وشدتهم، فكيف بمن يشرك بالله في الرخاء والشدة عياذا بالله.

٢ - شرك النية والإرادة والقصد، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيـــا أو الرياء أو السمعة، إرادة كلية كأهل النفاق الخلص، و لم يقصد بها وجـــه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعـــالى: { `B tb%x. ߉ƒÌãƒ no4quŠysø9$# $u‹÷R‘‰9$# $ygtFt^ƒÎ—ur Åe$uqè% öNÍkös9Î)

$B Ÿßmr& $ydöy™ y7Í×¯»s9'ré& ÇÊÎÈ bqÝ¡y‚ö7ムŸw $pkŽÏù öNèdur $pkŽÏù öNßgn=»yJôãr&

¹ (#qçR%x. $¨B ×@ÏÜ»t/ur $pkŽÏù bqè=yJtè ÇÊÏÈ { (3) (هود: ١٥-١٦).

وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة.

٣ - شرك الطاعة، فمن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله أو تحـــريم ما أحل الله، ويعتقد ذلك بقلبه أي أنه يسوغ لهم أن يحللوا ويحرموا ويســـوغ له ولغيره طاعته في ذلك مع علمه بأنه مخالف لدين الإسلام فقد اتخذهـــم أربابا من دون الله وأشرك بالله الشرك الأكبر.

(1) سورة المؤمنون آية : ١١٧ .

(2) سورة العنكبوت آية : ٦٥ .

(3) سورة هود آية : ١٥ - ١٦ .

قال الله تعــالى: { šÆ ߊ x‹ÅJ ‹ $Âc rß `Ï X/ö‘ ÏiΒ Èβρߊ «!$# yx‹Å¡yϑø9$#uρ

šc qà2 Ìô±ç $£ϑtã ¼çμtΡ»ysö6ß qèδ ωÎ) tμ»s9Î) Hω #Y‰Ïm≡uρ $Yγ»s9Î) (#ÿρß‰ç6÷èu‹Ï9 ωÎ) (#ÿρâÉDé& !$tΒuρ

ÇÌÊÈ } [1] (التوبة: ٣١).

وتفسير الآية الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصيـــة (أي في تبديل حكـــم الله) لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي r لعدي بن حـــاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم ؟ فذكر له أن عبادهم طاعتهم في المعصيـــة (في تبديل حكـــم الله)، فقال: { أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون مـــا حرم الله فتحلونه } ، قال: بلى. قال: { فتلك عبادتهم } ، رواه الترمذي وحسنه، والطبراني في المعجم الكبير [2] .

٤ - شرك المحبة، والمراد محبة العبودية المستلزمة للإجـــلال والتعظيـــم والذل والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له، ومتى صرف العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر، والدليل قوله تعـــالى: { šÆ ÏΒuρ Ä¨$¨Ζ9$# tΒ ä‹Ï‚−Gtƒ ÏΒ Èβρߊ «!$#

#YŠ#y‰Ρr& öΝåκtΞθ™7Ïtä† Éb=ßsx. «!$# (} [3] (البقرة: ١٦٥).

٢- النوع الثاني من أنواع الشرك، الشرك الأصغر:

وهو كل ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه أو مـــا جاء في النصوص تسميته شركا ولم يصل إلى حد الأكبر، وهو يقع في هيئـــة العمل وأقوال اللسان. وحكمه تحت المشيئة كحكم مرتكب الكبيرة.

ومن أمثلته ما يلي:

---

(1) سورة التوبة آية : ٣١ .

(2) سنن الترمذي برقم (٣٠٩٥) ، والمعجم الكبير للطبراني (١٧ / ٩٢) .

(3) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

أ- يسير الرياء، والدليل ما رواه الإمام أحمد وغيره عن النبي r أنه قال: { إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: ومـــا الشـــرك الأصغر يا رسول الله قال: (الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جـــازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء } (1) (2) .

ب- قول: " ما شاء الله وشئت "، روى أبو داود في سننه عن النبي r { لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شـــاء الله ثم شـــاء فلان } (3) (4) .

ج- قـــول: " لـــولا الله وفـــلان "، أو قول: " لـــولا البـــط لأتانـــا اللصوص "، ونـــحو ذلك، روى ابـــن أبـــي حاتم في تفسيره عـــن ابـــن عبـــاس رضـــي الله عنهمـــا في معنى قـــوله تعـــالى: { ÇËÈ šc qß=è? NçFR&r #Š#‰R& ¬! (qè=yèøgB Ÿxù } (5) قـــال: " الأنداد هو الشـــرك أخفى مـــن دبيب النمل على صفاة ســـوداء في ظلمة الليـــل، وهـــو أن تقـــول: والله وحياتـــك يـــا فلانـــة وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصـــوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لأصحابه: مـــا شـــاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا، هذا كلـــه بـــه شرك " (6).

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، أهمها ما يلي:

---

(1) أحمد (٥/٤٢٨) .

(2) مسند أحمد (٥ / ٤٢٨) ، قال المنذري إسناده جيد ، الترغيب والترهيب (١ / ٤٨) ، وقال الهيثمي : رجالـــه رجال الصحيح ، مجمع (١/ ١٠٢) .

(3) أبو داود الأدب (٤٩٨٠) ، أحمد (٥/٣٩٩) .

(4) سنن أبي داود برقم (٤٩٨٠) ، قال الذهبي في مختصر البيهقي (١ / ١٤٠ / ٢) إسناده صالح .

(5) سورة البقرة آية : ٢٢ .

(6) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٦٢) .

١ - أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

٢- أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

٣- أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

٤- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليه الجنة، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب.

المطلب الثاني: الكفر.

أ- **تعريفه:** الكفر لغة يطلق على الستر والتغطية.

وشرعا: ضد الإيمان، وهو: عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عن شك وريب، أو إعراض عن ذلك حسدا وكبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة.

ب- أنواع الكفر:

الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

أولا: الكفر الأكبر:

وهو خمسة أنواع:

أ- كفر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا فقد كفر، والدليل قوله تعالى:

} ôBr ã‐ß&÷ ÏiB ÉÇJÏ9 Žl3 ã?’$‘ ¤ 2ŸÉ/$ ‹& ¤ . ¤< ‹ü2 sÉ€ 9$# `!äy_ ‹ö§& ‹ü§ Î’ _‹ÏAB Ÿ’ “

ûï̍Ïÿ»6 ÈÇÊÑÈ { (العنكبوت: ٦٨) (1).

٢ - كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يكون عالما بصدق الرســول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارا وعنادا، والدليل قوله تعالى: } øŒÎ)ur $oYù=è% Ïps3Í´¯»n=uKù=Ï9 (#r߉àfó™$# tPyŠKy (#ÿr߉yf|¡sù HwÎ) }§ŠÎ=ö/Î) 4’n1r& uŽy9õ3tFó™$#ur tb%x.ur z`ÏB šúï̍Ïÿ»s3ø9$#

ÈÍÌÇ { (البقرة: ٣٤) (2).

٣ - كفر الشك، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال لــه كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: } Ÿz Šr @z tA$s% çms9 ¼çmç7Ïm$|¹ uqèdur ¼çnâ‘Ír$ptä† |Nöxÿx.r& “Ï%©!$$Î/ y7s)n=s{ `ÏB 5>#tè? ¢OèO `ÏB 7pxÿõÜœR ¢OèO y71§qy™ Wxã_u‘ ÇÌÐÈ $O¨Ypº©9 uqèd ª!$# ’În1u‘ Iwur à8ÎŽõ°é& þ’În1tÎ/ #Y‰tnr& ÇÌÑÈ { (الكهف: ٣٥ - ٣٨) (3).

٤ - كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعــرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول r والدليل قوله تعالى: } tûïÏ%©!$#ur (#rãxÿx. !$£Jtã (#râ‘É‹Ré& šcqàÊ̍÷èãB

ÇÌÈ { (الأحقاف: ٣) (4).

---

(1) سورة العنكبوت آية : ٦٨ .
(2) سورة البقرة آية : ٣٤ .
(3) سورة الكهف آية : ٣٥ - ٣٨ .
(4) سورة الأحقاف آية : ٣ .

٥ - كفر النفاق، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطـــن الكفر [1]

والدليل قوله تعالى: { bqß)ÿ9$# ¨bÎ) ôÏÎ7Ïx îÎû 4’n?tã ¨ä¹ÉÎ÷Ï. ÏŒ¨ßÏÎ$#4 4 ŸwÉ ÇÌÈ } [2] (المنافقون: ٣).

والنفاق على ضربين:

١ - نفاق اعتقاد وهو كفر أكبر ناقل من الملة وهـــو ســـتة أنـــواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغـــض ما جاء به، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصـــار ديـــن الرسول.

٢ - ونفاق عملي وهو كفر أصغر لا ينقل من الملة، إلا أنـــه جريمـــة كبيرة وإثم عظيم، ومنه ما ذكره النبي r في الحديث حيث قال: { أربـــع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كـــانت فيـــه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حـــدث كـــذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر } [3] متفق عليه [4].

وقال عليه الصلاة والسلام: { آية المنافق ثلاث: إذا حدث كـــذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان } [5]، رواه البخاري [6].

---

(1) مدارج السالكين (١ / ٣٤٦) .

(2) سورة المنافقون آية : ٣ .

(3) البخاري الإيمان (٣٤) ، مسلم الإيمان (٥٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢٠) ، أبو داود السنة (٤٦٨٨) ، أحمد (١٨٩/٢) .

(4) صحيح البخاري برقم (٣٤) ، وصحيح مسلم برقم (٥٨) .

(5) البخاري الإيمان (٣٣) ، مسلم الإيمان (٥٩) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣١) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢١) ، أحمد (٥٣٦/٢) .

(6) صحيح البخاري برقم (٣٣) .

ثانيا: الكفر الأصغر:

وهو لا يخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلى حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:

ما ورد في قوله تعالى: } $g‹ÏŸÙ ÞŽÎJÖB ÞŸB#ä ÔMR$Ÿ2 Þ÷Ö WWB ª!$ >ŽÏÑr

(qç$Ÿ2 $JÎ Åš ö, ß$ Æ£ã ß$ ¨ $6Ï ª!$ $g%ŒÙ « $ÉãR‑Î ÔN•ÿ 6 ù 5%3B ©ä `Ï #%î ‘ $g©á

ÇÊÊÈ šc qãZÓÁ ƒ { (1) (النحل: ١١٢).

وفي قوله **r** } اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت { (2) ، رواه مسلم (3) .

وفي قوله **r** } لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض { (4) ، رواه البخاري ومسلم (5).

فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.

لقوله تعالى: } $Jß1%‑nÎ ÔMó/ bÎù $Jåq•/ (qßs Î=ô¹'ù (qè=G%$û üZÏBs=ßJø9$ `ÏB Èb$Gÿí$Û bÎr

Éô%è@ß $Jåq•/ (qßs Î=ô¹'ù ÔNä$ù bÎù « $ÌB& #‹Î äþÅ? 4Óm Óèö7? ÓÉL$ (qè=»)ù 3“•z W$ ’?ã

©!$ (qà)?$ ö3ƒq z& ûü/ (qßs Î=ô¹'ù ×q z Î bqãZÏBs=ßJø9$ $JRÎ ÇÒÈ šú üÜÅ¡)ßJø9$ =Ït ©!$ bÎ (þqäÜÅ¡ø%r

ÇÊÈ bqçHxq ö?è@ /ä3ª=yès9 { (6) (الحجرات: ٩، ١٠)، فسماهم الله **U** مؤمنين مع الاقتتال.

---

(1) سورة النحل آية : ١١٢ .

(2) مسلم الإيمان (٦٧) ، الترمذي الجنائز (١٠٠١) .

(3) صحيح مسلم برقم (٦٧) .

(4) البخاري العلم (١٢١) ، مسلم الإيمان (٦٥) ، النسائي تحريم الدم (٤١٣١) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٤٢) ، أحمد (٤/٣٥٨) ، الدارمي المناسك (١٩٢١) .

(5) صحيح البخاري برقم (١٢١) ، وصحيح مسلم برقم (٦٥) .

(6) سورة الحجرات آية : ٩ ، ١٠ .

ولقوله تعالى: } ¨bÎ) ©!$# Ÿw ãÏÿøótƒ br& x8uŽô³ç„ ¾ÏmÎ/ ãÏÿøótƒur $tB tbrߊ y7Ï9ºsŒ `yJÏ9 âä!$t±o„ 4 `tBur õ8ÎŽô³ç„ «!$$Î/ ωs)sù #“uŽtIøù$# $¸JøOÎ) $¸JŠÏàtã ÇÍÑÈ { [1] (النساء: ٤٨)، فدلـــت الآية الكريمة على أن كل ذنب دون الشرك تحت المشيئة أي إن شـــاء الله عذبـــه بقدر ذنبه وإن شاء عفا عنه من أول وهلة، إلا الشرك به فإن الله لا يغفـــره كما هو صريح في الآية وقوله تعالى: } çm¯RÎ) `tB õ8ÎŽô³ç„ «!$$Î/ ô‰s)sù tP§ym ª!$# Ïmø‹n=tã sp¨Ypgø:$# çm1urù'tBur â‘$¨Z9$# ( $tBur šúüÏHÍ>»©à=Ï9 ô`ÏB 9$|ÁRr& ÇÐËÈ { [2] (المائدة: ٧٢).

---

(1) سورة النساء آية : ٤٨ .

(2) سورة المائدة آية : ٧٢ .

المبحث الخامس: ادعاء علم الغيب وما يلحق به

الغيب هو كل ما غاب عن العقول والأنظار مـــن الأمـــور الحـــاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله U بعلمه واختص نفسه ســـبحانه بذلك.

قال الله تعـــالى: { ª! $Ÿ̆wÎ |=ø‹øó9$# ÏNºuq»yJ¡¡9$# ’Î `B Ð=è¯ Ÿw @è } (1) (النمل: ٦٥)، وقال تعالى: { ÇÚö‘F{$#ur ÏNºuq»yJ¡¡9$# Ü=øŠxî ¼çms9 } (2) (الكهف: ٢٦)، وقال تعالى: { ÇÊÈ ÉA$yètFßJø9$# çŽÎ6s3ø9$# Ío‰y‰»pk¤¶9$#ur É=ø‹tóø9$# ÞOÎ=»tã } (3) (الرعد: ٩).

فلا يعلم الغيب أحد إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن هو دونهما.

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: { Ü=øŠtóø9$# ãNn=ôãr& Iwur «!$# ßûÉî!#t“yz “ωΨÏã öNä3s9 ãAqè%r& Iwr& } (4) (هود: ٣١)، وقال تعالى عن هود عليه السلام: { «!$# y‰ZÏã ãNù=Ïèø9$# $yJ¯RÎ) A$s% } (5) (الأحقاف: ٢٣)، وقال تعـــالى لنبيـــه محمد عليه الصلاة والسلام: { |=øŠtóø9$# ãNn=ôãr& Iwur «!$# ãûÉî!#t“yz “ωΨÏã öNä3s9 ãAqè%r& Hw @è } (6) (الأنعام: ٥٠)،

وقـــال تعـــالى: { ’ÎoTrâÏ«/Rr& A$s)ù Ïps3Í×¯»n=yJø9$# ’?ã öNåkyÎz •ä NèO $yg¯=à2 uä!$oÿôœF{$# tPyŠ#uä zN¯=tæur ÇÊÈ tûüÏ%Ï‰»|¹ ÷LäêZà2 bÎ) ÏäIwàs¯»yd Ïä!$yJó™r'Î/ $uZtFôJ¯=tã $tB žwÎ) !$uZs9 zNù=Ïã Ÿw y7oY»ysö6ß™ (#qä9$s% ÇËÊÈ } (7) (البقرة: ٣١- ٣٢).

---

(1) سورة النمل آية : ٦٥ .

(2) سورة الكهف آية : ٢٦ .

(3) سورة الرعد آية : ٩ .

(4) سورة هود آية : ٣١ .

(5) سورة الأحقاف آية : ٢٣ .

(6) سورة الأنعام آية : ٥٠ .

(7) سورة البقرة آية : ٣١ - ٣٢ .

ثم إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريـــق الوحي، كما قال تعالى: { ¼çRÎû ÄqßŠ `Ï ÏµÓ?ŒÜ$ÇB žwÎ) ÇÆÈ #‰n& ÿÏnÎ6ø‹xî 4’n?ã ãÎgôàã Ÿxsù É=ø‹tóø9$# ãNÎ=»tã ÈbÎ%9 $Jß Þ‰nír ÏÿÎ# ÌM»=»™Í ‡qãè?ûà ô‰s% bs& O=è÷èu‹Ï9 ÇËÐÈ #Y‰|¹ ‘ ¾ÏmŠyèz ôÏBr ÏmƒÏ‰÷ƒ Èû÷/ .`Ï ã7è=ó„ } ÇËÑÈ #´‰tã äóÜ« @ä ÓÅÂômr&r } [1] (الجن: ٢٦-٢٨)، وهذا من الغيب النسبي الذي غـــاب علمـــه عـــن بعـــض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا هو سبحانه، ومـــن ذا الذي يدعي علمه وقد استأثر الله به.

ولهذا فإن الواجب على كل مسلم أن يحذر من الدجاجلة والكذابـــين المدعين لعلم الغيب المفترين على الله، الذين ضلوا في أنفسهم وأضلوا كثـــيرا وضلوا عن سواء السبيل، كالسحرة والكذابين والمنجمين، وغيرهم.

وفيما يلي عرض لجملة من أعمال هؤلاء التي يدعون بها علم الغيـــب، ويضلون بها عوام المسلمين وجهالهم، ويفسدون بها عقيدتهم وإيمانهم.

١ - **السحر:** وهو في اللغة ما خفي ولطف سببه.

وفي الاصطلاح هو عزائم ورقى وعقد يؤثِّر في القلـــوب والأبـــدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله، وهو كفر، والساحر كـــافر بالله العظيم، وما له في الآخرة من خلاق، قال الله تعالى: { (#qãè7?$#ur $tB (#qè=÷Gs? ßûüÏÜ»u‹¤±9$# 4’n?tã Å7ù=ãB z`»yJøŠn=ß ( $tBur txÿx. ß`»yJøŠn=ß £`Å3»s9ur šúüÏÜ»u‹¤±9$# (#rãxÿx. tbqßJÏk=yèム} $¨Z9$# tósÅb¡9$# !$tBur tAÌRé& n?tã Èû÷üs3n=yJø9$# ŸV ÍnÎ/$t/ šVrã»ydur šVrãºtBur 4 $tBur Èb$yJÏk=yèムô`ÏB >‰tnr& 4Ó®Lym Iwqà)tƒ $yJ¯RÎ) ß`øtwU ×puZ÷FÏù Ÿxsù öàÿõ3s? ( tbqßJ¯=yètGuŠsù $yJåk÷]ÏB $tB tbqè%Ìhxÿãƒ ¾ÏmÎ/ šú÷üt/ ÏäöyJø9$# ¾ÏmÅ_÷ry—ur 4 $tBur Nèd tûïÍh‘!$ŸÒÎ/ ¾ÏmÎ/ ô`ÏB >‰tnr& žwÎ) ÈbøŒÎ*Î/ «!$# 4 tbqßJ¯=yètGtƒur $tB öNèdÞØtƒ Ÿwur öNßgãèxÿZtƒ 4 ô‰s)s9ur (#qßJÎ=tã Ç`yJs9 çm1uŽtIô©$# $tB ¼çms9 ’Îû ÍotÅzFy$# ô`ÏB 9,»n=yz 4 }§ø¤Î6s9ur $tB (#÷rtx© ÿ¾ÏmÎ/ öNæh|¡àÿRr& 4 öqs9 (#qçR%x. šcqßJn=ôètƒ ÇÊÉËÈ } [2] (البقرة: ١٠٢).

---

(1) سورة الجن آية: ٢٦ - ٢٨ .

(2) سورة البقرة آية: ١٠٢ .

ومنه النفث في العقد، قال الله تعالى: { `Br ÇÏÈ ,={ $B Îÿ `Ë ÇÏÈ Ê=y#$# •Î ëqã‹ @ê

. [1] { ÇÎÈ ‰|¡ m #Œ) ‰Å%n Ìhc `Br ÇÍÈ ‰)ã#$ † Î Ì M»V»ÿZ9$#Ìhc `Br ÇÌÈ |=%r #Œ) @Å%ñ Îÿ

٢ - **التنجيم:** وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله r { من اقتبس علما من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد } [2]، رواه أبـــو داود [3].

٣ - **زجر الطير والخط في الأرض:** فعن قطن بن قبيصة عن أبيه قـــال: سمعت رسول الله r يقول: { العيافة والطيرة والطرق من الجبت } [4] [5] أي من السحر، والعيافة زجر الطير والتفاؤل والتشاؤم بأسمائها وأصواتها وممرها، والطرق الخـــط يخط في الأرض، أو الضرب بالحصى وادعاء علم الغيب.

٤ - **الكهانة:** وهي ادعاء علم الغيب، والأصل فيها اســـتراق الجـــن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن.

عن أبي هريرة t عن النبي r قال: { من أتى كاهنـــا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنـــزل على محمد r } [6] رواه أبو داود وأحمـــد والحاكـــم [7].

(1) سورة الفلق آية : ١ - ٥ .
(2) أبو داود الطب (٣٩٠٥) ، ابن ماجه الأدب (٣٧٢٦) ، أحمد (١/٢٢٧) .
(3) سنن أبي داود برقم (٣٩٠٥) .
(4) أبو داود الطب (٣٩٠٧) ، أحمد (٣/٤٧٧) .
(5) سنن أبي داود برقم (٣٩٠٧) ، ومسند أحمد (٣ / ٤٧٧) .
(6) الترمذي الطهارة (١٣٥) ، أبو داود الطب (٣٩٠٤) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٣٩) ، أحمد (٢/٤٢٩) ، الدارمي الطهارة (١١٣٦) .
(7) سنن أبي داود (٣٩٠٤) ، ومسند أحمد (٢ / ٤٢٩) ، المستدرك (١ / ٥٠) قال الحاكم صحيح على شـــرط الشيخين ووافقه الذهبي .

٥ - **كتابة حروف أبا جاد:** وذلك بأن يجعل لكل حرف منها قـــدرا معلوما من العدد ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنـــة والأمكنـــة، ثم يحكم عليها بالسعود أو النحوس ونحو ذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوم يكتبون أبا جاد، وينظـــرون في النجوم: ((ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق))، رواه عبد الرزاق في المصنف [1] .

٦ - **القراءة في الكف والفنجان** ونحو ذلك مما يدعي به بعض هـــؤلاء معرفة الحوادث المستقبلة من موت وحياة وفقر وغنى وصحة ومرض ونحـــو ذلك.

٧ - **تحضر الأرواح:** ويزعم أربابه أنهم يستحضرون أرواح الموتـــى ويسألونها عن أخبار الموتى من نعيم وعذاب وغير ذلك، وهو نـــوع مـــن الدجل والشعوذة الشيطانية، ويراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبيـــس على الجهال وأكل أموالهم بالباطل والتوصل إلى دعوى علم الغيب.

٨ - **التطير:** وهو التشاؤم بالسوانح والبوارح مـــن الطـــير والظبـــاء وغيرها، وهذا باب من الشرك وهو من إلقاء الشيطان وتخويفه.

فعن عمران بن حصين مرفوعا: { ليس منا من تطير أو تطـــير لـــه، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقـــول فقد كفر بما أنـــزل على محمد r } ، رواه البزار [2] .

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين، ويمنحهم الفقه في الدين، ويعيذهم من خداع المجرمين وتلبيس أولياء الشياطين.

---

(1) المصنف (١١ / ٢٦) .

(2) مسند البزار (٩ / ٥٢) (٣٥٧٨) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١١٧) رجاله رجال الصحيح .

الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: الإيمان بالأسماء والصفات وأثر ذلك على المسلم.

المبحث الأول: تعريفه وأدلته.

أولا: تعريفه.

ثانيا: المنهج الحق في إثباته.

ثالثا: أدلة هذا المنهج.

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء
والصفات في ضوء الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: قواعد في باب الأسماء والصفات.

التمهيد

الإيمان بالأسماء والصفات

وأثر ذلك في سلوك المسلم

إن للإيمان بأسماء الله وصفاته آثارا عظيمة في نفس المسلم وتحقيقه لعبادة ربه. فمن آثارها تلك المعاني التي يجدها العبد في عبوديته القلبية التي تثمــر التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه، وحفظ جوارحه، وخطرات قلبــه، وضبط هواجسه حتى لا يفكر إلا فيما يرضي الله تعالى، ويحــب لله وفي الله، به يسمع، وبه يبصر، ومع ذلك هو واسع الرجاء وحسن الظن بربه.

هذه المعاني وغيرها مما يتعلق بالإيمان بمعاني الأسماء والصفـــات تثمــر العبودية الظاهرة والباطنة على تفاوت بين شخص وآخر وذلك فضـــل الله يؤتيه من يشاء.

فلاسمه "الغفار" أثره العظيم في محبته وعدم اليأس من رحمتــه ولاسمــه " شديد العقاب " أثره الكبير في خشيته وعدم الجرأة على محارمه. وهكـــذا لأسمائه الأخرى وصفاته آثارها بحسب دلالاتها المتنوعة في نفـــس المســـلم واستقامته على شرع الله بل وتحقيق محبته في القلوب التي هي أساس ســـعادة المسلم في الدنيا والآخرة، ومفتاح كل خير وأعظم عون للعبد على عبادتـــه لربه على أكمل الوجوه إذ الأعمال الظاهرة تخف وتثقل على النفس بحســـب المحبة القلبية لله تعالى.

فإكمال العمل وتحسينه على ما أراد الله منوط بالمحبة القلبية لله. والمحبـــة منوطة بمعرفة الله بأسمائه وصفاته. ولهذا كان أعظم الناس عبادة لله رســـل الله الذين هم أعظم الناس محبة له وأعرفهم به.

المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات وأدلته

أولا: تعريفه:

توحيد الأسماء والصفات: هو إثبات ما أثبت الله لنفسه، وأثبته له رسوله r ونفي ما نفى الله عن نفسه، ونفاه عنـــه رســـوله r مـــن الأسمـــاء والصفات والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ودلالاتها واستشعار آثارهـــا ومقتضياتها في الخلق.

ثانيًا: المنهج في إثباته:

يقوم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات على الإيمان الكامل والتصديق الجازم بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله r من غـــير تحريـــف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والتحريف: هو التغيير وإمالة الشيء عن وجهه. وهو قسمان:

١ - تحريف لفظي. وذلك بالزيادة في الكلمة أو النقص أو تغيير حركة في الكلمة كتحريف كلمة استوى في قولـــه تعـــالى: { ÇÎÈ 3“ qGöÍ$Ä ö èø$’?ã ß»Hq§9$ } [1] (طه: ٥) إلى استولى. قال صاحب النونيـــة:

نـــون اليـــهود ولام جهمي هما   في وحي رب العرش زائدتان

٢ - تحريف معنوي. وذلك بتفسير اللفظ على غير مراد الله ورسوله منـــه كمن فسر " اليد " لله تعالى بالقوة أو النعمة. فإن هذا تفسير باطل لا يـــدل عليه الشرع ولا اللغة.

والتعطيل: هو نفي صفات الله تعالى كمن زعم أن الله تعالى لا يتصـــف بصفة.

(1) سورة طه آية : ٥ .

والفرق بين التحريف والتعطيل هو أن التحريف نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنى آخر غير صحيح أما التعطيل فهو نفـــي المعنى الصحيح من غير استبدال له بمعنى آخر.

والتكييف: تعيين كيفية الصفة والهيئة التي تكون عليها كفعـــل بعـــض المنحرفين في هذا الباب الذين يكيفون صفات الله فيقولون كيفية يده: كـــذا وكذا، وكيفية استوائه على هيئة كذا وكذا. فإن هذا باطل إذ لا يعلم كيفية صفات الله إلا هو وحده وأما المخلوقون فإنهم يجهلون ذلك ويعجزون عـــن إدراكه.

والتمثيل: هو التشبيه كمن يقول لله سمع كسمعنا ووجه كوجوهنا تعـــالى الله عن ذلك.

وينتظم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات في ثلاثة أصول من حققـــها سلم من الانحراف في هذا الباب. وهي:

الأصل الأول: تنـــزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

الأصل الثاني: الإيمان بما سمى ووصف الله به نفسه وبما سماه ووصفه بـــه رسوله **r** على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته.

الأصل الثالث: قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله تعـــالى لأن إدراك المخلوق لذلك مستحيل.

فمن حقق هذه الأصول الثلاثة فقد حقق الإيمان الواجب في باب الأسمـــاء والصفات على ما قرره الأئمة المحققون في هذا الباب.

ثالثًا: أدلة هذا المنهج:

دلت الأدلة من كتاب الله تعالى على تقرير هذا المنهج.

فمن الأدلة على الأصل الأول: وهو تنـــزيه الرب **U** عن مشابهة المخلوقين، قول الله تبارك وتعـــالى: { ÇÈ ×ÅÁ 7ÏÆ$ ßŠÜ¡ 9Ÿ$ qèdr ãÏÜt « ¾ÏÎÎ=ÏW . §ø‹s9 } [1] (الشورى: ١١). ومقتضى الآية نفي المماثلة بين الخالق والمخـــلوق من كل وجه مع إثبات السمع والبصر لله **U** وفي هذا إشـــارة إلى أن ما يثبت لله من الســـمع والبصر ليس كما يثبت للمخلوقين من هاتين الصفتين مع كثـــرة من يتصف بهما من المخلوقين. وما يقال في الســـمع والبصر يقال في غيرهما من الصفات. واقرأ قوله تعـــالى: { Aöç% ª! $ìÏÜ™ ‰s% ÇÈ ÎŽÅÁ/ 7‹Ïœ ©!$bÎ) $Jä'ãtB ßJó¡ªƒ ª!$ ‹! $ † ‹Î) þÅGã¤r $gÅ_ÎŠ—’Î 7ø‰yèÅ ÓÉ9$ } [2] .

أورد ابن كثير في تفسير الآية مـــا رواه البخـــاري في التوحيـــد (١٣ ٣٧٢) والإمام أحمد في المسند (٦ ٤٦) عن عائشة رضي الله عنـــها قالت: " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي **r** تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع فأنزل الله عز وجـــل { $gÅ_ÎŠ—’Î 7ø‰yèÅ ÓÉ9$Aöç% ª! $ìÏÜ™ ‰s% } [3] .... إلى آخر الآية ". [4] .

ومن الأدلة أيضًا قول الله تعالى: { A$VÏRF{$# ¬! (#qç/ÎŽôØs? Ÿxsù } [5] (النحل: ٧٤). قال الطبري في تفسير الآية: " فلا تمثلوا لله الأمثال ولا تشبهوا له الأشباه فإنه لا مثل له ولا شبه " [6] .

وقال تعالى: { ÇÎÈ $wŠÏJy™ ¼çms9 ÞOn=÷ès? ö@yd } [7] (مريَم: ٦٥) قال ابن عبـــاس رضي الله عنهما في تفسيرها: " هل تعلم للرب مثلًا أو شبيهًا ".

---

(1) سورة الشورى آية : ١١ .

(2) سورة المجادلة آية : ١ .

(3) سورة المجادلة آية : ١ .

(4) ابن كثير (٨/ ٦٠) .

(5) سورة النحل آية : ٧٤ .

(6) الطبري (٧ / ٦٢١) .

(7) سورة مريم آية : ٦٥ .

ومن الأدلة لهذا الأصل: قول الله تبارك وتعالى: { ö@9r `ßf ¼ã© `#qàÿà2 %mm& } (الإخلاص: ٤) [1] قال الطبري: " و لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء ".

ومن الأدلة على الأصل الثاني: وهو الإيمان بما جاء في الكتاب والســـنة من أسماء الله وصفاته، قول الله **U** { $! ª w ÏmÎ9) žwÎ) uqèd ÓÓy$I9$# ãPqs)ø9$# w ¼çäè{ù's? ×puZÅ™ Ÿwur ×PöqtR 4 ¼çm© $B 'Î $Br 'Ïû ÇÚö'F $# 3 `B #Œ "Ï%©! $# ßìxÿô±o„ ÿ¼çny‰YÏã žwÎ) ¾ÏmÏRøŒÎ*Î/ 4 ãNn=÷èt $tB šú÷üt/ öNÍkÏ‰÷ƒr& $tBur öNßgxÿù=yz ( Ÿwur tbqäÜÏtä† &äóÓy´Î/ ô`ÏiB ÿ¾ÏmÏJù=Ïã žwÎ) $yJÎ/ uä!$x© 4 yìÅ™ur çmÅ‹Å™öä. ÏNºuq»yJ¡¡9$# uÚö'F$#ur (Ÿwur ¼çnߊqä«tƒ $uKßgÝàøÿÏm 4 uqèdur 'Í?yèø9$# ÞOŠÏàyèø9$# } (البقرة: ٢٥٥) [2]. وقوله تعـــالى: { uqèd ãA¨rF$# ãÅzFy$#ur ãÎg»©à9$#ur ß`ÏÛ$t7ø9$#ur ( uqèdur Èe@ä3Î/ >äóÓx« íOŠÎ=tæ } (الحديد: ٣) [3]. وقوله تعالى: { uqèd ª! $# "Ï%©! $# Iw tm»s9Î) žwÎ) uqèd ( ãNÎ=»tã É=øŠtóø9$# Íoy‰»pk¤¶9$#ur ( uqèd ß`»oH÷q§ 9$# ÞOŠÏm§ 9$# ÇËËÈ uqèd ª! $# "Ï%©! $# Iw tm»s9Î) žwÎ) uqèd à7Î=yJø9$# â¨rä'à)ø9$# ãN»n=¡¡9$# ß`ÏB÷sßJø9$# ß`ÏJøŠygßJø9$# â"ƒÍ"yèø9$# â'$¬6yfø9$# çŽÉi9x6tGßJø9$# 4 z`»ysö6ß™ «! $# $£Jtã šcqä.Ύô³ç ÇËÌÈ uqèd ª! $# ß,Î=»sƒø:$# ä—Í'$t7ø9$# â'Èhq|ÁßJø9$# (ã&s! âä!$oÿôœF{$# 4Óo_ó¡çtø:$# 4 ßxÎm7|¡ç ¼çms9 $tB 'Î ÏNºuq»yJ¡¡9$# ÇÚö'F$#ur (uqèdur â"ƒÍ"yèø9$# ÞOŠÅ3ptø:$# ÇËÍÈ } (الحشر: ٢٢ - ٢٤) [4].

ومن السنة حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه قال: كـــان رسول الله **r** يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: { اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنـــوى، ومنـــزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل دابة أنـــت آخـــذ بناصيتها. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت

(1) سورة الإخلاص آية : ٤ .

(2) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(3) سورة الحديد آية : ٣ .

(4) سورة الحشر آية : ٢٢ - ٢٤ .

الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدَّيْن وأغْنِنا من الفقر } [1] [2] . والنصوص في تقرير هذا الباب كثيرة تجل عـــن الحصر.

وأما الأصل الثالث وهو قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله تبـــارك وتعالى فقد دل عليه قول الله تعالى: { $Vüã ¾ïnÎ šc qãü‹tã Ÿwr ÿßgÿüz $Br ßÍ‰Ïõfã ûü/ $B Ð÷èf Çïè } [3] (طه: ١١٠). قال بعض أهل العلم في معنى الآية: " لا إحاطة للعلم البشري برب السماوات والأرض فينفي جنس أنواع الإحاطـــة عـــن كيفيتها ".

ومن الأدلة لهذا الأصل أيضًا قول الله تعـــالى: { ãÍf‰ã qèr ãÁ‹Ïf $qçà2 Íf‰è žw •»Á‹Ïf $ } [4] (الأنعام: ١٠٣) قال بعض العلماء في معرض حديثه عن الآية: " وهذا يدل على كمال عظمته وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكـــمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك وهو الإحاطة بالشيء قدر زائد علـــى الرؤية فالرب يرى في الآخرة ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط بعلمه ". وينبغي للعاقل أن يعلم أن للعقل حدا يصل إليه ولا يتعداه كما أن للسمع والبصر حدا ينتهيان إليه، فمن تكلف ما لا يمكن أن يدرك بالعقل كالتفكر في كيفية صفات الله، فهو كالذي يتكلف أن يبصر ما وراء الجدار أو يسمع الأصوات في الأماكن البعيدة جدا عنه.

---

(1) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧١٣) ، الترمذي الدعوات (٣٤٨١) ، أبو داود الأدب (٥٠٥١) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٣١) ، أحمد (٢/٤٠٤) .

(2) صحيح مسلم برقم (٢٧١٣) .

(3) سورة طه آية : ١١٠ .

(4) سورة الأنعام آية : ١٠٣ .

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء والصفات في ضوء الكتاب والسنة

دل الكتاب والسنة على إثبات الأسماء والصفات للرب عـــز وجـــل في مواطن كثيرة من أوجه متعددة وفي سياقات متنوعة.

والأسماء والصفات الثابتة بالكتاب والسنة كثيرة جدًّا دونت فيها الكتـــب والمصنفات وعد أهل العلم الكثير منها. ونذكر هنا طائفة منها على ســـبيل التمثيل لا الحصر.

فمن أسماء الله تعالى:

الحي والقيوم:

وقد دل على هذين الاسمين الكتاب والسنة. فمن الكتاب قول الله تعـــالى: { $ ª! w m»9Ï ŸwÎ) uqèd ÓyÕø9$# ãPqè)ø9$# } [1] (البقرة: ٢٥٥). ومن السنة حديث أنس بـــن مالك t قال: كنا مع النبي r في حلقة ورجل قائم يصلي فلمـــا ركـــع وسجد وتشهد ودعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إلـــه إلا أنت بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. فقال النبي r { لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى } [2] [3].

الحميد:

وقد دل عليه قـــول الله عـــز وجـــل: { (#þqßJn=ôã$#ur ¨br& ©!$# ;ÓÍ_xî îŠÏJym } [4] (البقرة: ٢٦٧). ومن السنة حديث كعب بن عُجْرَة في التشـــهد أن النبي r

(1) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(2) الترمذي الدعوات (٣٤٧٥) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٥٧) .

(3) رواه الحاكم برقم (١٨٥٦) وقال : صحيح على شرط مسلم ووفقه الذهبي .

(4) سورة البقرة آية : ٢٦٧ .

علمهم أن يقولوا: { اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد }[1] (...)[2] .

الرحمن والرحيم:

وقد دل عليهما قول الله تعالى: { ÉOó¡Î0 «!$# Ç`»uH÷q§9$# ÉOÏm§9$# ÇÊÈ ßôJptø:$# ¬! Å_Uu' úüÏJn=»yèø9$# ÇËÈ Ç`»uH÷q§9$# ÉOÏm§9$# ÇÌÈ }[3] (الفاتحة: ٢، ٣).

ومن السنة أمر النبي r كاتبه يوم الحديبية عند كتابة الصلح بينه وبين المشركين أن يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم)[4] .

الحليم:

ودليله من القرآن قوله تعالى: { ¼çmR) tb%x. $¸J‹Î=ym #Y‘qàÿxî ÇÍÊÈ }[5] (فاطر: ٤١).

ومن السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله r كان يقول عند الكرب: { لا إله إلا الله العظيم الحليم }[6] ..) الحديث.[7] .

---

(1) البخاري أحاديث الأنبياء (٣١٩٠) ، مسلم الصلاة (٤٠٦) ، الترمذي الصلاة (٤٨٣) ، النسائي السهو (١٢٨٨) ، أبو داود الصلاة (٩٧٦) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٠٤) ، أحمد (٢٤٤/٤) ، الدارمي الصلاة (١٣٤٢) .

(2) صحيح البخاري برقم (٣٣٧٠) ، ومسلم برقم (٤٠٦) .

(3) سورة الفاتحة آية : ٢ ، ٣ .

(4) صحيح البخاري برقم (٢٧٣١) .

(5) سورة فاطر آية : ٤١ .

(6) البخاري الدعوات (٥٩٨٥) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٣٠) ، الترمذي الدعوات (٣٤٣٥) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٨٣) ، أحمد (٢٨٠/١) .

(7) رواه البخاري برقم (٦٣٤٥) ، ومسلم برقم (٢٧٣٠) .

ومن صفات الله:

القدرة:

وهي صفة ذاتية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة. ومعنى ذاتية: أي ملازمـــة لذات الله لا تنفك عنه سبحانه. قال تعالى: ﴿ ĵ c ©$žc ã?4ä ¨@ «ãõ ‰Ï Ï ÈËÇ ﴾ [1] (البقرة: ٢٠).

ومن السنة حديث عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى النبي r وجعًا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله r ﴿ضع يـــدك علـــى الذي تألم من جسدك، وقل: بسم الله ثلاثًا وقل، سبع مرات: (أعوذ بعـــزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ﴾ [2] [3] .

الحياة:

وهي من صفات الله الذاتية. وهي مشتقة من اسمه الحي وقد تقدم ذكـــر الأدلة عليها.

العلم:

صفة ذاتية لله تعالى وثبوتها بالكتاب والسنة. قال تعـــالى: ﴿ rŴ ãŠÅ ŠÎ ãbq ´ Ĩ ãõ Bô ÏãiÝ ÉÈ ﴾ [4] (البقرة: ٢٥٥). ومن السنة حديث جابر بن عبد الله أن النبي r كان يعلمهم أن يقولوا في الاستخارة: ﴿اللهم إني أستخيرك بعلمـــك وأستقدرك بقدرتك ﴾ [5] (... [6] .

---

(1) سورة البقرة آية : ٢٠ .

(2) مسلم السلام (٢٢٠٢) ، الترمذي الطب (٢٠٨٠) ، أبو داود الطب (٣٨٩١) ، ابن ماجه الطب (٣٥٢٢) ، أحمد (٤/٢١٧) ، مالك الجامع (١٧٥٤) .

(3) رواه مسلم برقم (٢٢٠٢) .

(4) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(5) البخاري الجمعة (١١١٣) ، الترمذي الصلاة (٤٨٠) ، النسائي النكاح (٣٢٥٣) ، أبو داود الصلاة (١٥٣٨) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٨٣) ، أحمد (٣/٣٤٤) .

(6) رواه البخاري برقم (٦٣٨٢) .

الإرادة:

وهي صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنة. والصفات الفعلية هـــي المتعلقَـــة بمشيئة الله وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها. قال تعـــالى: { ÿŽô„ ¼çƒÏ‰ãƒ ª!$ bÎ& ¼çmƒÏ‰ôgtƒ ÷yuŽô³o„ ¼çnu‘ô‰|¹ ÉO»n=óM~Ï9 (`tBur ÷ŠÌãƒ br& ¼ã&©#ÅÒãƒ ö@yèøgs† ¼çnu‘ô‰|¹ $¸)Íh‹|Ê %[`tym $yJ¯Rr'x. ߉¨è¢Át ’Îû Ïä!$yJ¡¡9$# } [1] (الأنعام: ١٢٥). ومن الســـنة حديـــث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله r يقـــول: { إذا أراد الله بقوم عذابًا، أصاب العذاب من كـــان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم } [2] [3].

العلو:

وهو صفة ذاتية ثابتة بالكتاب والسنة. قال تعـــالى: { ËxÎm7y™ zOó™$# y7În/u‘ ’n?ôãF{$# } [4] (الأعلى: ١). وقال تعالى: { šcöqèù$sƒs† Nåk®5u‘ `ÏiB óOÎgÏ%öqsù } [5] (النحـــل: ٥٠).

ومن السنة حديث أبي هريرة المتقدم في المبحث الأول في الذكر عند النـــوم وفيه: (... { اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليـــس بعـــدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونـــك شـــيء } [6] ...) [7].

---

(1) سورة الأنعام آية : ١٢٥ .

(2) البخاري الفتن (٦٦٩١) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٩) ، أحمد (٢/٤٠) .

(3) رواه مسلم برقم (٩٢٨٧) .

(4) سورة الأعلى آية : ١ .

(5) سورة النحل آية : ٥٠ .

(6) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧١٣) ، الترمذي الدعوات (٣٤٨١) ، أبو داود الأدب (٥٠٥١) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٣١) ، أحمد (٢/٥٣٦) .

(7) رواه مسلم برقم (٢٧١٣) .

الاستواء:

وهو صفة فعلية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة. قال تعالى: } ß»tq$$ ’?ã ëè$ Ą ÇÎÈ 3ˆ qG$ { [(1)] (طه: ٥). وعن قتادة بن النعمان t قال: سمعت رســـول الله r يقول: { لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه } [(2)]. ومعنى الاســتواء في لغة العرب: العلو والارتفاع، والاستقرار والصعود واستواء الله تعالى علـــى عرشه استواء يليق بجلاله.

الكلام:

وهو صفة ذاتية باعتبار النوع وصفة فعلية باعتبار أفراد الكلام فهو سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء بكلام مسموع، وقد دل على صفـــة الكـــلام الأدلة من الكتاب والســـنة. قـــال تعـــالى: } r.N$ ª! q‹ä ›4 ? 6òÎ$ ÇÊÏÍÈ { [(3)] (النساء: ١٦٤)، } r9$ `ä q‹ä ›4 šÜ)»Z$ r.J=q¼ ‘š%¼ A$ ‘ ÈÏ& bÎ× ãR$)ä •š { [(4)] (الأعراف: ١٤٣).

ومن السنة حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله r { احتـــج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال لــــه آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده } [(5)] ...) الحديث. [(6)].

---

(1) سورة طه آية : ٥ .

(2) رواه الذهبي في العلو برقم (١١٩) وقال : رواته ثقات ، رواه الخلال في كتاب السنة .

(3) سورة النساء آية : ١٦٤ .

(4) سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

(5) البخاري تفسير القرآن (٤٤٦١) ، مسلم القدر (٢٦٥٢) ، الترمذي القدر (٢١٣٤) ، أبو داود السنة (٤٧٠١) ، ابن ماجه المقدمة (٨٠) ، أحمد (٣١٤/٢) ، مالك الجامع (١٦٦٠) .

(6) رواه البخاري برقم (٦٦١٤) ، ومسلم برقم (٢٦٥٢) .

الوجه:

وهو صفة ذاتية خبرية ثابتة لله U بالكتاب والسنة. قال تعالى: } $Br

qãÿZè šc öθàÿΖè? $tΒ ur äì$ótGö/$# ŧ ô_ρ $ur } [1] (البقرة: ٢٧٢). وقوله: } r&ÿ+4 r ô_ρ ÏΒ7 r ê$øÿ=»@

$Y#•Q ÈÐ Ç } [2] (الرحمن: ٢٧)، ومن السنة حديث جابر بن عبد الله قال: (لما

نـــزلت: هذه الآية } è@ è$s)ø9$# ã?# b& ÿè] æø$3 ã<#$ B` ùθ$3 } [3] قال

النبي r } أعوذ بوجهك } [4]. فقـــال: } B` $MB â$3 } [5] فقال النبي r

} أعوذ بوجهك } [6]. قال } $#<è iÏ$3 } [7] (الأنعام: ٦٥). فقال النبي r

} هذا أيسر } [8] [9].

اليدان:

وهي صفة ذاتية خبرية لله U وثبوتها بالكتاب والسنة. قال تعالى: } ô@/ ÷$#%ÿ

BÏÝqÛG$è ã$Ÿÿß ø# ±,$ } [10] (المائدة: ٦٤). وقوله تعـــالى: } A$% Ÿ»ÿÎ$Š ß $B

ZBè7 b& Ÿ@ó % $J ?z Ÿ‰M Î<% £ } [11] (ص: ٧٥). ومن السنة حديـــث أبي موسى

---

(1) سورة البقرة آية : ٢٧٢ .

(2) سورة الرحمن آية : ٢٧ .

(3) سورة الأنعام آية : ٦٥ .

(4) البخاري تفسير القرآن (٤٣٥٢) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٦٥) ، أحمد (٣/٣٠٩) .

(5) سورة الأنعام آية : ٦٥ .

(6) البخاري تفسير القرآن (٤٣٥٢) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٦٥) ، أحمد (٣/٣٠٩) .

(7) سورة الأنعام آية : ٦٥ .

(8) البخاري تفسير القرآن (٤٣٥٢) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٦٥) ، أحمد (٣/٣٠٩) .

(9) رواه البخاري برقم (٧٤٠٦) .

(10) سورة المائدة آية : ٦٤ .

(11) سورة ص آية : ٧٥ .

الأشعري الذي رواه مسلم عن النبي r قال: { إن الله يبسط يــده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليـــل حتى تطلع الشمس من مغربها } [1] [2].

العينان:

وهي صفة ذاتية خبرية ثابتة لله U بالكـــتاب والسنة. فمن الكتـــاب قول الله تعالى: { ÇìÈ ûÓ_ãïã 4?ã ìŸóA ÿr } [3] (طه: ٣٩). وقوله تعالى: { 7ùãÕ$ /ÆÈ÷ $ ‎$Zïãä'ï } [4] (هود: ٣٧). ومن السنة حديث عبد الله بن عمـــر رضـــي الله عنهما في الصحيحين عن النبي r أنه قال: { إن الله لا يَخْفى عليكـــم إن اللّه ليس بأعور وأشار بيده إلى عينيه، وإن المسيح الدجال أعور العـــين اليمنى كأنّ عينه عنبة طافية } [5] [6].

القدم:

وهي صفة ذاتية ثابتة للرب U بالأحاديث الصحيحة. ومن ذلـــك حديث أبي هريرة في تحاجج الجنة والنار وفيه: (... { فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى

---

(1) مسلم التوبة (٢٧٥٩) ، أحمد (٣٩٥/٤) .
(2) رواه مسلم برقم (٢٧٥٩) .
(3) سورة طه آية : ٣٩ .
(4) سورة هود آية : ٣٧ .
(5) البخاري التوحيد (٦٩٧٢) ، مسلم الإيمان (١٦٩) ، أحمد (١٢٧/٢) .
(6) رواه البخاري برقم (٧٤٠٧) ، ومسلم برقم (٢٩٣٣) .

رجله، تقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض } ...) [1] [2] . وفي بعض الروايات في الصحيحين { فيضع قدمه عليـــها } ...) [3] [4] .

وأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة كثيرة لا تحصى وإنما هـــذه أمثلة ويجب على المسلم إثباتها لله تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله وكمالـــه، كما أثبتها الله لنفسه في كتابه، وهو أعلم بنفسه من خلقه، وأثبتها له رسوله r في سنته وهو أعلم الخلـــق بربـــه وأكملـــهم نصحًـــا وأفصحهم وأبلغهم بيانًا وأتقاهم وأخشاهم له، وليحذر من تعطيل الله مـــن صفاته أو تشبيهها بصفات المخلوقـــين لأن الله { §ø .Ü#Îì¾ « †öã r}èq ¡¡ ÜŠÁß##7 ÁÅç ÈÇ } [5] (الشورى: ١١).

---

(1) البخاري تفسير القرآن (٤٥٦٩) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٧) ، الترمذي صفة الجنة (٢٥٥٧) ، أحمد (٥٠٧/٢) .

(2) رواه البخاري برقم (٤٨٥٠) ومسلم برقم (٢٨٤٦) .

(3) البخاري تفسير القرآن (٤٥٦٩) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٦) ، الترمذي صفة الجنة (٢٥٥٧) ، أحمد (٥٠٧/٢) .

(4) رواه البخاري برقم (٤٨٤٨ ، ٤٨٤٩) ومسلم برقم (٢٨٤٨) .

(5) سورة الشورى آية : ١١ .

المبحث الثالث: قواعد في باب الأسماء والصفات

القاعدة الأولى: القول في الصفات كالقول في الذات

وبيانها: أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفاته، ولا أفعالـــه. فإذا كان لله ذات حقيقية لا تماثل الذوات بلا خلاف فكذلـــك الصفـــات الثابتة له في الكتاب والسنة، هي صفات حقيقية لا تماثل ســـائر الصفـــات فالقول في الذات والصفات من باب واحد.

وهذه قاعدة عظيمة يناقش بها من ينكر الصفات مع إثباته الذات فـــإن إثبات الذات للرب U محل إجماع الأمة.

فإذا قال قائل: لا أثبت الصفات لأن في إثباتها تشبيهًا لله بخلقه.

يقال له: أنت تثبت لله ذاتًا حقيقية وتثبت للمخلوقين ذواتًا أفليس هـــذا تشبيهًا على قولك !! فإن قال: إنما أثبت ذاتًا لله لا تشبه الذوات ولا يســـعه غير هذا. قيل له يلزمك هذا في باب الصفات فإن كـــانـــت الذات لا تشـــبه الذوات وهو حق فكذلك صفات الذات الإلهية لا تشبه الصفات. فإن قال: كيف أثبت صفة لا أعلم كيفيتها. قلنا: له كما تثبت ذاتًا لا تعلم كيفيتها.

القاعدة الثانية القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر

القاعدة الثانية: القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر.

وشرحها: أن القول في بعض صفات الله من حيث الإثبـــات والنفي كالقول في البعض الآخر وهذه القاعدة يخاطب بها من يثبت بعض الصفـــات وينكر البعض الآخر. فإذا كان الرجل يثبت بعض الصفات كالحياة والعلـــم والقدرة والسمع والبصر وغيرها ويجعل ذلك كله حقيقة ثم ينازع في صفـــة المحبة والرضا والغضب وغيرها، ويجعل ذلك مجازًا فيقال له: لا فرق بين مـــا أثبته وبين ما نفيته فالقول في أحدهما كالقول في الآخر. فإن كنت تثبت له حياة وعلمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا لا تشبه ما يثبت للمخلوقين الذين

يتصفـــون بهذه الصفات فكذلك يلزمك أن تثبت له محبة ورضًا وغضبًا كـــما أخبر هـــو عن نفسه من غير مشابهة للمخلوقين وإلا وقعت في التناقض.

القاعدة الثالثة: الأسماء والصفات توقيفية

أسماء الله وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها وعلى هذا فيجـــب الوقـــوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص لأن العقـــل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات فوجب الوقوف على النص. قال تعالى: { $B ß#‰? ẅr ÇÏiÈ Žwqèä B ç#ã b%. 7í»ŸrÉ@ä Š#sŷ#ŝ ǯÇ7ŷŝ ì ð¡ 9$b) Ôè ¾ìi 7 9 § ŝ } [1] (الإسراء: ٣٦). وقد كان أئمة الإسلام على هذا المنهج. قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا يوصف الله إلا بما وصف بـــه نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث). وقرر بعـــض أهـــل العلم أن العلم بالشيء حتى يُمكن وصفه له ثلاثة طرق: إما رؤيتَه، أو رؤيـــة مثيله، أو وصفه ممن يعرفه. وعِلْمُنَا بِرَبِّنا وأسمائه وصفاته محصور في الطريـــق الثـــالث وهـــو وصفه ممن يعرفه وليس أحد أعلم بالله مـــن الله ثم رســـله الذين أوحى إليهم وعلمهم فوجب لزوم طريق الوحي في أسماء الله وصفاتـــه إذ لم نر ربنا في الدنيا فنصفه وليس له مثيل من خلقه فيوصف بوصفه، تعالى ربنا وتقدس.

القاعدة الرابعة: أسماء الله كلها حسنى

أســـماء الله كلهـــا حسنى أي بالغة في الحسن غايته. قـــال تعـــالى: { r ¬!$#ur ä!$oÿôœF{$# 4_ó¡çtø:$# } [2] (الأعراف: ١٨٠) وذلك لدلالتها على أحسن مســـمى وأشرف مدلول وهو الله U ولأنها متضمنة لصفات كـــاملة لا نقـــص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالا ولا تقديرًا.

---

(1) سورة الإسراء آية : ٣٦ .

(2) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

مثال ذلك: (الحي) اسم من أسماء الله تعالى متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال. الحياة المستلزمة لكمال الصفات مـــن العلـــم والقدرة والسمع والبصر وغيرها. ومثال آخر: (العليم) اسم من أسمـــاء الله تعالى متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نســـيان. قـــال تعالى } $gÜtë %ZĂ 'ĥ 'Î 5»Gĩ žv @Ôƒ 'ĥ ŵr ÇÎÈ Ó¤Yƒ { [1] (طه: ٥٢) العلـــم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا سواء ما يتعلق بأفعالـــه أو أفعـــال خلقه. كما قال تعالى: } ß=èƒ { $pZÍ‰ $ãÈ $Br ÿÿ' $9Á‰ âr ÇÊÈ { [2] (غافر: ١٩).

والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراد، ويكـــون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الاسم إلى آخر كـــمال فوق كمال.

مثال ذلك: (العزيز الحكيم) فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثـــيرًا فيكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه وهـــو العـــزة في العزيز والحكـــم والحكـــمة في الحكيـــم. والجمـــع بينهما دال على كمال آخـــر وهو أن العزة لله تعالى مقرونة بالحكـــمة فعزته لا تقتضي ظلمًا وجورًا كمـــا يكون من بعض أعزاء المخلوقين فإن بعضهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلـــم ويجور، وكذلك حكمه تعالى وحكـــمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكـــم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل. هذا والله أعلم.

وفي ختام هذا الباب نشير إلى جملة من الفوائد والثمرات الـــتي يجنيـــها المسلم بتحقيقه لهذا الأصل العظيم وهو الإيمان بالله وحـــده لا شريك لـــه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. فمن ذلك:

(1) سورة طه آية : ٥٢ .

(2) سورة غافر آية : ١٩ .

١ - أن العبد ينال بذلك سعادة الدنيا والآخرة، بل إن السعادة في الدارين متوقف الحصول عليها على الإيمان بالله، فحظ العبد منها بحسب حظه من إيمانه بربه وأسمائه وصفاته وألوهيته.

٢ - أن إيمان العبد بربه وأسمائه وصفاته هو أعظم أسباب خوفه سـبحانه وخشيته وتحقيق طاعته، فكلما كان العبد بربه أعرف كان إليه أقرب، ومنه أخشى، ولعبادته أطلب، وعن معصته ومخالفته أبعد.

٣ - أن العبد ينال بذلك طمأنينة قلبه، وراحة نفسه، وأنـس خـاطره، والأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة والله تعالى يقول { $ûï%©!$ #qãZtB#uä ûÈõuKôÜs?ur Oßgç/qè=è% Ìø.É‹Î/ «!$# 3 Ÿwr& Ìø.É‹Î/ «!$# ûÈõuKôÜs? Ü>qè=à)ø9$# ÇËÑÈ } [1] (الرعد: ٢٨).

٤ - أنَّ نيل ثواب الآخرة متوقف على الإيمان بالله وصحته، فبتحقيقـه وتحقيق لوازمه ينال العبد ثواب الآخرة فيدخل جنـة عرضها السـماء والأرض فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وينجو من النار وعذابها الشديد، وأعظم من ذلك كلـه أن يفـوز برضى الرب سبحانه فلا يسخط عليه أبدًا، ويتلذذ يوم القيامة بالنظر إلى وجهه الكريم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.

٥ - أن الإيمان بالله هو الذي يصحح الأعمال ويجعلها مقبولة، فبفقده لا تقبل بل ترد على صاحبها وإن كثرت وتنوعت، قال تعـالى { `Br öàÿõ3tƒ Ç`»yJƒM}$$Î/ ô‰s)sù xÝÎ6ym ¼ã&é#yJtã } ... ô`ÏBur Ïot÷zFy$# z`ÏB z`ƒÎÅ£»yø9$# ÇÎÈ } [2] (المائدة: ٥). وقـال تعـالى { ô`tBur yŠ#u‘r& notÅzFy$# 4Ótëy™ur $ygs9 $ygu‹÷èy™ uqèdur Ö`ÏB÷sãB y7Í´¯»s9'ré'sù tb%x. Oßgã‹÷èy™ #Y‘qä3ô±¨B ÇÊÒÈ } [3] (الإسراء: ١٩).

(1) سورة الرعد آية : ٢٨ .

(2) سورة المائدة آية : ٥ .

(3) سورة الإسراء آية : ١٩ .

٦ - أن الإيمان الصحيح بالله يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه علمًا وعملًا، ويكسب العبد الاستعداد التام لتلقي المواعظ النافعة والعبر المؤثرة، ويوجب سلامة الفطرة، وحسن القصد، والمبادرة إلى الخيرات، ومجانبة المحرمات والمنكرات، ولزوم الأخلاق الحميدة، والخصال الكريمة، والآداب النافعة.

٧ - أنَّ الإيمان بالله ملجأ المؤمنين في كل ما يلم لهم من شرور وحزن وأمن وخوف وطاعة ومعصية وغير ذلك من الأمور التي لا بد لكل أحد منها، فعند المحاب والسرور يلجؤون إلى الإيمان بالله فيحمدون الله ويثنون عليه ويستعملون نعمته فيما يحب، وعند المكاره والأحزان يلجؤون إلى الإيمان بالله فيتسلون بإيمانهم وما يترتب عليه من الأجر والثواب، وعند المخاوف والأحزان يلجؤون إلى الإيمان بالله فتطمئن قلوبهم ويزداد إيمانهم وتعظم ثقتهم بربهم، وعند الطاعات والتوفيق للأعمال الصالحات يلجؤون إلى الإيمان بالله فيعترفون بنعمته عليهم، ويحرصون على تكميلها، ويسألونه الثبات عليها والتوفيق لقبولها، وعند الوقوع في شيء من المعاصي يلجؤون إلى الإيمان بالله فيبادرون إلى التوبة منها والتخلص من شرورها وأوضارها، فالمؤمنون في جميع تقلباتهم وتصرفاتهم ملجؤهم إلى الإيمان بالله وحده.

٨- أن معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته توجب محبة الله في القلوب إذ أن أسماء الله وصفاته كاملة من كل وجه والنفوس قد جبلت على حب الكمال والفضل فإذا تحققت محبة الله في القلوب انقادت الجوارح بالأعمال وتحققت الحكمة التي خلق العبد من أجلها وهي عبادة الله.

٩- أن العلم بالأسماء والصفات يورث قوة اليقين بانفراد الله تعالى بتصريف شؤون الخلق وانفراده بذلك لا شريك له وهذا مما يحقق صدق التوكل على الله في جلب المصالح الدينية والدنيوية وفي ذلك فلاح العبد ونجاحه فمن توكل على الله فهو حسبه.

١٠- إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقا له تعالى أو أمرا، وهي إما علم بما كونه، وإما علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه. فمن أحصى أسماء الله كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم.

الباب الثاني: بقية أركان الإيمان

الفصل الأول: الإيمان بالملائكة

وفيه خمسة فصول:

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الملائكة وأصل خلقتهم وصفاهم وبعض خصائصهم.

المبحث الثاني: منزلة الإيمان بهم وكيفيته وأدلة ذلك.

المبحث الثالث: وظائفهم.

المبحث الأول: تعريف الملائكة وأصل خلقتهم، وصفاتهم، وخصائصهم

تعريفهم:

الملائكة: جمع مَلَك. أخذ من (الأَلُوكِ) وهي: الرسالة.

وهم: خلق من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

أصل خلقهم:

والمادة التي خلق الله منها الملائكة هي " النور ". فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله r { خلقت الملائكة من نور. وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم } [1] [2] والمارج هو: اللهب المختلط بسواد النار.

صفاتهم:

قد تضمن الكتاب والسنة الكثير من النصوص المبينة صفات الملائكة وحقائقها فمن ذلك:

أنهم موصوفون بالقوة والشدة. كما قال تعالى: } $Š»ƒ $kš‰'¯»tƒ tûïÏ%©!$# (#qãZtB#uä (#þqè% ö/ä3|¡àÿRr& ö/ä3‹Î=÷dr& #Y‘$tR $ydߊqè%ur â¨$¨Z9$# äou‘$yfÏtø:$#ur $pköŽn=tæ îps3Í×¯»n=tB ÔâŸxÏî ׊#y‰Ï© { [3] (التحريم: ٦). وقال

---

(1) مسلم الزهد والرقائق (٢٩٩٦) ، أحمد (١٥٣/٦) .

(2) صحيح مسلم برقم (٢٩٩٦) .

(3) سورة التحريم آية : ٦ .

تعالى في وصف جـــبريل عليه السلام: { ÇÎÈ 3“qà)ø9$# ߉ƒÏ‰x© ¼çmyJ¯=tã } [1] (النجم: ٥).

وقال في وصفه أيضا: { Ÿ“Ï% ;o§qè% y‰YÏã “ÏŒ Ĩöyèø9$# &ûüÅ3tB ÇËÉÈ } [2] (التكوير: ٢٠).

وهم موصوفون بعظم الأجسام والخلق. ففي صحيح مسلم من حديـــث عائشة رضي الله عنها وقد سألت النبي r عن معنى قوله تعالى { ô‰s)s9ur çn#uäu‘ È,èùW{$$Î/ ÈûüÎ7ßJø9$# ÇËÌÈ } [3] (التكوير: ٢٣) فقال: { إنما هو جبريل لم أره على صورتـــه الـــتي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض } [4] [5] .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود t قال: { رأى رســـول الله r جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق يســـقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم } [6] [7] قال الحافـــظ ابـــن كـــثير: إسناده جيد.

وروى أبو داود من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رســـول الله r قال: { أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العـــرش إن ما بين شحمة

(1) سورة النجم آية : ٥ .
(2) سورة التكوير آية : ٢٠ .
(3) سورة التكوير آية : ٢٣ .
(4) البخاري بدء الخلق (٣٠٦٢) ، مسلم الإيمان (١٧٧) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٦٨) ، أحمد (٦/٥٠) .
(5) صحيح مسلم برقم (١٧٧) .
(6) البخاري بدء الخلق (٣٠٦٠) ، مسلم الإيمان (١٧٤) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٢٨٣) ، أحمد (١/٣٩٥) .
(7) مسند الإمام أحمد : (١/ ٣٩٥) ، (٦/ ٢٩٤) .

أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام } [1] [2] قال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح.

ومن صفاتهم أنهم يتفاوتون في الخلق والمقدار فهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح. قال تعالى: } ߉ôtø$ ¬ $ùÛ$¡9$# Jq»J¡¡9$# ÌÏÛ$sù ¬ ßôJptø:$# 7sÏ& bÍrÉ&ß¨ â p3Ï»=J¯»n=yJø9$# È@Ïã%` { ö/$Ï/ # yÍ¨ì³0ë y ìÎ/â@ ] ß`è 4 Y¨B ²³$B ÈÏ9$# Î` ß‰ƒÌt} [3] (فاطر: ١).

ومن صفاتهم الحسن والجمال فهم على درجة عالية من ذلك. قال تعالى في حق جبريل عليه السلام } ¼çmyJ¯=tã ߉ƒÏ‰x© 3"uqà)ø9$# ÇÎÈ rèŒ ;o§ÏB 3"uqtGó$$sù ÇÏÈ { [4] (النجم: ٥، ٦)

قال ابن عباس رضي الله عنهما (ذو مرة: ذو منظر حسن) وقال قتادة: (ذو خلق طويل حسن).

وقال تعالى مخبرا عن النسوة عند رؤيتهن ليوسف عليه السلام: } $£Jn=sù ¼çmuZ÷ƒr&u‘ ÿ¼çmtRöŽy9ø.r& z`÷èsÜs%ur £`ßgtƒÏ‰÷ƒr& z`ù=è%ur |·»ym ¬! $tB #x‹»yd #·Žt±o0 ÷bÎ) !#x‹»yd žwÎ) Ô7n=tB ÒOƒÌx. ÇÌÊÈ { [5] (يوسف: ٣١)

وإنما قلن ذلك لما هو مقرر عند الناس من وصف الملائكة بالجمال الباهر.

ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها أنهم كرام أبرار. قال تعالى } “ω÷ƒr'Î/ ;otyÿy™ ÇÊÎÈ ¤Q#tÏ. ;o‘tt/ ÇÊÏÈ { [6] (عبس: ١٥، ١٦). وقال U } ¨bÎ)ur öNä3ø‹n=tæ tûüÏàÏÿ»ptm: ÇÊÉÈ $YB#tÏ. tûüÎ7ÏF»x. ÇÊÊÈ { [1] (الانفطار: ١٠، ١١).

---

(1) أبو داود السنة (٤٧٢٧) .

(2) سنن أبي داود : (٥/ ٩٦) ، برقم (٤٧٢٧) .

(3) سورة فاطر آية : ١ .

(4) سورة النجم آية : ٥ ، ٦ .

(5) سورة يوسف آية : ٣١ .

(6) سورة عبس آية : ١٥ ، ١٦ .

ومن صفاتهم الحياء لقول النبي r في حق عثمان t {ألا أستحي مـــن رجل تستحي منه الملائكة} [2] [3] .

ومن صفاتهم أيضا العلم. قال تعالى في خطابه للملائكـــة: } A$% þÿ ãa=ß& B$ Ÿw ÇÌÈ bqß=è? { [4] (البقرة: ٣٠) فأثبت الله U للملائكة علمًا وأثبت لنفســـه علمًا لا يعلمونه. وقال تعالى في حق جبريل عليه الســـلام } ¼çmuHs>tã ß‰ƒÏ‰x© 3“uqà)ø9$# ÇÎÈ { [5] (النجم: ٥) قال الطبري: (علم محمدًا r هذا القرآن جـــبريل عليـــه السلام) أ. هـــ، وهذا متضمن وصف جبريل بالعلم والتعليم.

إلى غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة من صفاتهم العظيمة وأخلاقـــهم الكريمة الدالة على علو شأنهم وسمو منازلهم عليهم السلام.

خصائصهم:

للملائكة عليهم السلام خصائص وصفات قد اختصهم الله تعـــالى بهـــا، وامتازوا بها عن الجن والإنس وسائر المخلوقات. فمنها:

أن مساكنهم في السماء وإنما يهبطون إلى الأرض تنفيذًا لأمر الله في الخلق وما أسند إليهم من تصريف شؤونهم. قال تعالى: } ãÍ\¯»n=yJø9$# ãA¨”t\è? ôÏB ãr¯•9$# ¾ÍnÌøBr& ’?tã `B â!$±„ ôÏB { ¾ÍnÏŠ$t6Ïã [6] (النحل: ٢) وقال تعالى: } r?• “ $#ø9J=»Í 6 p n!$ü úš ôÏB mqè? ø9$#è• Ä {

---

(1) سورة الانفطار آية : ١٠ ، ١١ .

(2) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠١) ، أحمد (٦/١٥٥) .

(3) صحيح مسلم برقم (٢٤٠١) .

(4) سورة البقرة آية : ٣٠ .

(5) سورة النجم آية : ٥ .

(6) سورة النحل آية : ٢ .

{ ç ṁ bqßŝ ‰ðtž ÑÍßí } [1] (الزمر: ٧٥). وعن أبي هريـــرة t قال: قال رسول الله r

{ يتعاقبون فيكم ملائكة بـــالليل، وملائكـــة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكـــم فيسألهم الله وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهـــم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون } [2] [3] . والنصوص في هذا كثيرة جدًّا يصعـــب حصرها هنا.

ومن خصائصهم أنهم لا يوصفون بالأنوثة، قال تعالى منكرا على الكفـــار ذلك: { bqèó ç ÑÍ‰»g© ÜGõç™ ÑÜ)tz ÷r‰ĝ©& $W»Rĵ Ç»Hq§$$‰»6ã Ñé ûïÏ%©$ p3Í»=J$$ ÷qè_r ÇÊÈ } [4] (الزخرف: ١٩). وقال تعـــالى: { p3Í»R$bqJ¡ ãé ô•Å ÿ$ bqãZBsã ÿw ûïÏ%©$bĵ ÇËÐÈ ó‹\R$$p‹Ü ó } [5] (النجم: ٢٧).

ومن خصائصهم أنهم لا يعصون الله في شيء، ولا تصدر منهم الذنـــوب، بل طبعهم الله على طاعته، والقيام بأمره: كما قال تعالى في وصفـــهم: { Ñé•B& $B ©$bqÅè ƒ ž ÇÏÈ brâ©sãB$ bqè=ÿ÷ètƒr } [6] (التحريم: ٦). وقـــال أيضـــا: { Ñèr Ä ö)ø$ ¼çRqàÎó„ ÿw ÇËÐÈ šc qè=yJ÷ètƒ ¾Ín͐ ÷ } [7] (الأنبياء: ٢٧).

---

(1) سورة الزمر آية : ٧٥ .

(2) البخاري مواقيت الصلاة (٥٣٠) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٢) ، النسائي الصلاة (٤٨٥) ، أحمد (٤٨٦/٢) ، مالك النداء للصلاة (٤١٣) .

(1) صحيح البخاري برقم (٥٥٥) وصحيح مسلم برقم (٦٣٢) .

(4) سورة الزخرف آية : ١٩ .

(5) سورة النجم آية : ٢٧ .

(6) سورة التحريم آية : ٦ .

(7) سورة الأنبياء آية : ٢٧ .

ومن خصائصهم أيضا أنهم لا يفترون عن العبادة ولا يسأمون. قال تعالى: { ôBr brǯ‰ÿƒ Ÿw ‘$kŽ]9$# Ÿ@ø‹©9$# bqßsÎm7|¡ç ÇÊÒÈ brçŽÅ£ó¡tFó¡o„ Ÿwur ¾ÏmÏ?Š$t7Ïã ôã brçŽÉ9õ3tGó¡o„ Ÿw ¼çnyZÏã %ÏŸã ûïÏ%©!$# ‡rçŽy9ò6tFó™$# ÈbÎ*sù } ÇËÉÈ (1) (الأنبياء: ١٩، ٢٠). وقال في آية أخـــرى: { ¨bÎ) ûïÏ%©!$# ×rçŽy9ò6tFó™$# ÈbÎ*sù ÇÌÑÈ) bqßJt«ó¡o„ Ÿw öNèdur Í‘$pk¨]9$#ur È@ø‹©9$$Î/ ¼çms9 bqßsÎm7|¡ç 7n/u‘ } (2) (فصلت: ٣٨).

فهذه بعض خصائص الملائكة التي اختصهم الله بها دون الثقلين من الإنس والجن. وبالجملة فالملائكة جنس آخر، يتميزون في أصل خلقتهم وتكـــوينـــهم عن الإنس والجن. كـــما أن لكل من الإنس والجن خصائصهما التي يتميز بها أحد الجنسين عن الآخر والله أعلم.

(1) سورة الأنبياء آية : ١٩ ، ٢٠ .

(2) سورة فصلت آية : ٣٨ .

المبحث الثاني

منزلة الإيمان بالملائكة وكيفيته وأدلة ذلك

منــــزلة الإيمان بهم:

الإيمان بالملائكة ركن من أركـــان الإيمان في الدين الإسلامي، لا يتحقـــق الإيمان إلا به. وقد نص الله على ذلك في كتابه. وأخبر عنـــه النبي r في سنته.

قال تعالى } ¾ìîF3í»=Br ‹ $$ `B#ä @ä bqãZÏB÷sßJø9$# ¾mÎn/§ `ÏB Ïmø‹s9Î) AÌRé& !$yJÎ/ ãAqß™§9$# `B#ä ¾ÏmÎ=ß™â‘ur ¾ÏmÎ7çFä.ur { [1] (البقرة: ٢٨٥) فأخبر أن الإيمان بالملائكة مع بقيـــة أركـــان الإيمان مما أنـــزله على رسوله وأوجبه عليه وعلى أمته وأنهم امتثلـــوا ذلك.

وقال تعالى في آية أخرى: } * }§øŠ©9 §ŽÉ9ø9$# br& (#q9uqè? öNä3ydqã_ãr Ÿ@t6Ï% É-ÎŽô³yJø9$# É>̍øóyJø9$#ur £`Å3»s9ur §ŽÉ9ø9$# ô`B `B#ä «!$$Î/ ÏQöqu‹ø9$#ur ̍ÅzFy$# Ïpx6Í´¯»n=yJø9$#ur É=»tGÅ3ø9$#ur z`¿Íh‹Î;¨Z9$#ur { [2] (البقرة: ١٧٧).

فجعل الإيمان بهذه الخصال دليل البرِّ- والبرُّ اســـم جامع للخير- وذلك أن هذه الأشياء المذكورة هـــي أصـــول الأعمـــال الصالحة، وأركان الإيمان التي تتفرع منها سائر شعبه.

كـــما أخبر الله U في مقابل هذا أن من كفر بهذه الأركان فقد كفـــر بالله: فقال: } `Br öàÿõ3tƒ «!$$Î/ ¾ÏmÏFs3Í´¯»n=tBur ¾ÏmÎ7çFä.ur ¾Ï&Î#ß™â‘ur ÏQöqu‹ø9$#ur ̍ÅzFy$# ô‰s)sù ¨@|Ê Kx»n=|Ê #´‰‹Ïèt/ ÇÊÌÏÈ { [3] (النســـاء: ١٣٦) فأطلق الكفر على من أنكر هذه الأركـــان، ووصفه بالبعد في الضلال. فدل ذلك أن الإيمان بالملائكة ركن عظيم مـــن أركان الإيمان وأن تركه مخرج من الملة.

(1) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(2) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(3) سورة النساء آية : ١٣٦ .

وقد دلت السنة كذلك على هذا. وهو ما جاء موضحًا في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطـــاب t قال: } بينما نحن عند رسول الله r ذات يوم إذ طلع علينا رجل شـــديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منـــا أحد، حتى جلس إلى النبي r فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه علـــى فخذيه، وقال: يا محمد ! أخبرني عن الإسلام ؟ فقال رسول الله r الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله r وتقيم الصلاة، وتـــؤتي الزكـــاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقـــت. قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان ؟ قال: أن تؤمـــن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشـــره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تـــراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة ؟ قال ما المسؤول عنـــها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها ؟ قال: أن تلد الأمة ربَّتـــها. وأن ترى الْحُفاة العُراة، العَالة، رِعاءَ الشاء، يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلـــق فلبثت مليًّا ثم قال لي: يا عمر ! أتدري من السائل ؟ قلتَ: الله ورسوله أعلـــم. قال: فإنه جبريل، أتاكـــم يعلمكم دينكـــم { (1) (2) .

فهذا حديث عظيم اشتمل على أصول الدين ومراتبه كلها وهو منـــهج فريد في تعليم هذا الدين جاء على طريقة الحوار بين الرسول الملكي، أفضـــل الملائكة وهو جبريل عليه السلام وبين الرسول الإنسي أفضل البشر، وهـــو محمد r فينبغي للمسلمين أن يعنوا بهذا الحديث العظيم وأن يستمدوا منهجهم في التعلم والتعليم منه كما كـــان على ذلك

(1) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٢٧/١) .

(2) صحيح مسلم برقم (٨) .

السلف رضوان الله عليهم. وقد تضمن الحديث ذكر الملائكة وأن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان وهو المقصود هنا.. والله أعلم.

كيفية الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يتضمن عدة أمور لا بد للعبد من تحقيقها حتى يتحقق لــه الإيمان بالملائكة وهي:

١ - الإقرار بوجودهم والتصديق بهم كما دلت على ذلــك النصــوص المتقدمة من أن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقــق الإيمــان إلا بذلك.

٢ - الإيمان بأنهم خلق كثير جدًّا لا يعلم عددهم إلا الله تعالى كــما دلــت على ذلك النصوص. قال تعالى { qèd ž̌v} 7 ĥ Šqã_ Ð=è/ $Br } [1] (المدثر: ٣١).

أي لا يعلم جنود ربك وهم الملائكة إلا هو وذلك لكثرتهم. قــال بذلــك بعض السلف.

وجاء في حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث مالك بن صعصعة t عن النبي r قال: (... { ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل ! ما هذا ؟ قال: هذا البيت المعمور. يدخله كل يوم ســبعون ألــف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم } [2] [3] .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود t قال: قال رســول الله r { يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألــف ملــك يجرونها } [4] [5] . فدل الحديثان على كثرة الملائكة، فإذا كــان البيت المعمور يدخلــه كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه وإنما يأتي غيرهم، وجهنم يأتي بها يوم القيامة

(1) سورة المدثر آية : ٣١ .

(2) البخاري المناقب (٣٦٧٤) ، مسلم الإيمان (١٦٤) ، النسائي الصلاة (٤٤٨) ، أحمد (٤/٢٠٨) .

(3) صحيح البخاري برقم (٣٢٠٧) ، ومسلم برقم (١٦٤) ، واللفظ لمسلم .

(4) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٢) ، الترمذي صفة جهنم (٢٥٧٣) .

(5) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٢) .

هذا العدد من الملائكة، فكيف بغيرهم من الملائكة الموكلين بأعمال أخرى ممن لا يعلم عددهم إلا خالقهم تبارك وتعالى.

٣ - الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرمهم عليه وشرفهم عنده كما قال تعالى: { r%qß$t/qß$‹ ß»ÿqS r!$# s'ß Ÿ»y¼ @/ ã6$šŠ 3B•ãBq šc ÇÊÏÈ w¼ ,qÎ¾ãRqçµ¼ Ÿ) ‹ÏÒyE Nr Ïö1@$ šc ÇËÏÈ } (1) (الأنبياء: ٢٦، ٢٧). وقال جـل وعلا: { ‰Î‹÷ ™ y•ï ρ ÇÊÎÈ ρ Ï•#ÏŸ ρ ‘•/ ÇÊÏÈ } (2) (عبس: ١٥، ١٦). فوصفهم بأنهم مكرمون منـه سبحانه. وقال تعالى في حقـهم: { ä$%Ÿ¾ ûïÏ%©!$# ‰ÏY 7 n Îçm ç bq7 ¼¿ Ÿ w ß‹9$# @ ¼$# Nd r ÇÌÑÈ ¼ bqß«q,) ÇÌÑÈ } (3) (فصلت: ٣٨). فوصفهم بأنهم عنده وهذا تشـريف لهم، مع مقام التعبد له بلا سآمة. كما أنه تعالى أقسم بهم في غير موطن مـن كتابه وهذا لشرفهم عنده. فقال: { $¤9$# Mº¤ÿ¹ $y ÇÊÈ Z•$y9$# Mº`•ÿ ô‰ ÇËÈ ŽN9$# Mº§•6$$ £ŽÇÌÈ } (4) (الصافات: ١-٣). وقال عـز وجـل: { ¼$# ŽÏM»%Ï•»ÿ Š$ ÇÍÈ ÇÍÈ ŽN9$# M»$ŠÉB9$# ÇÎÈ } (5) (المرسلات: ٤، ٥). وشواهد صور إكـرام الملائكة وتنـوع أساليبها وتعدد سياقاتها من كتاب الله كثيرة لا تخفى على متدبر ممـا يحتـم تقرير هذا في الشرع والله أعلم.

٤ - اعتقاد تفاضلهم وعدم تساويهم في الفضل والمنـزلة عند الله على ما دلت على ذلك النصوص: قال تعالى: { $!ª f $Ú'ß ¨ Ïš$#J=ß ¨ 6 þâ$W Ïr ŽÆš$9$# Ä] ž$# cž$®

---

(1) سورة الأنبياء آية : ٢٦ ، ٢٧ .

(2) سورة عبس آية : ١٥ ، ١٦ .

(3) سورة فصلت آية : ٣٨ .

(4) سورة الصافات آية : ١ - ٣ .

(5) سورة المرسلات آية : ٤ ، ٥ .

{ ÇÎÈ ž•Ä/ 7‹Ü™ } (1) (الحج: ٧٥). وقال U { `© ,,ÝF¢ø #ÅŠ J9$ # b¨ qä f Šc #%©!ä }
{ !° r Ÿ J9$ è3í»=J9$ ‡(Ç) q b } (2) (النساء: ١٧٢) فأخـــبر أن منـــهم مصطفين بالرسالة ومقربين، فدل على فضلهم على غيرهم. وأفضل الملائكة: المقربون مع حملة العرش.

وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهـــم في دعاء النبي r الذي كان يفتتح به صلاة الليل فيقول: { اللهم رب جـــبريل وميكـــائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة } (3) ..) (4) .

وأفضل الثلاثة جبريل عليه السلام وهو الموكـــل بـــالوحي، فشـــرفه بشرف وظيفته. وقد ذكره الله في كتابه بما لم يذكر غيره من الملائكة، وسمـــاه بأشرَف الأسماء، ووصفه بأحسن الصفات. فمن أسمائه الروح: قال تعـــالى: { R"A ïî $9"r ß $ £FÈÜ3 }
{ ÇÎÈ } (5) (الشعراء: ١٩٣). وقال عز وجـــل: { ?\"A $9J=»í3è $9"r ß }
{ ÇÎÈ $kŽÏù } (6) (القدر: ٤). وقد ورد هذا الاسم مضافًا إلى الله تعالى إضافـــة تشريف. قال تعـــالى: { ù'ö™ŽÉ$ $ö$g9 $âr mY$ ùFJV ß 9g$ 0 ³Ž# ™¼ã $¸ ÇÎÈ } (7) (مريم: ١٧). وورد مضافًا إلى القدس، قال تعالى: { è@ R"9ç¼ â r ß $9ã`à ß Ä B` ¢î •š } (8) (النحل: ١٠٢) والقدس

(1) سورة الحج آية : ٧٥ .

(2) سورة النساء آية : ١٧٢ .

(3) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٠) ، الترمذي الدعوات (٣٤٢٠) ، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٢٥) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٧) ، أحمد (١٥٦/٦) .

(4) رواه الإمام أحمد في المسند : ٦ / ١٥٦ ، والنسائي في السنن : ٣ / ١٧٣ ، برقم (١٦٢٥) ، ونحوهمـــا مســـلم في الصحيح ، برقم (٧٧٠) ، وابن ماجه ، برقم (١٣٥٧) .

(5) سورة الشعراء آية : ١٩٣ .

(6) سورة القدر آية : ٤ .

(7) سورة مريم آية : ١٧ .

(8) سورة النحل آية : ١٠٢ .

هو الله على الصحيح من أقوال المفسرين. ومما جاء في وصفه قوله تعـــالى: { çÀö)9 ¼çRÎ) ÇÏÈ &ûüÏB& §0 8$ÜB ÇÊÈ &ûüÅ3B Ä ëè2$ "Ï %ZÎã o§è "Ï ÇÑÈ Ó/ÏÌ. ÅqßÏ' } [(1)] (التكوير: ١٩-٢١). وقال تعالى: { ÇÏÈ 3" qGó¡$$ ο§ÏB rè ÇÎÈ 3" qà)ø9$# ß/Ï‰© ¼çmyJ¯=tã } [(2)] (النجم: ٥، ٦)

فوصفه الله تعالى بأنه رســـول وأنـــه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه، وأنه مطاع في السماوات، وأنه أمين على الوحي وأنه ذو مرة (أي مظهر حسن).

٥ - موالاتهم والحذر من عداوتهم لقوله تعالى: { ß§ÏÜè/ â!$u‹Ï9÷rr& àM»oYÏB÷sßJø9$#ur bqãZÏB÷sßJø9$#ur } [(3)] (التوبة: ٧١) فدخل الملائكة في هذه الآية؛ لأنهـــم مؤمنـــون قائمون بطاعة ربهم كما أخبر الله عنهم { brâÐsöä $B bqè=yèøÿtƒur öNèdttBr& !$B ©!$# bqÝÁ÷ètƒ žw } [(4)] (التحريم: ٦). وأخبر جل وعلا عن مـــوالاة الملائكـــة لرســـوله وللمؤمنين فقال { îûüÎBsßJø9$# ßxÎ=»|¹ur @ƒÎŽö9Å_ur uqèd ©!$# bÎ*sù Ïmøn=tã #tyg»sàs? bÎ)ur } [(5)] (التحريم: ٤) وقال U { ÏqY9$# 'n<Î) ÏM»yJè=à9$# z`ÏiB /ä3_Ì÷‚ãÏ9 ¼çmçFs3Í´¯»n=tBur öNä3øŠn=tæ 'Ìj?|Áãƒ "Ï%©!$# uqèd } [(6)] (الأحزاب: ٤٣). وقال: { Ðqè=yèø9$# ÞOŠÎ=yèø9$# ã"ƒÍ"yèø9$# uqèd $YŠÏãur ôìÅ™ur $tRš‹/u‘ (#qç7$s? tûïÏ%©#Ï9 br㍏Ïÿøótƒur } [(7)] (فصلت: ٣٠). فوجبت موالاة الملائكة على المؤمنين لموالاتهم لهـــم ونصرهـــم وتأييدهم واستغفارهم لهم. وقد حذر الله تعالى من عداوة

---

(1) سورة التكوير آية : ١٩ - ٢١ .

(2) سورة النجم آية : ٥ ، ٦ .

(3) سورة التوبة آية : ٧١ .

(4) سورة التحريم آية : ٦ .

(5) سورة التحريم آية : ٤ .

(6) سورة الأحزاب آية : ٤٣ .

(7) سورة فصلت آية : ٣٠ .

الملائكة فقـــال: { b¨. `B #x‰ã º! Í¬Br 6 ¾Ï&Î6 ¾Ï&ÎB'âr ÿ@ƒÎÐÅr ÿ@83‹Br fù c ÏM$ A‰ã

ÇÒÑÈ `ƒÌÿ»3ù } [1] (البقرة: ٩٨). فأخبر أن عداوة الملائكة موجبة لعداوة الله وسخطه، وذلك لأنهم إنما يصدرون عن أمره وحكـــمه، فمن عاداهم فقد عادى ربه.

٦ - الاعتقاد بأن الملائكة خلق من خلق الله لا شأن لهم في الخلق والتدبـــير وتصريف الأمور، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك. كما أنه لا يجوز صرف شـــيء من أنواع العبادة لهم، بل يجب إخلاص العبادة لخالقـــهم وخـــالق الخلـــق أجمعين، الذي لا شريك له في ربوبيته وألوهيته ولا مثيـــل لـــه في أسمائـــه وصفاته. وقد بين الله تعالى ذلك فقال عز مـــن قـــائل: { Ÿwr ö/ä.tßDù'tƒ b& (#räÏ‚Gs? sps3Í×¯»n=yJø9$# z`¿ÍhŠÎ;¨Z9$#ur $¹/$t/ö‘r& 3 Nä.ããBù'tƒr& Ìøÿä3ø9$$Î/ y‰÷èt/ øŒÎ) OçFRr& tbqßJÎ=ó¡•B

ÇÑÉÈ } [2] (آل عمران: ٨٠). وقال تعـــالى: { (#qä9$s%ur x‹sƒªB$# ß`»uH÷q§9$# #V$s!ur 3 ¼çmoY»ysö6ß™ 4 ö@t/ ׊$t6Ïã šcqãBtø3•B ÇËÏÈ Ÿw ¼çmtRqà)Î7ó¡o„ ÉAöqs)ø9$$Î/ Nèdur ¾Ín͐öDr'Î/ šcqè=yJ÷ètƒ ÇËÐÈ ãNn=÷ètƒ $tB šú÷üt/ öNÍkŽÏ‰÷ƒr& $tBur öNßgxÿù=yz Ÿwur šcqãèxÿô±o„ žwÎ) Ç`yJÏ9 4Ó|Ós?ö‘$# Nèdur ô`ÏiB ¾ÏmÏFuŠô±yz tbqà)Ïÿô±ãB ÇËÑÈ `tBur ö@à)tƒ öNåk÷]ÏB þ’ÎoTÎ) ×m»s9Î) `ÏiB ¾ÏmÏRrߊ y7Ï9ºx‹sù ÏmƒÌ“øgwU zN¨Yygy_ 4 y7Ï9ºx‹x. “Ì“øgwU tûüÏJÎ=»©à9$# ÇËÒÈ } [3] (الأنبياء: ٢٦-٢٩).

فأخبر سبحانه أنه لم يأمر بعبادتهم وكيف يـــأمر بعبـــادتهم وهي كفر بالله العظيم ثم أبطل تعالى دعوى من زعم أن الملائكة بنـــات الله ونـــزه نفسه عن ذلك، وبين أنهم عباد مكرمون بكرامته لهم عاملون بـــأمره مشفقون من خشيته وأنهم لا يملكون الشفاعة لأحد إلا من رضي الله عنـــه من أهل التوحيد. ثم ختم السياق ببيان جزاء من ادعى الألوهية منـــهم وأن جزاءه جهنم، فظهر من ذلك أنهم عباد مربوبون لا حول لهم ولا قـــوة إلا بربهم وخالقهم.

---

(1) سورة البقرة آية : ٩٨ .

(2) سورة آل عمران آية : ٨٠ .

(3) سورة الأنبياء آية : ٢٦ - ٢٩ .

٧ - الإيمان المفصل بمن جاء التصريح بذكرهم من الملائكة علـــى وجـــه الخصوص في الكتاب والسنة: كجبريل، وميكائيل، وإســـرافيل، ومـــالك، وهاروت وماروت، ورضوان، ومنكر ونكير، وغيرهم ممن جاءت النصـــوص بتسميتهم. وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف: كرقيـــب وعتيد، أو بذكر وظيفته: كملك الموت وملك الجبـــال، أو مـــن جـــاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة: كحملة العرش، والكـــرام الكـــاتبين والموكلين بحفظ الخلق، والموكلين بحفظ الأجنة والأرحام، وطواف البيـــت المعمور، والملائكة السياحين، إلى آخر من أخبر الله ورســـوله r عنـــهم.

فيجب الإيمان بذلك إيمانا مفصلا على نحو ما جاء في النصوص من أسمائهم وصفاتهم، ووظائفهم، وأخبارهم، والتصديق بكل ذلك مما سيأتي بيانه في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

فهذه جملة ما يجب اعتقاده في حق الملائكة الكرام مما دلت عليه النصوص الشرعية والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث: وظائف الملائكة

الملائكـــة جند من جنود الله تعالى، أسند الله إليهم كثيرًا مـــن الأعمـــال الجليلة، والوظائف الكبيرة، وأعطاهم القدرة على تأديتها على أكمل وجـــه. وهم بحسب ما هيأهـــم الله تعالى له ووكلهم به على أقسام:

فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والســـلام وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: } A“R ïÎiŸ$#r”9$#ß$yŠR{ BüÎB ÇÊÒÈ 4’n?tã 7Î=ù GãbqàG9 `B ûïÍ‘ÉZßJø9$# ÇÊÍÈ ÍA$¡ Ï9 <cÎ1•ã BüÎ7B ÇÊÎÈ { [1] (الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥) وقد تقدم أنـــه أفضل الملائكة وأكرمهم على الله، وقد وصفه الله بالقوة والأمانة على تأديـــة مهمته.

ولم يره النبي r في صورته التي خُلق عليها إلا مرتين، وبقية الأوقـــات يأتيه في صورة رجل. رآه مرة بالأفق من ناحية المشرق وفي ذلك يقـــول الله تعالى } ô‰s)9r ç#ä‘ #u ÈûÎ—ßJø9$# ÈûÎ7ßJø9$# ÇËÌÈ { [2] (التكوير: ٢٣). ورآه مرة ثانية ليلة الإسراء في السماء وهذا ما أخبر الله عنه بقولـــه: } ô‰s)9r çn#u# ”ò¨Zé& 3“t÷zé& ÇÊÌÈ y‰ZÏã Íou‘ô‰Å™ 4‘gF߆ùQ$# ÇÊÍÈ $ydy‰YÏã èpZ_y` #“urù'yJø9$# ÇÊÎÈ { [3] (النجم: ١٣ - ١٥).

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي r عن تفسير الآيتين المتقدمتين فقال: { إنما هو جبريل لم أره على صورته الـــتي خُلق عليها غير هاتين المرتين. رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مـــا بين السماء إلى الأرض } [4] [5] .

---

(1) سورة الشعراء آية : ١٩٣ - ١٩٥ .

(2) سورة التكوير آية : ٢٣ .

(3) سورة النجم آية : ١٣ - ١٥ .

(4) البخاري بدء الخلق (٣٠٦٢) ، مسلم الإيمان (١٧٧) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٦٨) ، أحمد (٥٠/٦) .

(5) صحيح مسلم برقم (١٧٧) .

ومنهم الموكل بالقطر والنبات وهو ميكائيل عليه السلام وقد ورد ذكره في القرآن. قال تعالى: { A%ã ©$ c îû %83‹Br %fÎ0Å r ¾ç¨R¨Îr ¾çÎ6 6 í=Br º! #x%ã b%. `B ÇÎÈ `ƒÌÿ»3ù } [1] (البقرة: ٩٨) وهو ذو مكانه عالية، ومنزلة رفيعة عند ربه، ولذا خصه الله هنا بالذكر مع جبريل، وعطفهما على الملائكة، مع أنهما من جنسهم لشرفهما، من قبيل عطف الخاص على العام. وكذا ورد ذكره في السنة على ما تقدم في دعاء النبي r في صلاة الليل أنه يقول: { اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل } [2] ..) [3] . ولذا قال العلماء إن هؤلاء الثلاثة المذكورين هم أفضل الملائكة.

ومنهم الموكل بالصُّور وهو إسرافيل عليه السلام وهو ثالث الملائكة المفضلين المتقدم ذكرهم. وهو أحد حملة العرش. والصور: قرن عظيم ينفخ فيه. روى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: { جاء أعرابي إلى النبي r فقال: ما الصور؟ فقال: قرن ينفخ فيه } [4] [5] ورواه أيضا الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. [6] .

---

(1) سورة البقرة آية : ٩٨ .

(2) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٠) ، الترمذي الدعوات (٣٤٢٠) ، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٢٥) ، أبو داود الصلاة (٧٦٧) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٧) ، أحمد (١٥٦/٦) .

(3) رواه الإمام أحمد في المسند : ٦ / ١٥٦ ، والنسائي في السنن : ٣ / ٢١٣ ، برقم (١٦٢٥) ، ونحوهما مسلم في الصحيح برقم (٧٧٠) ، وابن ماجه برقم (١٣٥٧) .

(4) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٠) ، أبو داود السنة (٤٧٤٢) ، أحمد (١٩٢/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧٩٨) .

(5) المسند : ٢/ ١٦٢ ، ١٩٢ .

(6) المستدرك : ٢/ ٥٠٦ ، ٤/ ٥٨٩ ، واللفظ للحاكم .

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سـعيد الخـدري t أن النبي r قال: { كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهتـه وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر، قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول ؟ قـال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا } (1) (2) قال الترمذي حديـث حسن. وصححه غيره من أهل العلم.

وينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعـق، ونفخة البعث. قال تعالى: { tPöqtƒur ã‡xÿZãƒ ’Îû Í‘qÁ9$# tíÌ“xÿsù `tB ’Îû ÏNºuq»yJ¡¡9$# `tBur ’Îû ÇÚö‘F{$# žwÎ) `tB uä!$x© ª!$# } (3) (النمل: ٨٧). وهذه هي نفخة الفزع وقـد دل على النفختين الأخريين قوله تعالى: { y‡ÏÿçRur ’Îû Í‘qÁ9$# t,Ïè|Ásù `tB ’Îû ÏNºuq»yJ¡¡9$# `tBur ’Îû ÇÚö‘F{$# žwÎ) `tB uä!$x© ª!$# ¢OèO y‡ÏÿçR ÏmŠÏù 3“t÷zé& #sŒÎ*sù öNèd ×P$uŠÏ% tbrãÝàZtƒ ÇÏÑÈ } (4) (الزمر: ٦٨).

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك المـوت قـال تعـالى: { * ö@è% Nä39©ùuqtGtƒ à7n=¨B ÏNöqyJø9$# “Ï%©!$# Ÿ@Åe2ãr öNä3Î/ ¢OèO 4’n<Î) öNä3În/u‘ šcqãèy_öè? ÇÊÊÈ } (5) (السجدة: ١١).

ولملك الموت أعوان من الملائكة، يأتون العبد بحسب عملـه، وإن كـان محسنًا ففي أحسن هيئة، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئـة.

قـال تعالى: { ãm¨Lym #sŒÎ) uä!%y` ãNä.y‰tnr& ßNöqyJø9$# çm÷G©ùuqs? $uZè=ߙâ‘ öNèdur Ÿw šcqèÛÌhxÿãƒ ÇÏÊÈ } (6) (الأنعام: ٦١).

---

(1) الترمذي تفسير القرآن (٣٢٤٣) ، أحمد (٧/٣) .
(2) المسند : ٣ / ٧ ، وسنن الترمذي ٤ / ٦٢٠ ، برقم (٢٤٣١) ، ٥ / ٣٧٢- ٣٧٣ ، برقم (٣٢٤٣) .
(3) سورة النمل آية : ٨٧ .
(4) سورة الزمر آية : ٦٨ .
(5) سورة السجدة آية : ١١ .
(6) سورة الأنعام آية : ٦١ .

ومنهم الموكل بالجبال وهو ملك الجبال، وقد ورد ذكـــره في حديـــث خروج النبي r إلى أهل الطائف في بداية البعثة ودعوتـــه إيـــاهم وعـــدم استجابتهم له وفيه يقول النبي r { فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظـــرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك ومـــا ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملـــك الجبال. فسلم عليّ ثم قال: يا محمد. فـــقال: ذلك فيما شئت، إن شـــئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي r بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهـــم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا } (1) (2) . والأخشبان: هما جبلا مكةَ: أبـــو قبيس والذي يقابله.

ومنهم الملك الموكل بالرحم على ما دل عليه حديث أنس بن مـــالك t عن النبي r قال: { إن الله U وكَّل ملكًا يقول: يا ربِّ! نطفـــة. يا ربِّ! علقة. يا ربِّ مضغة. فإذا أراد أن يقضي خلقه، قـــال: أذكـــر أم أنثى ؟ شقي أم سعيد ؟ فما الرزق والأجل ؟ فيكتب في بطن أمه } (3) (4) .

ومنهم حملة العرش قال تعـــالى: { ûïÏ%©!$# öè9$#bqè=Ït ¸ ôBr ç¼çqöm bqßsÎm ‰ðtž (#qãZB#ä ûïÏ%©#Ï9 brãÏøótGó„r ¾ÏmÎ/ bqãZÏB÷s } (5) (غـــافر: ٧).

وقال تعالى: { r@Üt óã ¸ 7ĥ 7ù%qù ŠZ»ÿS ÇÊÐÈ } (1) (الحاقة: ١٧). قـــال بعض العلماء: الذين حول العرش هم الملائكة (الكروبيون) وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة (2) .

---

(1) البخاري بدء الخلق (٣٠٥٩) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٩٥) .
(2) صحيح البخاري ، برقم (٣٢٣١) ، ومسلم برقم (١٧٩٥) .
(3) البخاري الحيض (٣١٢) ، مسلم القدر (٢٦٤٦) ، أحمد (١١٧/٣) .
(4) صحيح البخاري برقم (٣١٨) ، ومسلم برقم (٢٦٤٦) .
(5) سورة غافر آية : ٧ .

ومنهم خزنة الجنة . قال تعالى } #ŒÎ) ÿÉ#Ïm #•Bã þZ f ¨$ ’‹Ï) ÞÙ# ®(ö)?$šú ïÏ%©$, ‹Å r

ûïÏ$Î» z $dqè=äz$$ù ÓOçFö7ÛÛ Nà6 øŠn= tæ ÖN»n=™ $kçJtR“z Óßç; A$%r $gçqçºö ÐM s6Ïèr $drâ‘`

ÇÐÌÈ { [3] (الزمر: ٧٣). وقال تعالى } N͍É$/#ä ôÏB x‹n=¹ `Br $kXqè=äz‰ƒ þ5ô‰ã ÐM»Z_

ÇËÌÈ 5>$/ Èe@à `ÏB NÎköŽã bqè=äz‰ƒ pè3Í»=J¯»n=yJø9#ur NÍkÉJ»ƒÍhèŒur NÍgÅ_ºurør& { [4] (الرعد: ٢٣).

ومنهم خزنة النار عياذاً بالله منها وهم الزبانية ورؤســاؤهم تســعة عشر. قال تعالى } Ÿ@÷‹è=¯$ `ÏB $BŒöq‹ $Zã ôÿ#yÏ/‹ä N3/‘ (qãš$# O¨Yg_ pR“ , 9 ÍŠ$Z9$ ’Î ûïÏ%©$ A$%r

ÇÍÒÈ { [5] (غافر: ٤٩) وقال تعـــالى } p‹Ï$/“9$ äíô‰Z™ ÇÊÐÈ ¼ŒçƒÏŠ$R äíô‰u‹ù=

ÇÊÑÈ { [6] (العلق: ١٧، ١٨). وقال تعـــالى: } |=»ptõ¾r& $Zù=yè_ $Br ÇÌÉÈ ž³ã pèó¡Î $kŽöæ

$Z9$ Í ž÷ƒB ž3Í»=B žw) Nä3/‘ $Zù=yè_ $Br ŠÎ) ûïÏ%©# $ÿrãy. { [7] (المدثر: ٣٠، ٣١).

وقال تعالى: } (r$Š$Rr 7Î ‘ $Zøŋã @Ò)‹Ï9 ä7Î»J»ƒ A$% /äR) qÅÅ»B šc

ÇÐÐÈ { [8] (الزخرف: ٧٧). وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه خــازن النــار ورؤية النبي **r** له، ففي صحيح البخاري من حديث سَمُرَة بن جُنْدُب **t** عن النبي **r** قال:

---

(1) سورة الحاقة آية: ١٧ .

(2) تفسير ابن كثير (٧/ ١٢٠) .

(3) سورة الزمر آية: ٧٣ .

(4) سورة الرعد آية: ٢٣ .

(5) سورة غافر آية: ٤٩ .

(6) سورة العلق آية: ١٧ ، ١٨ .

(7) سورة المدثر آية: ٣٠ ، ٣١ .

(8) سورة الزخرف آية: ٧٧ .

{ رأيت الليلة رجلين أتياني فقالا: الذي يوقد النار مـــالك خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل } [1] [2] .

ومنهم زوار البيت المعمور : يدخل في كل يوم منهم البيـــت المعمـــور سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه على ما ثبت من حديث مـــالك بـــن صعصعة t عن النبي r قال: (... { ثم رفـــع لي البيت المعمور، فقلت: يـــا جبريل! ما هذا ؟ قال: هذا البيت المعمور. يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم } [3] [4] .

ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر فقد روىَ الشيخان مـــن حديث أبي هريرة عن النبي r أنه قال: { إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكـــرون الله تنـــادوا هلمـــوا إلى حاجتكـــم قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا } [5] ...) [6] قال العلمـــاء: وهؤلاء الملائكة زائدون عن الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق.

وقد ثبت أيضًا أنهم يبلغون النبي r من أمته السلام لـــما روى أحمـــد والنسائي بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال، قال رســـول الله r { إن لله U ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام } [7] [1] .

---

(1) البخاري بدء الخلق (٣٠٦٤) .

(2) صحيح البخاري برقم (٣٢٣٦) .

(3) البخاري المناقب (٣٦٧٤) ، مسلم الإيمان (١٦٤) ، النسائي الصلاة (٤٤٨) ، أحمد (٢٠٨/٤) .

(4) صحيح البخاري برقم (٣٢٠٧) ، ومسلم برقم (١٦٤) واللفظ لمسلم .

(5) البخاري الدعوات (٦٠٤٥) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٨٩) ، الترمذي الدعوات (٣٦٠٠) ، أحمد (٢٥٢/٢) .

(6) صحيح البخاري برقم (٦٤٠٨) ، ومسلم برقم (٢٦٨٩) واللفظ للبخاري .

(7) النسائي السهو (١٢٨٢) ، أحمد (٤٥٢/١) ، الدارمي الرقاق (٢٧٧٤) .

ومنهم الكرام الكاتبون وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم. قال تعالى { ÇïÈ bqèÿ? $B bqçõƒ ÇïÈ ûüôîF». $Y#•Ï ÇïÈ ûüôÿ»t: Nãøæ bÎr }[2] (الانفطار: ١٠ - ١٢) وقال تعالى { `B äÿtì $B ÇïÈ %ö×ë% Á$Kë9$Çãr ÈüÏ‹ø$Çã È$‹É=G3ø$'ë=Gƒ øÎ) }[3] (ق: ١٧، ١٨) قال مجاهد في تفسير الآية: ملك عن يمينه وآخر عن يساره فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر.

ومنهم الموكلون بفتنة القبر وسؤال العباد في قبورهم وهما مُنْكَر ونَكِير. وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة. أخرج الشيخان من حديث أنس بن مالك t عن النبي r قال: { إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد r فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا }[4] [5].

وأخرج الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r { إذا قبر الميت أو قال أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل }[6] ...)[1] الحديث. قال الترمذي حديث حسن.

---

(1) المسند : ١/ ٤٥٢ ، وسنن الترمذي : ٣/ ٤٣ ، برقم (١٢٨٢) ، واللفظ لأحمد .

(2) سورة الانفطار آية : ١٠ - ١٢ .

(3) سورة ق آية : ١٧ ، ١٨ .

(4) البخاري الجنائز (١٣٠٨) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٥١) ، أبو داود السنة (٤٧٥١) ، أحمد (٣/١٢٦) .

(5) صحيح البخاري برقم (١٣٧٤) ، ومسلم برقم (٢٨٧٠) ، واللفظ للبخاري .

(6) الترمذي الجنائز (١٠٧١) .

فهؤلاء هم أشهر من جاءت النصوص بذكر وظائفهم وأسمائهم مـــن الملائكة ممن يتعين على العبد الإيمان بهم والتصديق بمدلولات النصوص في حقهم والله تعالى أعلم.

ثمرات الإيمان بالملائكة:

وللإيمان بالملائكة ثمراته العظيمة على المؤمن فمن ذلك:

١- العلم بعظمة خالقهم U وكمال قدرته وسلطانه.

٢- شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده حيث وكل بهم من هـــؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة.

٣- محبة الملائكة على ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله على الوجـــه الأكـــمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم.

(1) سنن الترمذي : ٣/ ٣٨٥ ، برقم (١٠٧٣) ، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : ٧/ ٣٨٦ ، برقم (٣١١٧) ، واللفظ للترمذي .

الفصل الثاني

الإيمان بالكتب المنزلة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد في تعريف الوحي لغة وشرعا وبيان أنواعه.

المبحث الأول: حكم الإيمان بالكتب وأدلته.

المبحث الثاني: كيفية الإيمان بالكتب.

المبحث الثالث: بيان أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى دخلها التحريف وسلامة القرآن من ذلك.

المبحث الرابع: الإيمان بالقرآن وخصائصه.

تمهيد في تعريف الوحي لغة وشرعا وبيان أنواعه

التعريف اللغوي:

الوحي في اللغة: هو الإعلام السريع الخفي.

ويطلق الوحي على: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام. وكل مـــا ألقيته على غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان وهو لا يختص بالأنبيـــاء ولا بكـــونه من عند الله تعالى.

والوحـــي بمعناه اللغوي يتناول:

١ - الإلهام الفطري للإنسان كالوحي لأم موسى. قال تعالى: { !$uZøŠym÷rr&ur #’n<Î) ÏdQé& #Óy›qãB ÷br& ÏmŠÏèÅÊö‘r& } (1) (القصص: ٧).

٢ - الإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل. قال تعالى: { 4‘ym÷rr&ur y7•/u‘ ’n<Î) È@øtª[“$# Èbr& “ɋσªB$# z`ÏB ÉA$t6Ågø:$# $Y?qãŠç/ } (2) (النحل: ٦٨).

٣ - الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كـــإيحاء زكريا لقومه. قـــال تعالى: { yltyƒ 4’n?tã ¾ÏmÏBöqs% z`ÏB É>#tù=ÏJø9$# #Óy›÷rr'sù öNÍköŽs9Î) br& (#qßsÎm7y™ Zotò6ç/ $|‹Ï±tãur ÇÊÊÈ } (3) (مريم: ١١).

٤ - وسوسة الشيطان وتزيين الشر في نفوس أوليائه. قـــال تعـــالى: { ¨bÎ)ur šúüÏÜ»u‹¤±9$# tbqãmqã‹s9 #’n<Î) óOÎgÍ¬!$uŠÏ9÷rr& öNä.qä9ω»yfãŠÏ9 } (4) (الأنعام: ١٢١).

---

(1) سورة القصص آية : ٧ .

(2) سورة النحل آية : ٦٨ .

(3) سورة مريم آية : ١١ .

(4) سورة الأنعام آية : ١٢١ .

٥ - ما يلقيه الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه. قال تعـــالى: { ’ÎŒ 7Ïr‘ ÓÇqãB#ä šú ïÏ%©!$#(qçGÎm7sWsù öNä3yètB ’ÎoTr& Ïps3Í´¯»n=yJø9$# } [1] (الأنفال: ١٢).

التعريف الشرعي:

هو " إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة ".

أنواع الوحـــي:

لتلقي الوحـــي من الله تعالى طرق بينها الله تعالى بقوله في ســـورة الشورى: { * $tBur tb%x. @ŽŸ³u;Ï9 br& çmyJÏk=s3ムª!$# žwÎ) $·‹ômr ÷rr& `ÏB Ç›!#u‘ur A>$pgÉo ÷rr& Ÿ@Å™öãƒ Zwqß™u‘ zÓÇrqãŠsù ¾ÏmÏRøŒÎ*Î/ $tB âä!$t±„ } [2] (الشـــورى: ٥١). فأخـــبر الله تعالى أن تكليمه ووحيه للبشر يقع على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الوحـــي المجرد وهو ما يقذفه الله في قلب الموحى إليه ممـــا أراد بحيث لا يشك فيه أنه من الله. ودليلـــه قولـــه تعـــالى: { $·‹ômr žwÎ) } [3] (الشورى: ٥١).

ومثال ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود **t** عن النبي **r** أنه قال: { إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب } [4] أخرجه ابن حبان في صحيحه والحـــاكـــم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي وابن ماجه في سننه وغيرهم [5]. وألحق بعض أهل العلم بهذا القسم رؤى الأنبياء

(1) سورة الأنفال آية : ١٢ .

(2) سورة الشورى آية : ٥١ .

(3) سورة الشورى آية : ٥١ .

(4) ابن ماجه التجارات (٢١٤٤) .

(5) موارد الظمآن (١٠٨٤ ، ١٠٨٥) ، والمستدرك (٢ / ٤) ، وسنن ابن ماجـــه (٢١٤٤) ، وابن أبي الدنيا في القناعة ، والبيهقي في شعب الإيمان (المغني عن حمل الأسفار : ٤١٩ ، ٨٩٥) والبغوي ج١٤ / ٣٠٤ برقم (٤١١٢) .

في المنام كرؤيا إبراهيـــم عليـــه السلام على ما أخبر الله عنه في قوله: } A$% ◊_◊ƒ Ó_◊ þ’Ó ‘& 3‘ ’Î ÿ$Z J$$ Ö þ’Ó 7t2 { (1) (الصافات: ١٠٢). وكرؤى النبي r في بداية البعثة علـــى مـــا روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: } أول ما بدئ به رســـول الله r من الوحـــي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جـــاءت مثل فلق الصبح { (2) (3) .

المرتبة الثانية: التكليم من وراء حجاب بلا واسطة كما ثبـــت ذلـــك لبعض الرسل والأنبياء كتكليم الله تعالى لموسى على ما أخـــبر الله به في أكـــثر من موضع من كتابه. قال تعالى: } ä!` $B9r { (4) (النســـاء: ١٦٤). وقال: } r.=N$ ª! q‌ä › Ó ? 6ò‌Î$$ V ÉÏÎÇ { (5) (الأعراف: ١٤٣). وكتكليـــم الله لآدم. قال تعالى: } qä › Ó Ü$ 7Š)»Î$ r.=J¼ q‌ç ‘‌$¼ { (6) (البقَرة: ٣٧). وكتكليـــم الله تعالى لنبينا محمد r ليلة الإسراء على ما هو ثابت في السنة. ودليل هـــذه المرتبة من الآية قوله تعالى: } r& B` { (7) (الشـــورى: ٥١).

---

(1) سورة الصافات آية : ١٠٢ .

(2) البخاري بدء الوحي (٤) ، مسلم الإيمان (١٦٠) ، الترمذي المناقب (٣٦٣٢) ، أحمد (٦/٢٣٣) .

(3) صحيح البخاري برقم (٣) ، وبنحوه في صحيح مسلم برقم (١٦٠) .

(4) سورة النساء آية : ١٦٤ .

(5) سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

(6) سورة البقرة آية : ٣٧ .

(7) سورة الشورى آية : ٥١ .

المرتبة الثالثة: الوحي بواسطة الـــملك. ودليله قوله تعـــالى: { Zvq߉‘ ®A¹ëà ﬂ

ãt±„ $B ¾ìn@ôªî ÓÇqãù } (1) (الشورى: ٥١). وهذا كنـــزول جبريل عليـــه السلام بالوحي من الله على الأنبياء والرسل.

والقرآن كله نـــزل بهذه الطريقة تكلم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام من الله U وبلغه جبريل لمحمد r . قال تعـــالى: { ßüÏBF{$# ßr"9$# ïÎA"R ÇÊÒÈ ûüÏÎ>»yèø9$# Éb‘ ã@ƒÍ\G9 ¼çR¯)r

ÇÊÌÈ ûïÍ‘É‹ZßJø9$# z`ÏB bqä3tGÏ9 7Î6ù=s% 4’n?tã ÇÊÍÈ } (2) (الشعراء: ١٩٢- ١٩٤). وقال تعالى: {

Èd,ptø:$$Î/ š•Îi/¢‘ `ÏB Ä ß‰à)ø9$# ßyrâ ¼ç9"R @è% } (3) (النحل: ١٠٢).

ولجبريل عليه السلام في تبليغه الوحي لنبينا r ثلاثة أحوال:

١ - أن يراه الرسول r على صورته التي خلق عليها ولم يحصل هـــذا إلا مرتين كما تقدم تقريره في الفصل السابق. (4) .

٢ - أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس فيذهب عنـــه وقـــد وعـــى الرسول r ما قال.

٣ - أن يتمثل له جبريل في صورة رجل ويخاطبه بالوحي كمـــا مـــر في حديث جبريل السابق في سؤاله النبي r عن مراتب الدين. (5) .

وقد أخبر النبي r عن الحالتين الأخيرتين في إجابته للحارث بن هشام لمـــا سأل رسول الله r فقال: { يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رســـول الله r (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحيانا

(1) سورة الشورى آية : ٥١ .

(2) سورة الشعراء آية : ١٩٢ - ١٩٤ .

(3) سورة النحل آية : ١٠٢ .

(4) انظر ص١١٣ .

(5) انظر ص١٠٦ .

يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي مـــا يقول } [1] [2] متفق عليه. ومعنى فصم: أي أقلع وانكشف.

المبحث الأول حكم الإيمان بالكتب وأدلته

تعريف الكتب:

الكتب جمع كتاب. والكتاب مصدر كتب يكتب كتابا، ثم سمـــي بـــه المكتوب والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها كـــما في قولـــه تعـــالى: { è$q„ ä$J¡¡ 9$`Ë $%Fï Ü ô ã Af\ê b& É»GÅ$@d& š• { [3] (النســـاء: ١٥٣) يعني صحيفة مكتوباَ فيها.

والمراد بالكتب هنا: الكتب والصحف التي حوت كلام الله تعالى الـــذيَ أوحاه إلى رسله عليهم السلام. سواء ما ألقاه مكتوبا كالتوراة، أو أنـــزله عن طريق الملك مشافهة فكتب بعد ذلك كسائر الكتب.

حكم الإيمان بالكتب:

الإيمان بكتب الله التي أنـــزل على رسله كلها ركن عظيـــم من أركـــان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد دل علـــى ذلك الكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى: { $pk‰$¯»tƒ šúïÏ%©!$# (#þqãZtB#u (#qãZÏB#u «!$$Î/ ¾Ï&Î!qß™u‘ur É»tGÅ3ø9$#ur “Ï%©!$# tA“R

4?ã ¾Ï&Î!qß™u‘ É»tGÅ6ø9$#ur ü“Ï%©!$# tA“R& `Ï B ã@ö6s% 4 `tBur öàÿõ3tƒ «!$$Î/ ¾ÏmÏFs3Í´¯»n=tBur ¾ÏmÎ7çFä.ur ¾Ï&Î#ß™â‘ur ÏQöqu‹ø9$#ur

(1) البخاري بدء الوحي (٢) ، مسلم الفضائل (٢٣٣٣) ، الترمذي المناقب (٣٦٣٤) ، النسائي الافتتاح (٩٣٤) ، أحمد (٦/٢٥٧) ، مالك النداء للصلاة (٤٧٤) .

(2) صحيح البخاري برقم (٢) ، ومسلم برقم (٢٣٣٣) .

(3) سورة النساء آية : ١٥٣ .

$ FÊÅÌ (ã)ù Ê|@ Ê|=»K /è‹‰# ÈÏÎÇ } [1] (النساء: ١٣٦). فأمر الله عباده المؤمنين في الآية بالدخول في جميــع شــرائع الإيمان وشعبه وأركانه. فأمرهم بالإيمان بالله ورســوله وهــو محمــد r والكتاب الذي أنــزل على رسوله وهو القرآن، والكتاب الذي أنــزل من قبل وهو جميع الكتب المتقدمة: كالتوراة، والإنجيل، والزبــور، ثم بــين في ختام الآية أن من كفر بشيء من أركان الإيمان فقد ضل ضــلالا بعيــدا وخرج عن قصد السبيل ومن أركان الإيمان المذكورة الإيمان بكـــتب الله.

وقال تعــالى: { *©Ü§ $#Ý¡b ê9#q)ã ä_dqã ãèd §6©@# $#J9ø ôÏÉ $#J9ø !$#9r Å£$#Ý¡ Bô

`B#ä $# ¨<x#Ö$ FÅÌ 6 ÉJ9# ß 6 ÉA9»# ÉÉ $#9ZÊ¿` } [2] (البقرة: ١٧٧). فأخبر U أن حقيقة البر: هو الإيمان بما ذكر من أركـــان الإيمان، والعمل بخصال البر الواردة في الآية بعد هذا. وذكر مـــن أركـــان الإيمان: " الإيمان بالكتاب " قال ابن كثير: هو اسم جنس يشمل الكتـــب المنـــزلة من السماء على الأنبياء. حتى ختمت بأشرفها، وهـــو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب [3] .

ولتقرير الإيمان بالكتب كلها أمر الله عباده المؤمنين أن يخـــاطبوا أهـــل الكتاب بقوله تعـــالى: { èqä(ãè $#B¥`$ $# ¨< $rBÉ¨ÅA }Z$ rB$É¨ÅA #)} |OÏ#¿`O rÏ)é»ÏŠ@ rÏJ#ó`r ,»s`r /ÏèÏ`r>

$FÌ¯O# rBrÉÎ' ãB> 4 r`£¤ 4| rB$ÉÎ' $9#ŠÏ%q c`` B` ?ÏGÏQq3`à¸ ÅŠ û/ä¢ ®n% #ÏG$B `rB<9 ¼¼9ç}

ãóÏ9qbc ÈÏÎÇ } [4] (البقرة: ١٣٦). فتضمنت الآية إيمان المؤمنين بما أنـــزل الله عليهم بواســـطة رسوله r وما أنـــزل على أعيان الرسل المذكورين في الآية، وما أنزل على

---

(1) سورة النساء آية : ١٣٦ .

(2) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(3) تفسير ابن كثير ١/ ٢٩٧ .

(4) سورة البقرة آية : ١٣٦ .

بقية الأنبياء في الجملة وأنهم لا يفرقون بين الرسل في الإيمان ببعضـــهم دون بعض فانتظم ذلك الإيمان بجميع الرسل وكل ما أنـــزل الله عليهم مـــن الكتب.

والآيات في تقرير هذا من كتاب الله كثيرة.

وأما السنة فقد دلت كذلك على وجوب الإيمان بالكتب. وأن الإيمان بها ركن من أركان الإيمان، دل على ذلك حديث جبريل، وسؤاله النبي r أركان الإيمان، فذكر النبي r في إجابته: الإيمان بالكتب مع بقية أركان الإيمان. وقد تقدم الحديث بنصه في الفصل السابق فأغنى عن إعادته هنا [1] .

فتقرر بهذا وجوب الإيمان بالكتب والتصديق بها جميعها، واعتقاد أنها كلها من الله تعالى أنـــزلها على رسله بالحق والهدى والنور والضيـــاء، وأن من كذب بها أو جحد شيئا منها فهو كافر بالله خارج من الدين.

ثمرات الإيمان بالكتب:

وللإيمان بالكتب آثاره العظيمة على المؤمن فمن ذلك:

١- شكر الله تعالى على لطفه بخلقه وعنايته بهم حيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

٢- ظهور حكمة الله تعالى حيث شرع في هذه الكتب لكل أمـــة مـــا يناسبها، وكان خاتم الكتب القرآن العظيم مناسبا لجميع الخلق في كل عصر ومصر إلى قيام الساعة.

٣- إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقـــين، وعجز المخلوقين عن الإتيان بمثل كلامه.

---

(1) انظر ص١٠٦ .

المبحث الثاني كيفية الإيمان بالكتب

الإيمان بكتب الله يشتمل على عدة جوانب دلت النصوص على وجـــوب اعتقادها وتقريرها لتحقيق هذا الركن العظيم من أركان الإيمان. وهي:

١ - التصديق الجازم بأنها كلها منـــزلة من الله U وأنها كـــلام الله تعالى لا كلام غيره، وأن الله تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الـــذي أراد سبحانه. قال تعـــالى:

} A“R&r ïnf‰f ûü/ $J9 $]¬ Á ã Ès 9Ø =»GÅ3ø9$š• øã A“R ÇÍÈ ãq•)ø9$•‘ Ûø9$qè ž/Î m»9Î !w ª! $

ÒΘ9 «! $ÏM»f$«Î (rãy. ûïÏ%©!$ bÎ bš%öqãø9$ A“R&r Ä $Y=Ï “ ‰èd @ö6 `Ï ÇÌÈ @‹ÅgMY$ p1‘öqG9$

ÇÍÈ Q$)FR$rè Ÿ•ã ª! $ ‰óf‰© Ž#‹ã { (1) (آل عمران: ٢ - ٤).

فأخبر الله U أنه أنـــزل هـــذه الكتب المذكورة وهي: التوراة، والإنجيل، والقرآن من عنده وهذا يدل علـــى أنه هو المتكلم بها وأنها منه بدأت لا من غيره، ولذا توعد في نهاية السياق من كفر بآيات الله بالعذاب الشديد.

وقال مخبرًا عن التوراة } Öqçr “ ‰èd $kŽÏù p1‘öqG9$ $Z9“R& $RÎ { (2) (المـــائدة: ٤٤) فبين أنه تعالى هو الذي أنـــزل التوراة وأن ما فيها من الهدى والنـــور منـــه سبحانه. وقال تعالى في سياق آخر مبينًا أن التوراة من كلامه وذلك في معرض إخباره عن اليهود } *

$B ‰èÏ/ .`Ï ¼çRqèùÌhptä ¢Oè «! $N»=Ÿ2 bqãèJó¡ ΝåκÏB ×,ƒÌù b%. ô‰s%r Ν3s9 (qãZÏB÷sã b& bqãèJôÜGùs&

ãqçè) { (3) (البقرة: ٧٥) فكـــلام الله الذي سمعوه ثم حرفوه هو التوراة. قاله السُّدِّي وابن زيد وجمع من المفسرين.

---

(1) سورة آل عمران آية : ٢ - ٤ .

(2) سورة المائدة آية : ٤٤ .

(3) سورة البقرة آية : ٧٥ .

وقال تعالى في الإنجيـــل { ïnŠÛ ª! $A"R& $JÎ @Šø/Ål/$$@d& ŽŌ á ‹Ðr } (1) (المائدة: ٤٧)

أي من الأوامر والنواهي التي هي من كلام الله.

وقال في القرآن الكريم: { •9# ÌG» ÏMJÅ3ômé& ¼çmçG»tƒ#ä ÏM=Å_Áèù `ÏB b$©Ï9 `ÏB ÷Aβ Ïm z ÅÎ } (2) (هود: ١). وقال تعالى مخاطبًا رسوله **r** { 7Rβr ‘ 9¤)n=çGs9 #äóβ$ šc `ÏB b$©Ï9 ÇÌÈ

} (3) (النمل: ٦). وقال تعالى: { è@è ¼ç9"R ßyrâ ÄÈ¨à9$ `ÏB ÅŠÎæ ÅŠÎæ ÇÌÈ

} (4) (النحل: ١٠٢). وقال تعالى { b¹Ïr &nÏò `ÏB È@Î6y™ «!$# š$¤Ñ8 ‘$ƒ F ‘ù Å¯ö9# Ìç9 šÎ } (5) (التوبة: ٦). وإنما أمروا أن يسمعوا القرآن الذي أنـــزله على

رسوله **r** فهو كلام الله على الحقيقة.

٢ - الإيمان بأنها دعت كلها إلى عبادة الله وحده وقد جـــاءت بالخـــير والهدى والنور والضياء. قال تعالى: { $B %b. @;Ï b& çmu‹Ï?÷sãƒ ª!$# =»tGÅ3ø9$# NõЧ9$#ur no§q9$# §NèO Aqà)tƒ

} (6) (آل عمران: ٧٩). فبين الله أنه ما ينبغي لأحد من البشر، آتاه الله الكتاب والحكــــم والنبوة، أن يأمر الناس أن يتخذوه إلها من دون الله. وذلك أن كتب الله إنمـــا جاءت بإخلاص العبادة لله وحده.

وقال تعالى مبينًا أن كتبه جاءت بالحق والهـــدى { tA"R øã •š =»tGÅ3ø9$# Èd,ptø:$$Î/

} (7) (آل عمران: ٣، ٤ { Á Ìh| $JÏj9 $Jÿ Ä A"Rr& ÷n/‘o @9$# p1‘Ïã9$#ur ŸÈ‹ÅgU Ï›# ÇÌÈ `ÏB Ä $Y=Ï

(1) سورة المائدة آية : ٤٧ .

(2) سورة هود آية : ١ .

(3) سورة النمل آية : ٦ .

(4) سورة النحل آية : ١٠٢ .

(5) سورة التوبة آية : ٦ .

(6) سورة آل عمران آية : ٧٩ .

(7) سورة آل عمران آية : ٣ ، ٤ .

٤). وقال تعـــالى: ﴿ A“R&r ûïíÉYãr šú ïÌè;ã `¿ŠÏŸ9$ª! $] è7ù ãZ‰n°r ãBé ã¨ $Z9$ b‰.

ãts ãß |=»GÅ3ø9$ Ñ@gèB ﴾ [(1)] (البقرة: ٢١٣). وقال تعالى: ﴿ $R]ÿ $Z9$R& öç69$ p1‘ $kŽÏù ¼çm‹Ïù “W‰èd

Öq‘ç ﴾ [(2)] (المائدة: ٤٤). وقال تعـــالى: ﴿ ãpY«?#ä ¨ÃÅÚ Vm#$ ïmŠÏù “W‰èd

Öq‘ç ﴾ [(3)] (المائدة: ٤٦). وقال تعـــالى: ﴿ ãö- ¨B‘ ÒŸ b$ ‰©9 ÷ü Éé R‰ìA ïmŠÏù ã#äøù$ ã “W‰èd ”

$Y=Ï Ä r Ü»YÉM B `Ï ¸$ 3Ž ‰çl9$ ãö$‰ì9$ È ﴾ [(4)] (البقرة: ١٨٥). إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة أن كتب الله تعالى قد جـــاءت بـــالهدى والنور من الله تعالى.

٣ - الإيمان بأن كتب الله يصدق بعضها بعضًا فلا تنـــاقض بينـــها ولا تعارض كما قال تعالى في القرآن ﴿ R&r ãZ9$]ø 7 ãß |=»GÅ3ø9$ ãts ãß Á ÌÉb $ J9$ /ü šú m÷ƒ‰ƒ ï B `È 6Å»GÅ3

ãr‰gßø $YÜ ﴾ [(5)] (المائدة: ٤٨). وقال في الإنجيل: ﴿ ãpY«?#ä ¨ÃÅÚ Vm#$ ïmŠÏù “W‰èd Öq‘ç

ãr ÁÌÉb $ J9$ /ü ûü m÷ƒ‰ƒ ï B `È ãö69$ p1‘ ﴾ [(6)] (المـــائدة: ٤٦). فيجب الإيمان بهذا واعتقاد سلامة كتب الله من كل تنـــاقض أو تعـــارض، وهذا من أعظم خصائص كتب الله عن كتب الخلق وكلام الله عن كـــلام الخلق فإن كتب المخلوقين عرضة للنقص والخلل والتعارض كما قال تعـــالى في وصف القرآن ﴿ ãö9r b‰. ôB ãZÏ ‰ ïÎöî $ ! «4 q9 `‰ ãr ïmŠÏù

$z»-Ïz $Y2 ‰ŽÏW Ÿ2 ÇÊÈ ﴾ [(7)] (النساء: ٨٢).

---

(1) سورة البقرة آية : ٢١٣ .

(2) سورة المائدة آية : ٤٤ .

(3) سورة المائدة آية : ٤٦ .

(4) سورة البقرة آية : ١٨٥ .

(5) سورة المائدة آية : ٤٨ .

(6) سورة المائدة آية : ٤٦ .

(7) سورة النساء آية : ٨٢ .

٤ - الإيمان بما سمى الله U من كتبــه علـى وجـه الخصـوص، والتصديق بها، وبإخبار الله ورسوله عنها. وهذه الكتب هي:

أ) **التوراة:** وهي كتاب الله الذي آتاه موسى عليه السلام. قال تعـالى: { ô‰s)9r Ä $Y=ŷ •ŕ$Á/ 4<rŴ$šc r$ž$ $Zã=d& $B ‰è/ .`Ë |=»FÅ6 ø$Ó›qã $Y•?#ä }[1] (القصص: ٤٣). وفي حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديـث أنس بن مالك t مرفوعًا: (... { فيأتون إبراهيم فيقول: لسـت هُنَاكـم ويذكر خطيئته التي أصابها ولكن ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التـوراة وكلمه تكليما }[2] [3] وقد ألقى الله التوراة على موسى مكتوبة في الألـواح وفي ذلك يقول سبحانه { r 2Ÿ5$Y 9ç¼ Î’ $ô« @ä3 `Ï ¨q#ø9F{$ ’Îû ¼çms9 $oYö;tFx.ur $ô« @ä3 ĵ$ }[4] (الأعراف: ١٤٥). قال ابن عباس (يريـد ألـواح التـوراة). وفي حديث احتجاج آدم وموسى من رواية أبي هريرة t عن النبي: (... { قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده }[5] أخرجـاه في الصحيحين من طرق كثيرة [6]. والتوراة هي أعظم كتب بـني إسـرائيل وفيها تفصيل شريعتهم وأحكامهم التي أنـزلها الله على موسى وقد كان على العمل بها أنبيـاء بني إسرائيل الذين جاءوا من بعد موسى كما قـال تعالى: { $R) $R&ø$Z$

---

(1) سورة القصص آية : ٤٣ .

(2) البخاري التوحيد (٦٩٧٥) ، مسلم الإيمان (١٩٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٣١٢) ، أحمد (١١٦/٣) ، الدارمي المقدمة (٥٢) .

(3) صحيح البخاري برقم (٧٤١٠) ، ومسلم برقم (١٩٣) .

(4) سورة الأعراف آية : ١٤٥ .

(5) البخاري القدر (٦٢٤٠) ، مسلم القدر (٢٦٥٢) ، الترمذي القدر (٢١٣٤) ، أبو داود السنة (٤٧٠١) ، ابن ماجه المقدمة (٨٠) ، أحمد (٢٤٨/٢) ، مالك الجامع (١٦٦٠) .

(6) صحيح البخاري برقم (٦٦١٤) ، ومسلم برقم (٢٦٥٢) ، وفي إحداها : " وكتب لك التوراة بيده " .

$JÎ â$6ômF$ bq$Ÿ»/$9$ (rŠ$d ûïÏ%©!$ (qß=ô™& ûïÏ%©!$šc q$Ÿ9$$$kÍ5 Nåkæ5 Öqçr “ ‰èd $kŽÏù p1‘öq-9$

{ ä#%kà ïnøã (qçŸ2 r «! $É »Fï `ÏB (qàÿÏósçG ó™$ } (1) (المائدة: ٤٤). وقد أخبر الله في كتابه عن تحريف اليـــهود للتـــوراة وتبديلها على ما سيأتي بسط هذا في المبحث القادم إن شاء الله.

ب) **الإنجيل:** وهو كتاب الله الذي أنـــزله على عيسى ابن مريم عليهما السلام. قال تعالى: { çy»?#är ïp1‘öq-9$ `ÏB ïn÷‰f ûü÷/ $JÏj $]%Ïd|Á ãB NÍó•B Ëø$ Ó|¤Šèî NÏdÌ»0#ä #?ã $Zøÿ%r

ûüÉ)-Gßj ¸pàã öqBr “ ‰èdr ïp1‘öq-9$ `ÏB ïn÷‰f ûü÷/ $JÏj $]%Ïd|Á ãBr Öqçr “ ‰èd ïnŠÏù @ŠÅgUM$

ÇÏÎÈ } (2) (المائدة: ٤٦).

وقد أنـــزل الله الإنجيل مصدقا للتوراة وموافقا لها كما تقـــدم في الآيـــة السابقة.

قال بعض العلماء(3) لم يخالف الإنجيل التوراة إلا في قليل من الأحكام مما كانوا يختلفون فيه كما أخبر الله عن المسيح أنه قال لبني إســـرائيل: { Ùè/ Nà6 9 @ïm{r

Nà6 øæ Pìãn “ Ï%©!$ } (4) (آل عمران: ٥٠).

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أن التوراة والإنجيل نصا على البشـــارة بنبينا محمد r . قال تعـــالى { $/qç63B ¼çR rß‰Åg† “ Ï%©!$ ¥_ ‘éÏiM$ ¢ÓÉ9$ Aqß™§9$ šc qãèÎ7F/ ûïÏ%©!$

@ŠÅgUM$ ïp1‘öq-9$ ’Î Nèd‰Yã } (5) (الأعراف: ١٥٧).

وقد لحق الإنجيل من التحريف ما لحق التوراة، كمـــا ســـيأتي بيانـــه في المبحث القادم بحول الله.

---

(1) سورة المائدة آية : ٤٤ .

(2) سورة المائدة آية : ٤٦ .

(3) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦) .

(4) سورة آل عمران آية : ٥٠ .

(5) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .

ج) **الزبور:** وهو كتاب الله الذي أنــزله على داود عليه السلام. قـــال تعالى: } ÇÌÎÈ #Yqç/ Š¼ãr#Š $Y•?#ãr { [1] (النساء: ١٦٣). قال قتادة في تفسير الآية: " كنـــا نحدث أنه دعاء علمه الله داود وتحميد وتمجيد لله U ليس فيه حـــلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ".

د) **صحف إبراهيم وموسى:** وقد جاء ذكرها في موضعين من كتـــاب الله، الأول في سورة النجم في قول الله تعـــالى: } #Œ® " ‰¼$OŠü°•ðr ÇÌÈ 4›qãÃ É ß ß ' î $Jî ÙƒãÑ9 F& ÇÌÏÈ 4ë™ $B žw} Ç›¡ $Mÿ § šÐb&r ÇÌÑÈ 3' •zé ‘ør ø‹Î#r âÌ? žw& ÇÌÒÈ { [2] (النجم: ٣٦-٣٩). والثاني في سورة الأعلى، قال تعـــالى: } 4ŒÁ ù ¾ïn/‘ O$ó$•.Œr ÇÊÍÈ 4’?`B x=ùd ô‰% ÇÊÎÈ 4‹r\W$ É ß Á 9$ ’Å9 #‹»d bÎ) ÇÊÏÈ #+ör žöz ëÅ Å y$ ÇÊÐÈ $‹R‰9$ o4š s9$ brãèŸsè @/ ÇÊÑÈ 4Ó› qãr Lìü°•ðÎ) É tç¼ { [3] (الأعلى: ١٤- ١٩). فأخبر الله U عن بعض ما جاء في هـــذه الصحـــف من وحيه الذي أنـــزله على رسوليه إبراهيم وموســـى عليـــهما السلام. والعلم عند الله.

هــ) **القرآن العظيم:** وهو كتاب الله الذي أنـــزله على نبينا محمـــد r مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وهو آخر كتب الله نـــزولا وأشرفها وأكملها، والناسخ لما قبله من الكتب وقد كانـــت دعوتـــه لعامـــة الثقلين من الإنس والجن. قال تعالى: } ÏÏø㠁$YÜ;ø‹gãr É »G Å6 9$ `B ÏÏf‰÷ƒ šú ÷/ $J9 $]%Ïd‰|Á ã ÈdYs9$ /=»G Å39$ 7ø‹) $Z9R&r { [4] (المائدة: ٤٨) ومهيمنًا: أي شهيدًا علـــى ما قبله من الكتب وحاكما عليها. وقال

---

(1) سورة النساء آية : ١٦٣ .

(2) سورة النجم آية : ٣٦ - ٣٩ .

(3) سورة الأعلى آية : ١٤ - ١٩ .

(4) سورة المائدة آية : ٤٨ .

تعالى: } ©!$#Ÿw tm«7 ¾ÇuŒ ¬§ãŸ ãq÷Ö ©!$# Ž»‰ˆ% -Ï©! Ÿ@Ë ‰Çr& ª@ä` ÓŸ¤ÎÈ §»d # äé)¤$ ä#`a { (1) (الأنعام: ١٩). وقال **U** } x8u‘$t6? “Ï%©!$# tA“R b$%öäd` 4?ã { ÷Ä`§Rãä‘ N¾ÏmÎ ‹ ÷r` .÷/ (2) (الفرقان: ١). وللقرآن أسماء كثيرة أشهرها:

القرآن، والفرقـــان، والكتاب، والتنـــزيل، والذكر.

فيجب الإيمان بهذه الكتب على ما جاءت به النصوص، من ذكر أسمائها، ومن أنـــزلت فيهم، وكل ما أخبر الله به ورسوله **r** عنها، وما قُصَّ علينـــا من أخبار أهلها.

٥ - الاعتقاد الجازم بنسخ جميع الكتب والصحف التي أنـــزلها الله علـــى رسله، بالقرآن الكريم، وأنه لا يسع أحدًا من الإنس أو الجن، لا من أصحاب الكتب السابقة، ولا من غيرهم، أن يعبدوا الله بعد نـــزول القرآن بغير مـــا جـــاء فيه أو يتحاكموا إلى غيره. والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة. قال تعـــالى: } x8u‘$t6? “Ï%©!$# tA“R { (3) (الفرقان: ١). وقال **U**: } @÷d'»‚ ... { (4) (المائدة: ١٥، ١٦).

وقال تعالى آمرا نبيه **r** أن يحكـــم بين أهل الكتاب بـــالقرآن } n$$¤ Nà6 ¬ç÷/ ... { (5) (المائدة: ٤٨). وقال أيضا }

---

(1) سورة الأنعام آية : ١٩ .

(2) سورة الفرقان آية : ١ .

(3) سورة الفرقان آية : ١ .

(4) سورة المائدة آية : ١٥ ، ١٦ .

(5) سورة المائدة آية : ٤٨ .

ª! $A“R& $B Çÿè/ .`ãš, qãÏÿ/ b& Ndö‹n$ Ndä!qd& ôÏ?® Ÿwr ª! $A“R& $J¿ Nkæ/ Nãôm$$Ïr

7ø) } [1] (المائدة: ٤٩).

ومن السنة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب t أتى النبي r بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي r فغضب وقال: { أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني } [2] رواه أحمد والبزار والبيهقي [3] وغيرهم وهو حديث حسن بمجموع طرقه. ومعنى متهوكون: متحيرون.

فهذا ما يجب اعتقاده في كتب الله على سبيل الإجمال وسيأتي تفصيل ما يجب اعتقاده في القرآن على وجه الخصوص في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

---

(1) سورة المائدة آية : ٤٩ .

(2) أحمد (٣/٣٨٧) ، الدارمي المقدمة (٤٣٥) .

(3) مسند الإمام أحمد : ٣ / ٣٨٧ ، وكشف الأستار : ١٣٤ ، وشعب الإيمان للبيهقي : (١٧٧) .

المبحث الثالث

بيان أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى المنزلة دخلها التحريف وسلامة القرآن من ذلك

تحريف أهل الكتاب لكـــلام الله:

أخبر الله U في القرآن الكريم عن تحريف أهل الكتاب لكتـــب الله المنـــزلة عليهم وتغييرها وتبديلها.

قال تعالى في حق اليهود: { أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون } (1) (البقرة: ٧٥). وقال عـــز وجـــل: { من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه } (2) (النساء: ٤٦).

وقال تعالى مخبرا عن النصـــارى: { ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون * يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير } (3) (المائدة: ١٤، ١٥).

فدلت الآيات على تحريف اليهود والنصارى كتب الله المنـــزلة عليهم.

وقد كـــان هذا التحريف بالزيادة تارة وبالنقص تارة أخرى.

فدليل الزيادة قوله تعالى: { فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا } (4) (البقرة: ٧٩).

---

(1) سورة البقرة آية : ٧٥ .

(2) سورة النساء آية : ٤٦ .

(3) سورة المائدة آية : ١٤ ، ١٥ .

(4) سورة البقرة آية : ٧٩ .

ودليل النقص قوله تعالى: } #ZÎŽÏŸ2 ÞÑà9 Úú Î7ã$Ÿèq߉ ÞÑà2 ä$_ ô‰ É»GÅ6 ôMÏ%d'߁

$Bθè% ÞÑà2 ÞÑÏŸà2 qãŠãÏ ŠÏc `Ë $`‰ É»GÅ6 { [1] (المائدة: ١٥). وقوله تعالى: } A“R& ôB ©Ïè

#ZÎŽÏ. bqàÿøƒéB $kXr߉öè§ ŠÛ#•% ¼ÏçRqè=yèøgB Ä $Y=Ϊ “ ‰èdr #Yqè 4›qB ¾ÏïÎ ä!` “ Ï%©!$|=»GÅ3ø9$

{ [2] (الأنعام: ٩١).

تحريف التوراة والإنجيل وأدلة ذلك:

هذا ما جاء في تحريف أهل الكتاب لكلام الله وكتبه في الجملـــة. وأمـــا التوراة والإنجيل خاصة فقد دلت الأدلة مما تقدم وغيرهـــا علـــى وقـــوع التحريف فيهما.

فمن أدلة تحريف التوراة قوله تعالى: } #Yqè 4›qB ¾ÏïÎ ä!` “ Ï%©!$|=»GÅ3ø9$A“R& ôB ©Ïè

ÞÑäàt/#ä ŵr ÓÈR& ¼ÏçRè? Ó9 $B OçGôÏãär #ZÎŽÏ. bqàÿøƒéB $kXr߉öè§ ŠÛ#•% ¼ÏçRqè=yèøgB Ä $Y=Ϊ “ ‰èdr

ÇÊÈ bqçèù ÞÎÅ öz ’Î ÞÑèdöE ©Ïè ª! $®èè { [3] (الأنعام: ٩١). وجاء في تفسير الآية: (أي تجعلون الكتاب الذي جـــاء به موسى في قراطيس تضعونه فيها ليتم لكـــم ما تريدونه مـــن التحريـــف والتبديل وكتم صفة النبي r المذكورة فيه).

وقال تعالى: } * bqãèJôÜGùs& bqãBsã b& ÞÑä9 ô‰r bß. ×ƒÌù ÞÑgΨB bqãJó„ ÞÑgΨB ©Ïè« $N»=Ÿ2

$B ω÷èt/ .`ÏB ¼ÏçRqèÏhtä { [4] (البقرة: ٧٥) قال السدي في تفســـير الآية: (هي التوراة حرفوها). وقال ابن زيد: (التوراة التي أنـــزلها عليـــهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها بـــاطلا والباطل فيها حقا).

---

(1) سورة المائدة آية : ١٥ .

(2) سورة الأنعام آية : ٩١ .

(3) سورة الأنعام آية : ٩١ .

(4) سورة البقرة آية : ٧٥ .

ودليل تحريف الإنجيل قوله تعالى: { Ïr ïÏ%©!$šÆ šú (þ@$% $RÎ) •»ÁR #' z& $Rõ »WŠÏ ôß)

(qÝÙ m$yà $ßÏ $ßÏ (ãè2 Îîi¼ 'ù ö•Ÿ$ /Ÿ&ßšÏ$ è%#ro ß7øó Ò$ä)¯4 /üÔ Ï$šJ»Ÿp r™ô ' |ãŽô ßÐ

$ ª!$ J̧$ Ÿ2 $qR%Ÿ ƒ Á$Ÿ qã Å šc ÈÏ Ç 7' d¨$ ºA6 G» Ë %® _$ä 2à ´N '¨qR$ Ÿ$ã 7Ï ÚÚ 9ã N 2ŸÏ#Ž ßÏ$

{ 2à¡N Ÿ qßù Å šc Ï `$6 ºA6 G» Ë r/èqR ã Æ 2ŸÏ } [1] (المائدة: ١٤-١٥). قال بعض أئمة التفسير في تفسير الآية الأخيرة: (أي يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافتروا على اللّه فيه ويسكت عن كثير مما غـــيروه ولا فائدة في بيانه [2] .

فدلت هذه الآيات على وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيـــل. ولهذا اتفق علماء المسلمين على أن التوراة والإنجيل قد دخلهما التحريـــف والتغيير.

سلامة القرآن من التحريف وحفظ الله له وأدلة ذلك:

أما القرآن العظيم فهو سليم مما طرأ على الكتب السابقة من التحريـــف والتبديل وهو محفوظ من كل ذلك بحفظ اللّه له وصيانته إياه كما أخـــبر اللّه عن ذلك بقوله: { $R̂ ß¨tU ß¤R $Z ø.!$ •¨%!$ $R̂r ¼ç9 t:»y¡%bq ÈÏ } [3] (الحجر: ٩). قـــال الطبري في تفسير الآية: " قال وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مـــا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه [4] ". كمـــا أخبر اللّه في آيات أخرى عن تمام إحكامه للقرآن وتفصيله وتنـــزيهه مـــن كل باطل فقال عز من قائل: { w Ïù?Ï ‹k Ï$7»Ü@ @ Ï` . /÷ ÈÏ

(ÏÈ/ /÷ ÷ Ï ÷r ÷ ÏyÏ ÷ 7ì ¾ÏmÏ ?\ Ï f @Ï ÷ Ï ÷m ÅŠ ÏŠ% ÇÍÈ } [5] (فصلت: ٤٢). وقال تعالى: { #9•

(1) سورة المائدة آية : ١٤ - ١٥ .

(2) تفسير ابن كثير ٣ / ٦٣ .

(3) سورة الحجر آية : ٩ .

(4) تفسير ابن جرير ١٤ / ٧ .

(5) سورة فصلت آية : ٤٢ .

{ ÇÈ ÃÎz ©ÅÈm bè$© `Ï ÏM=Å¹è Ñè ¼çG»f#ä ÏMJÅ3ômé ë=»GÏ } [1] (هود: ١). وقال عز وجـــل: { ÿw 8ÎhtB ¾ÏmÎ 7R$¡Ï9 Ïm fèGÏ ÿÏmÎ ÇÏÈ bÎ) $Zøãn ¼çmè÷Ed ¼çmR#äöè% } [2] (القيامة: ١٦، ١٧).

فدلت هذه الآيات على كمال حفظ الله للقرآن لفظـــا ومعنى بـــدءا بنـــزوله إلى أن يأذن الله برفعه إليه سليما من كل تغيير أو تبديل. إذ تكفـــل بتعليمه لنبيه r ثم جمعه في صدره وبيانه له وتفسيره في سنته المطـــهرة، ثم ما هيأ الله له بعد ذلك من عدول الرجال الذيـــن حفظـــوه في الصـــدور والسطور، عبر الأجيال والقرون، فبقي سليما منـــزها من كل باطل، يقرؤه الصغار والكبار، على مختلف الأعصار والأمصار، غضا طريا كما أنـــزل من الله على رسوله r .

وقد نبه العلماء في هذا المقام إلى سر لطيف ونكتة بديعة تتعلـــق بجـــواز التحريف على التوراة وعدم جوازه على القرآن على ما روى أبو عمـــرو الداني عن أبي الحسن المنتاب قال: (كنت يوما عند القاضي أبي إســـحاق إسماعيل بن إسحاق فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة و لم يجز علـــى أهل القرآن ؟ فقال القاضي: قال الله عـــز وجـــل في أهـــل التـــوراة { $JÎ$ $$ÏÿôsçG`Ï #(qàÿÏ `Ï »FÏ $É$ «! } [3] (المائدة: ٤٤) فوكل الحفظ إليهم فجاز التبديـــل عليهم. وقال في القرآن { $RÎ) tbU $Z9¨R ø!$# •Ïr $RÎ) ¼çm9 } [4] { ÇÈ bqÝàÿ»ptm: } (الحجر: ٩) فلم يجز التبديل عليهم. قال: فمضيت إلى أبي عبد الله المحاملي فذكرت لـــه الحـــكـــاية فقال: " ما سمعت كلاما أحسن من هذا ".

---

(1) سورة هود آية : ١ .

(2) سورة القيامة آية : ١٦ ، ١٧ .

(3) سورة المائدة آية : ٤٤ .

(4) سورة الحجر آية : ٩ .

المبحث الرابع الإيمان بالقرآن وخصائصه

تعريف القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي والفـــرق بينهما:

القرآن الكريم: هو كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة، سمعه جبريل عليه السلام من الله U ونزل به على خاتم رسله محمد r بلفظـــه ومعناه المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف المحفـــوظ من التغيير والتبديل. [(1)] .

والحديث القدسي: هو ما رواه النبي r عن ربه باللفظ والمعنى ونقـــل إلينا آحادا أو متواترا و لم يبلغ تواتر القرآن [(2)] .

ومثاله حديث أبي ذر الغفاري عن النبي r فيما يرويه عن ربه عز وجـــل أنه قال: { يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فـــلا تظالموا } [(3)] [(4)] .

والحديث النبوي: ما أضيف إلى النبي r من قول أو فعل أو تقريـــر أو وصف. [(5)] .

والفرق بين القرآن والحديث القدسي والنبوي: أن القرآن متعبد بتلاوته معجز في نظمه متحدى به، يحرم مسه لمحدث، وتلاوته لنحو جنب، وروايته بالمعنى، وتتعين قراءته في الصلاة، ويؤجر قارئه بكل حـــرف منـــه حسنة والحسنة بعشر حسنات. بخلاف الحديث القدسي والحديث النبـــوي فإنما ليسا كذلك.

---

(1) الطحاوية ١ / ١٧٢ . مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، ص٢١ ، وقواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ص٦٥ .

(2) انظر قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ص٦٥ .

(3) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٧٧) .

(4) رواه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

(5) مصطلح الحديث لابن عثيمين ص٧ ، وقواعد التحديث للقاسمي ص٦١-٦٢ .

والفرق بين الحديث القدس والنبوي: أن الحديث القدسي من كـــلام الله بلفظه ومعناه بخلاف الحديث النبوي فهو من كلام النبي r لفظًـــا ومعنى، وأن الحديث القدسي أفضل من الحديث النبوي وذلك لفضل كـــلام الله على كلام المخلوقين. (1) .

خصائص الإيمان بالقرآن:

الإيمان بكتب الله ركن عظيم من أركان الإيمان على ما تقدم تقريـــره، ولما كان القرآن العظيم هو الكتاب الناسخ للكتب السابقة والمهيمن عليـــها والمتعبد به لعامة الثقلين بعد بعثة نبينا محمد r ونـــزول هـــذا الكتـــاب عليه، اختص الإيمان به بخصائص ومميزات لا بد من تحقيقـــها للإيمـــان بـــه بالإضافة إلى ما تم تقريره من مسائل في تحقيق الإيمان بالكتب إجمالا. وهذه الخصائص هي:

١- اعتقاد عموم دعوته وشمول الشريعة التي جاء بها لعموم الثقلين مـــن الجن والإنس لا يسع أحدًا منهم إلا الإيمان به ولا أن يعبدوا الله إلا بما شـــرع فيه. قال تعالى: { ÇÌÈ #•ƒÉR šú üÏJ=»èù bqä3‹Ï ¾ÍnÏ‰ö6tã 4?ã b$%ö¡àø9$A"R " Ï%©!$8 '$6? } (2) (الفرقان: ١). وقال تعالى مخبرًا على لسان نبيه r { ÷=/ .`Br ¾ÏmÎ/ Nä'ÉRT{ ã#äö)à9$# #‹»d ¥Í) óÇrÏé } (3) (الأنعام: ١٩). وقال تعالى إخبارًا عن الجـــن: { üt Ï‰ö ÇÌÈ $Y%" $R#äöè $Yèÿœ $RÎ) } (4) (الجن: ١، ٢).

٢ - اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة فلا يجوز لأهـــل الكتـــاب ولا لغيرهم أن يعبدوا الله بعد نـــزول القرآن بغيره، فلا دين إلا ما جاء بـــه، ولا عبادة إلا ما شرع الله فيه، ولا حلال إلا ما أحل فيه، ولا حرام إلا ما حـــرم فيه، قال تعالى: { `Br ÆÉtö ŽöîÎ

(1) انظر قواعد التحديث للقاسمي ص٦٥- ٦٦ .
(2) سورة الفرقان آية : ١ .
(3) سورة الأنعام آية : ١٩ .
(4) سورة الجن آية : ١ ، ٢ .

{ ¨ΒuρŽ÷ƒtótFö;ΝÎ)Ÿ≅öΝ$ } [1] (آل عمران: ٨٥). وقال تعالى: { $¯ΡÎ)!$uΖø9t“Ρr& 7=»GÅ3ø9$ } { $¯ΡÎ)!$uΖø9t“Ρr&y7ø‹s9Î)|=»tGÅ3ø9$#Èd,ysø9$$Î/zΝä3óstGÏ9tÎ/Ĩ$¨Ζ9$#!$yϑÎ/y71u‘r&ª!$# } [2] (النساء: ١٠٥). وقد تقدم في حديث جابر بن عبد الله نهـــي النبي ﷺ أصحابه عن قراءة كتب أهل الكتاب وقوله: (... { والذي نفسي بيده لـــو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني } [3] [4].

٣ - سماحة الشريعة التي جاء بها القرآن ويسرها، بخـــلاف الشـــرائع في الكتب السابقة. فقد كانت مشتملة على كثير من الآصار، والأغلال الـــتي فرضت على أصحابها. قال تعالى: { tÏ%©!$#tβθãèÎ6−FtƒtΑθß™§9$#¢Ó É<¨Ζ9$#¥_ÍhΓW{$#“Ï%©!$#ÏμtΡρß‰Éftƒ$¹/θçGõ3tΒöΝèδy‰ΨÏã’ÎûÏπ1u‘öθ−G9$#È≅ŠÅgΥM}$#uρΝèδããΒù'tƒÅ$ρã÷èpRùQ$$Î/öΝßγ8pκ÷]tƒuρÇtãÌx6ΖßϑØ9$#‘≅ÏtäuρãΝßγs9ÏM≈t6Íh‹©Ü9$#ãΠÌhptä†uρãΝÍκön=tæy]Í×¯»t6y‚ø9$#ßìŸÒtƒuρöΝßγ÷Ψtãö/àSuŽñÀÎ)Ÿ≅≈n=øîF{$#uρÉL©9$#ôMtR%x.óΟÎγøŠn=tæ } [5] (الأعراف: ١٥٧).

٤ - أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنـــوي. قـــال تعالى { $¯ΡÎ)ßøtwΥ$uΖø9¨“tΡtò2Ïe%!$#$¯ΡÎ)uρ…çμs9tβθÝàÏ≈ptm: } [6] (الحجر: ٩). وقال تعالى: { žω Ïμ‹Ï?ù'tƒã≅ÏÜ≈t6ø9$#.ÏΒÈ÷t/Ïμ÷ƒy‰tƒŸωuρô ÏΒ¾ÏμÏù=yz×≅ƒÍ”∴s?ôÏiΒ?ΟŠÅ3ymω‹ÏΗxq } [7] (فصلت: ٤٢). وقال ﷺ مبينًا تكفله بتفسيره وتوضيحه علـــى مـــا أراد وشرع: { ¨βÎ)$uΖøŠn=tã…çμyè÷Ηsd…çμtΡ#uöè%uρ }

---

(1) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

(2) سورة النساء آية : ١٠٥ .

(3) أحمد (٣٨٧/٣) ، الدارمي المقدمة (٤٣٥) .

(4) رواه الإمام أحمد في المسند : ٣ / ٣٨٧ ، وغيره .

(5) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .

(6) سورة الحجر آية : ٩ .

(7) سورة فصلت آية : ٤٢ .

{ [illegible] } [1] (القيامة: ١٧-١٩). قال ابن كثير في تفسير الآية الأخـــيرة: " أي بعـــد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشـــرعنا ". وقد هيأ الله تعالى لحفظ كتابه من العلماء الجهابذة من قاموا بذلك خير قيـــام، من لدن النبي r إلى يومنا هذا، فحفظوا لفظه وفهموا معناه، واستقاموا على العمل به، ولم يَدَعوا مجالا من مجالات خدمة القرآن وحفظه إلا وألفوا فيـــه المؤلفات المطولة، فمنهم من ألف في تفسيره، ومنهم مـــن ألـــف في رسمـــه وقراءاته، ومنهم من ألف في محكمه ومتشابهه، ومنهم من ألـــف في مكيـــه ومدنيه، ومنهم من ألف في استنباط الأحكام منه، ومنهم من ألف في ناسخه ومنسوخه، ومنهم من ألف في أسباب نـــزوله، ومنهم من ألف في أمثالـــه، ومنهم من ألف في إعجازه، ومنهم من ألف في غريبه، ومنهم من ألـــف في إعرابه، إلى غير ذلك من المجالات التي تجسد من خلالها حفظ الله لكتابه بما هيأ له هؤلاء العلماء من خدمة كتابه وعلومه حتى بقي محفوظًا يقرأ ويفســـر غضًّا طريًّا كما أنـــزل.

٥ - أن القرآن الكريم مشتمل على وجوه كثيرة من الإعجاز شارك فيها غـــيره من الكتب المنـــزلة، وهو في الجملة المعجزة العظمى وحجة الله البالغة الباقية التي أيد بها نبيه r وأتباعه إلى قيام الساعة، على ما روى الشـــيخان مـــن حديث أبي هريرة عن النبي r قال: { ما من الأنبياء نبي إلا أعطـــى مـــن الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحـــاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة } [2] [3] . ومن صور إعجـــاز القرآن حسن تأليفه وفصاحته وبلاغته وقد وقع التحدي للإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو ببعضه على مراتب ثلاث: فقد تحداهم الله

(1) سورة القيامة آية : ١٧ - ١٩ .

(2) البخاري فضائل القرآن (٤٦٩٦) ، مسلم الإيمان (١٥٢) ، أحمد (٢/٤٥١) .

(3) صحيح البخاري برقم (٤٩٨١) ، ومسلم برقم (١٥٢) .

على أن يأتوا بمثله فعجزوا وما استطاعوا. قال تعالى: { bqäÏBsã÷ƒ @/ ¼ã&s)?bqä9qà)tƒ ÷Pr& ÇÌÌÈ šúüÏ%Ï»|¹ (#qçR%x. bÎ) ÿ¾Ï&Î#÷VÏiB ;]ƒÏ‰ptø: (#qè?ù'uŠù=sù ÇÌÍÈ } [1] (الطور: ٣٣، ٣٤). وقال U مقررًا عجزهم عـــن ذلك { #<»d È@÷VÏJÎ/ (#qè?ù'tƒ br& #'n?tã •`Éfø9$#ur ߧRM}$# ÏMyèyJtGô_$# ÈûÈõ©9 @è% } ÇÑÑÈ #ZŽÎgsß <Ù÷èt7Ï9 öNåkÝÕ÷èt/ šc%x. öqs9ur ¾Ï&Î#÷VÏJÎ/ bqè?ù'tƒ Ÿw ÈbãäöÉ)ø9$# [2] (الإسراء: ٨٨). ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فما قدروا. قال تعالى: { ÷Pr& bqä9qà)tƒ çm1uŽtIøù$# ö@è% (#qè?ù'sù ÎŽô³yèÎ/ 9‘uqß™ ¾Ï&Î#÷VÏiB ;M»tƒuŽtIøÿãB (#qãã÷Š$#ur Ç`tB OçF÷èsÜtGó™$# `ÏiB Èbrߊ «!$# bÎ) óOçFZä. šúüÏ%Ï»|¹ ÇÊÌÈ } [3] (هود: ١٣). ثم تحداهم مرة ثالثة بأن يأتوا بسورة منه فما اســتطاعوا. قـــال تعالى: { ÷Pr& bqä9qà)tƒ çm1uŽtIøù$# ö@è% (#qè?ù'sù ;ouqÝ¡Î/ ¾Ï&Î#÷VÏiB (#qãã÷Š$#ur Ç`tB OçF÷èsÜtGó™$# `ÏiB Èbrߊ «!$# bÎ) óOçFZä. šúüÏ%Ï»|¹ ÇÌÑÈ } [4] (يونس: ٣٨). فثبت بهذا إعجاز القرآن على أبلـــغ وآكده، لما عجز الخلق عن معارضته بأدنى مراتب التحـــدي، وهـــو الإتيان بسورة من مثله، وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات.

٦ - أن الله تعالى بين في القرآن كل شيء مما يحتاج له النـــاس في أمـــر دينهم، ودنياهم، ومعاشهم، ومعادهم. قال تعالى { $uZø9¨tRur š•ø‹n=tã |=»tGÅ3ø9$# $YZ»uŠö;Ï? Èe@ä3Ïj9 &äóÓx« "Y‰èdur ZpyJômu‘ur 3“uŽô³ç0ur tûüÏJÎ=ó¡ßJù=Ï9 ÇÑÒÈ } [5] (النحـــل: ٨٩). وقـــال تعالى: { $B 'Î $uZôÛ§sù

---

(1) سورة الطور آية : ٣٣ ، ٣٤ .

(2) سورة الإسراء آية : ٨٨ .

(3) سورة هود آية : ١٣ .

(4) سورة يونس آية : ٣٨ .

(5) سورة النحل آية : ٨٩ .

{ ãô« `B É»GA$$ } [1] (الأنعام: ٣٨). قال ابن مســـعود t " أنـــزل في هذا القرآن كل علم، وكل شيء قد بين لنا في القرآن ".

٧ - أن الله تعالى يسر القرآن للمتذكر والمتدبر وهذا من أعظم خصائصه. قال تعالى: { Ç¦È ø%B `B @gù ÌøÏ#9 b#äöà$ $RŽœ£o)9r } [2] (القمر: ١٧). وقـــال تعالى: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } [3] (ص: ٢٩). قال مجاهد في تفسير الآية الأولى: " يعني هونَّـــا قراءتـــه ". وقـــال السدي: " يسرنا تلاوته على الألسن ". وقال ابن عباس: " لولا أن الله يســـره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله " [4] . وقـــد ذكر الطبري وغيره من أئمة التفسير أن تيسير القرآن يشمل تيسير اللفـــظ للتلاوة وتيسير المعاني للتفكر والتدبر والاتعاظ [5] وهو كذلك كمـــا هـــو ملاحظ ومشاهد.

٨ - أن القرآن تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصـــول شـــرائع الرسل. قال تعالى: { ïøã $YÜ ø‹gŠr É»GA6 ø9$ `B ïm÷ƒ‰ƒ šú÷ üt/ $J9 $]%Ïd|ÁãB Èd,ys ø9$ |=»GA6 ø9$ 7ø‹s9Î) !$uZø9t“Rr& } [6] (المائدة: ٤٨). وقال تعالى: { ü“Ï%©!$ ur ¢mq çR ¾ÏmÎ/ 4œ»ur $B ÈûïÏe$!$ `B Nä3s9 íŽ Ÿ° * } ïnŠÏù (#qè%§xÿG? Ÿwur tûïÏe$!$ (#qßJŠÏ% ø&r (4Óy›Šãr 4Óy›qãB ur tLìÏd°ö/Î) ÿ¾ÏmÎ/ $uZøŠ¢¹ ur $Br 7ø‹s9Î) !$uZø‹ym÷rr& { [7] (الشورى: ١٣).

---

(1) سورة الأنعام آية : ٣٨ .

(2) سورة القمر آية : ١٧ .

(3) سورة ص آية : ٢٩ .

(4) تفسير ابن كثير ٨ / ٤٥٣ .

(5) تفسير ابن جرير ٢٧ / ٩٦ .

(6) سورة المائدة آية : ٤٨ .

(7) سورة الشورى آية : ١٣ .

٩ - أن القرآن مشتمل على أخبار الرسل والأمم الماضية وتفصيل ذلـــك بشكل لم يسبق إليه كتاب قبله. قال تعالى: } 8Š#sè ¾inÎ ãMÎri; $B ©ÉL¨9$#ää$6R& ôÏB 7ø‹ã •È à)R yxär { [1] (هود: ١٢٠). وقال تعالى: } ÒÌ$% $k]ÏB š• ø‹ã ¼çnÁ à)R 3' •à9$#ää$6R& ôÏB 7Ï9ºE { [2] (هود: ١٠٠). وقال تعـــالى: } Ç÷ÈÌ Ó‹xÅÆmr 6‰% $B ää$7R& ôÏB 7ø‹ã •È à)R 7Ï9ºx. { [3] (طه: ٩٩).

١٠ - أن القرآن هو آخر كتب الله نـــزولا وخاتمها والشاهد عليها. قال تعالى: } “ ‰ä© @ö6% `B ÇÌÈ ¨ø‹ç‹Ñ)$# p1‘q9$# A“R&r ìnƒ‰÷ƒ û÷t/ $J9Ïj $|¹Á ã ‚ës $9$# |=»GÅ6ø9$#š• ø‹ã A“R 7ø)Ï $Z9ø‹R&r { [4] (آل عمـــران: ٣، ٤). وقـــال تعالى: } b$%ö‹ç6ø9$# A“R&r Ä $Y=Ï { [5] (المائدة: ٤٨). ìnø‹ã $YÏJøgBr É=»GÅ6 ø9$#`B ìnƒ‰÷ƒ šú ÷t/ $J9Ïj $|¹Á ã ‚ës 9# |=»GÅ6ø9$#

فهذه بعض خصائص القرآن الكريم على سائر الكتب الأخرى ممـــا لا يتحقق الإيمان به إلا باعتقادها وتحقيقها علمًا وعملًا. والله تعالى أعلم.

---

(1) سورة هود آية : ١٢٠ .

(2) سورة هود آية : ١٠٠ .

(3) سورة طه آية : ٩٩ .

(4) سورة آل عمران آية : ٣ ، ٤ .

(5) سورة المائدة آية : ٤٨ .

الفصل الثالث

الإيمان بالرسل

ويحتوي على أحد عشر مبحثًا:

المبحث الأول: حكم الإيمان بالرسل وأدلته.

المبحث الثاني: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

المبحث الثالث: كيفية الإيمان بالرسل.

المبحث الرابع: ما يجب علينا نحو الرسل.

المبحث الخامس: أولو العزم من الرسل.

المبحث السادس: خصائص نبينا محمد r وحقوقه على أمته مـــع بيان أن رؤية النبي r في المنام حق.

المبحث السابع: ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده.

المبحث الثامن: الإسراء بالرسول r حقيقته وأدلته.

المبحث التاسع: القول الحق في حياة الأنبياء عليهم السلام.

المبحث العاشر: معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء.

المبحث الحادي عشر: الولي والولاية في الإسلام.

المبحث الأول: حكم الإيمان بالرسل وأدلته

الإيمان برسل الله تعالى واجب من واجبات هذا الدين وركن عظيم مـــن أركـــان الإيمان. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.

قال تعالى: { ¾ÏmÏF3Í»=Br «!$$# `B#ä @ä bqãZÏBsßJø9$#ur ¾ÏmÎn/§ `ÏB Ïmø‹s9Î) AÌRé$JÎ/ ãAqß™§9$# `B#ä

$YèÛr&ur $Zèÿ™ (#qä9$%r ¾Ï&Î#ß™• `ÏB 7‰m& šú ü/ ä−hÌhxÿçR Ÿw ¾Ï&Î#ß™âr ¾ÏmÎ7çFä.ur } [1] (البقَرة: ٢٨٥).

فذكر الله تعالى الإيمان بالرسل في جملة ما آمن بـــه الرسول والمؤمنون، من أركان الإيمان. وبين أنهم في إيمانهم بالرســـل لا يفرقون بينهم فيؤمنوا ببعضهم دون بعض، بل يصدقون بهم جميعًا.

وقد بين الله في كتابه حكم من ترك الإيمان بالرسل. فقال تعـــالى: { šú ïÏ%©!$# bÎ)

ãö6Rr ÷ÈèÎ7Î/ ßÏBsŒçR šc qä9qà)tƒr ¾Ï&Î#ß™âr «!$$û ü/ (#qè%Ìhxÿãƒ b& šc rß‰ƒÌãƒr ¾Ï&Î#ß™âr «!$$Î/ brãàÿõ3tƒ

$Ym brãÏÿ»3ø9$# ãNèd 7Í×¯»s9'ré& Çx ‹Î6y™ 7Ï9ºsŒ ûü/ (#rä‹Ï‚−Gtƒ b& brß‰ƒÌãƒr ÷ÈèÎ7Î/ } [2] (النساء: ١٥٠، ١٥١). فأطلق الكفر علـــى من كـــذب بالرسل أو فرق بينهم بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم. ثم قرر أن هـــؤلاء هم الكافرون حقًّا أي الذين تحقق كفرهم وتقرر صراحة.

كما بين الله في مقابل ذلك في السياق نفسه ما عليه أهل الإيمان مـــن ذلك فقال: {

ª!$b%.r öNèd'qã_é& öNÍkŽÏ?÷sãƒ $ôy™ 7Í×¯»s9'ré& öNåk÷]ÏiB 7‰n& ûü/ (#qè%Ìhxÿãƒ Os9r ¾Ï&Î#ß™âr «!$$Î/ (#qãZtB#uä ûïÏ%©!$#ur

Çà‹Ïm§‘ #Yqàÿxî } [3] (النساء: ١٥٢). فوصفـــهـم بالإيمان بالله ورسله كلهم من غير تفريق بين الرسل في الإيمان ببعضهم دون بعض وإنما يعتقدون أنهم مرسلون من الله تعالى.

---

(1) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(2) سورة النساء آية : ١٥٠ ، ١٥١ .

(3) سورة النساء آية : ١٥٢ .

وأما السنة فدلت كذلك على ما دل عليه الكتاب من أن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان وقد دَلّ على ذلك حديث جبريل المتقدم بنصـــه في مبحـــث " الإيمان بالملائكة " وفيه أن النبي r أجاب لما سأله جبريل علـــيه السلام عن الإيمان فقال: { أن تؤمن بالله وملائكـــته وكتبه ورســـله واليـــوم الآخر }[1] ...)[2] الحديث. فذكر الإيمان بالرسل مع بقية أركان الإيمان الأخرى الواجـــب على المسلم تحقيقها واعتقادها.

وفي دعاء النبي r في التهجد عند قيام الليل أنه كان يقول: { اللهم لـــك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنـــت قيـــم السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحـــق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حـــق، والنـــار حـــق، والنبيون حق، والساعة حق }[3] ...)[4].

فشهادة النبي r أن النبيين حق ضمن ما ذكر من أصول الإيمان العظيمة كالإيمان بالله وبوجود الجنة والنار وقيام الساعة وتقديمه ذلك بـــين يـــدي دعائه وقيامه دليل على أهمية الإيمان بالرسل والأنبياء ومكانته في الدين.

فتقرر وجوب الإيمان بالرسل وأنه من أعظم دعائم هذا الدين ومن أكـــبر خصال الإيمان وأن من كذب بالرسل أو بأحد منهم فإنه كافر بالله العظيـــم كفرًا صريحًا بجحده هذا الركن العظيم من أركان الإيمان.

---

(1) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٥٢/١) .

(2) تقدم ص١١٣ .

(3) البخاري التوحيد (٧٠٦٠) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٩) ، الترمذي الدعوات (٣٤١٨) ، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦١٩) ، أبو داود الصلاة (٧٧١) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٥) ، أحمد (٣٥٨/١) ، مالك النداء للصلاة (٥٠٠) ، الدارمي الصلاة (١٤٨٦) .

(4) صحيح البخاري برقم (٧٤٩٩) .

ثمرات الإيمان بالرسل:

إذا تحقق الإيمان بالرسل ترك آثاره الطيبة وثماره اليانعة على المؤمن فمـــن ذلك:

١ - العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.

٢ - شكر الله على هذه النعمة الكبرى.

٣ - محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة عبيده، ولما قاموا به من تبليغ رسالة الله لخلقه وكمال نصحـــهم لأقوامهم وصبرهم على أذاهم.

المبحث الثاني: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

النبي في اللغة: مشتق من النبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة. قال تعالى: } §ã Ff¡ $ãäqb ÇÈ Çã $9Z6î $èÈ Ë‹Ó ÇÈ { [1] (النبأ: ١، ٢). وسمي النبي نبيًّا لأنه مُخبرٌ من الله، ويُخْبِرُ عن الله فهو مُخبَر ومُخبِر.

وقيل النبي مشتق من النباوة: وهي الشيء المرتفع.

وسمي النبي نبيًّا على هذا المعنى: لرفعة محله على سائر الناس. قال تعالى } r'ùèY»pç $R%3B $¬ŠÏæ ÇÎÐÈ { [2] (مريم: ٥٧).

والرسول في اللغة: مشتق من الإرسال وهو التوجيه. قال تعالى مخبرًا عن ملكة سبأ: } ’ÎoTÎ)ur 7's#Å™öãB NÍköŽs9Î) 7pƒÏ‰ygÎ/ ×otÏß$sYsù zNÎ/ ßìÅ_ötƒ šcqè=y™ößJø9$# ÇÌÎÈ { [3] (النمل: ٣٥).

وقد اختلف العلماء في تعريف كل من النبي والرسول في الشرع على أقوال أرجحها:

أن النبي: هو من أوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين.

والرسول: هو من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمر الله ليبلغ رسالة الله.

والفرق بينهما:

أن النبي هو من نبأه الله بأمره ونهيه ليخاطب المؤمنين ويأمرهم بذلك ولا يخاطب الكفار ولا يرسل إليهم.

وأما الرسول فهو من أرسل إلى الكفار والمؤمنين ليبلغهم رسالة الله ويدعوهم إلى عبادته.

---

(1) سورة النبأ آية : ١ ، ٢ .

(2) سورة مريم آية : ٥٧ .

(3) سورة النمل آية : ٣٥ .

وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فقد كان يوسف علـــى ملة إبراهيم، وداود وسليمان كـــانا على شريعة التوراة وكلهم رسل. قـــال تعالى: { ô‰s)s9ur äNà2 uä!%y\` ß#ß™qム`ÏB ã@ö6s% ÏM»uZÉit6ø9$$Î/ $yJsù ÷Läêø9Î— ’Îû 7e7x© $£JÏiB Nà2 uä!%y\` ¾ÏmÎ/ ( #Ó¨Lym #sŒÎ) š•n=yd óOçFù=è% `s9 y]yèö7tƒ ª!$# .`ÏB ¾Ínω÷èt/ Zwqߙ‘ } [1] (غافر: ٣٤). وقال تعالى: { * !$¯RÎ) !$uZøŠym÷rr& y7ø‹s9Î) !$yJx. !$uZøŠym÷rr& 4’n<Î) 8yqçR z`¿ÍhŠÎ;¨Y9$#ur .`ÏB ¾Ínω÷èt/ 4 !$uZøŠym÷rr&ur #’n<Î) zOŠÏdºtö/Î) Ÿ@ŠÏè»yJó™Î)ur t,»ysó™Î)ur z>qà)÷ètƒur ÅÞ$t6ó™F{$#ur 4Ó|¤ŠÏãur z>qƒr&ur }§çRqãƒur šcrã»yd ur z`»yJø‹n=ß™ur 4 $oY÷s?#uäur yŠ¼ãr#yŠ #Y‘qç/y— } [2] (النســـاء: ١٦٣، ١٦٤).

وقد يطلق على النبي أنه رسول كـــما قال تعالى: { !$tBur $uZù=y™ö‘r& `ÏB y7Î=ö6s% `ÏB 5Aqߙ§‘ Ÿwur @cÓÉ<tR HwÎ) #sŒÎ) #Ó©_yJs? ’s+ø9r& ß`»sÜø‹¤±9$# þ’Îû ¾ÏmÏG¨ŠÏZøBé& } [3] (الحج: ٥٢) فذكر الله U أنه يرسل النبي والرسول. وبيان ذلك أن الله تعالى إذا أمر النبي بدعوة المؤمنين إلى أمر فهو مرسل من الله إليهم لكن هذا الإرسال مقيـــد. وأما الإرسال المطلق فهو بإرسال الرسل إلى عامة الخلـــق مـــن الكفـــار والمؤمنين.

---

(1) سورة غافر آية: ٣٤.

(2) سورة النساء آية: ١٦٣، ١٦٤.

(3) سورة الحج آية: ٥٢.

المبحث الثالث: كيفية الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل هو اعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه وأخبر به النبي r في سنته إجمالا وتفصيلا.

فالإيمان المجمل:

هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دون الله. قال تعالى: { ô‰s)s9ur $uZ÷Wyèt/ ’Îû Èe@ä. 7p¨Bé& »wqß™§‘ Âcr& (#r߉ç6ôã$# ©!$# (#qç7Ï^tGô_$#ur |Nqäó»©Ü9$# } [1] (النحل: ٣٦). وبأنهم جميعهم صادقون، بارون، راشدون، كرام بررة، أتقياء أمناء، هداة مهتدون. قال تعالى: { #x‹»yd $tB y‰tãur ß`»uH÷q§9$# s-y‰|¹ur tbqè=y™ößJø9$# } [2] (يس: ٥٢). وقال تعالى بعد أن ذكر طائفة كبيرة من الأنبياء والرسل: { ô`ÏBur óOÎgÍ¬!$t/#uä öNÍkÉJ»ƒÍh‘èŒur öNÍkÍX¨uq÷zÎ)ur 4 öNßg»uZø‹u;tFô_$#ur öNßg»oY÷ƒy‰ydur 4’n<Î) :Ý°ºuŽÅÀ 5OŠÉ)tGó¡B ã‰ èù "‰ßgÏ9 ôM¯t/ …ÏmÎ/ `tB âä!$t±o„ ô`ÏB ¾ÍnÏŠ$t6Ïã } [3] (الأنعام: ٨٧، ٨٨).

وبأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين جاءوا بالبينات من ربهم إلى أقوامهم. قال تعالى حكاية عن أهل الجنة: { ô‰s)s9 ôNuä!%y` ã@ß™â‘ $uZÎn/u‘ Èd,ysø9$$Î/ } [4] (الأعراف: ٤٣). وقال تعالى: { ô‰s)s9 $uZù=y™ö‘r& $oYn=ß™â‘ ÏM»uZÉi t6ø9$$Î/ $uZø9t“Rr&ur ãNßgyètB |=»tGÅ3ø9$# } [5] (الحديد: ٢٥).

---

(1) سورة النحل آية : ٣٦ .

(2) سورة يس آية : ٥٢ .

(3) سورة الأنعام آية : ٨٧ ، ٨٨ .

(4) سورة الأعراف آية : ٤٣ .

(5) سورة الحديد آية : ٢٥ .

وبأن أصل دعوتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله وأمـــا شـــرائعهم فمختلفة.

قال تعالى: ﴿ $Br $Z¢ÎM™ö‘& `B š• Î6% `B @qß™§ ûwÎ) ûÓÇqçR ìmøŠs9Î) ¼çm¯Rr& Iw tm»s9Î) HwÎ) O$tRr& Èbr߉ç7ôã$$sù ﴾ [1] (الأنبياء: ٢٥). وقال **U** ﴿ @@ä3Ï9 $oYù=yèy_ öNä3ZÏB Zptã÷ŽÅ° %[`$ygø÷YÏBur ﴾ [2] (المائدة: ٤٨).

وبأنهم قد بلغوا جميع ما أرسلوا به البلاغ المبين، فقامت بذلك الحجـــة على الخلق.

قال تعالى: ﴿ zNn=÷èu‹Ïj9 br& ô‰s% (#qäón=ö/r& ÏM»n=»y™Í‘ öNÍkÍh5u‘ xÞ%tnr&ur $yJÎ/ öNÍkö‰y‰s9 4Ó|Âômr&ur ¨@ä. >äóÓx« #OŠy‰tã ﴾ [3] (الجن: ٢٨). وقال تعالى: ﴿ Wxß™•‘ šúïÎŽÅe³t6•B tûïÍ‘É‹ZãBur žxy¥Ï9 tbqä3tƒ Ĩ$¨Z=Ï9 ’?tã «!$# 8p¤fãm y‰÷èt/ È@ß™”9$# ﴾ [4] (النســـاء: ١٦٥).

ويجـــب الإيمان بأن الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبيـــة شيء. وإنما هم عباد أكرمهم الله بالرسالة. قال تعالى: ﴿ ôMs9$s% öNßgs9 öNßgè=ß™â‘ bÎ) ß`øtªU žwÎ) ×Ž|³o0 ﴾ [5] (إبراهيم: ١١). وقال تعالى عن نوح: ﴿ Iwur ãAqè%r& öNä3s9 “ωYÏã ßûÉî!#t“yz «!$# Iwur ãNn=ôãr& |=øŠtóø9$# Iwur ãAqè%r& ’ÎoTÎ) Ô7n=tB ﴾ [6] (هود: ٣١). وقال **U** آمرًا نبينا محمدًا **r** أن يقول لقومه: ﴿ @è% Hw ãAqè%r& öNä3s9 “ωZÏã ßûÉî!#t“yz «!$# Iwur ãNn=ôãr& |=øŠtóø9$# Iwur ãAqè%r& öNä3s9 ’ÎoTÎ) î7n=tB ÷bÎ) ßìÎ7¨?r& žwÎ) $tB #Óyrqãƒ ¥’n<Î) ﴾ [7] (الأنعام: ٥٠).

---

(1) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

(2) سورة المائدة آية : ٤٨ .

(3) سورة الجن آية : ٢٨ .

(4) سورة النساء آية : ١٦٥ .

(5) سورة إبراهيم آية : ١١ .

(6) سورة هود آية : ٣١ .

(7) سورة الأنعام آية : ٥٠ .

ومما يجب اعتقاده أيضًا في حق الرسل أنهم منصورون مؤيدون مـــن الله، وأن العاقبة لهم ولأتباعهم. قال تعالى: { $RÎ) ZY9 çÝÇ â'B $Y=ß™ â ü$$ #ä.B$ ti$ ' Î ‹t6$9$ %$R r/ Pöq)ã } { ÏŠ»ygô©F$ } (1) (غافر: ٥١). كما يجب اعتقـــاد تفـــاضل الرسل على ما أخبر **U** في قوله تعالى: { * y7ù=Ï? ã9 ™ ß'9$ Ùb/ èO Bgy$ è/ 4?ã Ù<è/ ¢ B ¢ `B .=N$!ª } (2) (البقرة: ٢٥٣).

فيجـــب الإيمان بكل هذا وبكل ما جاء في الكتاب والسنة عـــن الرســـل على وجه العموم إيمانًا مجملًا.

وأما الإيمان المفصل:

فيكون بالإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه والنبي **r** في سنته منهـــم، إيمانًا مفصلًا على نحو ما جاءت به النصوص من ذكر أسمائهم وأخبـــارهم وفضائلهم وخصائصهم.

والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون. ورد ذكـــر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: { y7ù=Ï?ur !$ uZçF¤fãm !$ yg»oY÷ s?#uä tLìÏdºtö/Î) 4?ã ¾ÏmÏBöqs% 4 ßìsùötR ;M»y_u'y `B âä!$ t±®S 3 b) 7/u' íOŠÅ3ym ÒOŠÎ=tæ ÇÑÌÈ $uZö6ydurur ¼ã&s! t,»ysóÎ) z>qà)÷èturu 4 xà2 $oY÷ƒy‰yd 4 %·nqçRur $oY÷ƒy‰yd `B ã@ö6s% (`Brur ¾ÏmÏF§' èd y‰¼ãr#y uZ»yJøŠn=ßur z>qƒr&ur y#ß™qãƒur 4Óy›qãBur tbrã»ydur 4 y7Ï9ºx‹x.ur Ìøgwx ûüÏZÅ¡ósßJø9$# ÇÑÍÈ $ƒÌ2y—ur 4Óz√óstƒur 4Ó|¤ŠÏãur }¨$ uø9Î)ur ( @@ä. z`ÏiB šúüÅsÎ=»¢Á9$# ÇÑÎÈ Ÿ@ŠÏè»oÿôœÎ)ur zÆ|¡uŠø9$#ur }§çRqãƒur $WÛqä9ur 4 yxà2ur $oYù=žÒsù 'n?tã šúüÏJn=»yèø9$# ÇÑÏÈ } (3) (الأنعام: ٨٣-٨٦). وورد ذكر الباقين في مواضع أخرى من القرآن. قال تعالى: { * 4<n<Î)ur >Š%tæ öNèd%s{r& #Yq#d } (4) (الأعـــراف: ٦٥).

---

(1) سورة غافر آية : ٥١ .

(2) سورة البقرة آية : ٢٥٣ .

(3) سورة الأنعام آية : ٨٣ - ٨٦ .

(4) سورة الأعراف آية : ٦٥ .

وقال: { 4ﾍ̂r Šq߉0 ﾖŒé‰{& ﾄ¹ $[s ﾉ} (1) (الأعـــراف: ٧٣). وقـــال: { 4ﾍ̂r

ﾌﾖB šú ﾖŒé‰{& $Y&ﾎé@ } (2) (الأعراف: ٨٥). وقـــال: { * ﾍ̂b $ ®$ $ #"Ü6 #ä PŠ

ﾉ}n q®r } (3) (آل عمران: ٣٣). وقال: { ﾍ̂Jﾃ¬J ﾖŠé»Jﾃ̂r §ƒﾉŠ̂r ﾉﾃr # ﾖŠﾃA$ ®2 @ ﾖB `

9$ ﾃA ﾉﾃé¯ ûï ÇﾉÏÈ } (4) (الأنبياء: ٨٥). وقال: { ﾉŠtC ﾉ$ §ﾃ'$A qﾉ $ ‹ ﾉ$ ûï ﾖçèB ﾉŠ©& ﾉﾃ ?'ã

$ﾃ2 ﾉ$ ﾃƒ qﾃâ ﾃﾉ ﾖŒé‰/ } (5) (الفتح: ٢٩). فيجب الإيمان بهؤلاء الأنبياء والمرســـلين إيمانًـــا مفصلًا، والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو الرسالة على مـــا أخـــبر الله ورسوله **r** عنهم.

كما يجب اعتقاد صحة ما جاءت به النصوص مـــن ذكـــر فضائلـــهم وخصائصهم وأخبارهم، كاتخاذ الله إبراهيمَ ومحمدًا صلى الله عليهما وســـلم خليلين لقوله تعالى: {

$ﾃB$ ‹ ﾃ $ ª! $ ﾉ}•ﾉº ﾃŠO zﾃ ﾉW ÇﾉÈ } (6) (النســـاء: ١٢٥). ولقول النبي **r** { إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا } (7) أخرجـــه مســـلم (8). وكـــتكليم الله تعالى لموسى لقولـــه تعـــالى: { r.=N$ ª! $ qﾃ› 4 ? 6ﾉ $ ﾉŠV $ ÇﾉÏÈ } (9) (النساء: ١٦٤). وكذلك تسخير الجبال والطير لداود يسبحن بتسبيحه، قـــال تعـــالى: { r™ ﾃR Bì ﾉŠ¼Š $ﾃ$ ﾉ7$A

(1) سورة الأعراف آية : ٧٣ .

(2) سورة الأعراف آية : ٨٥ .

(3) سورة آل عمران آية : ٣٣ .

(4) سورة الأنبياء آية : ٨٥ .

(5) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(6) سورة النساء آية : ١٢٥ .

(7) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢) .

(8) صحيح مسلم برقم (٥٣٢) .

(9) سورة النساء آية : ١٦٤ .

ﭽ ÇÞÈ šú üÏé»ù $Zà2 r Žöö9$# `ó¡Î ç ﭼ [1] (الأنبياء: ٧٩). وإلانة الحديد لداود كما قال تعـــالى: ﭽ * ‰s)s9ur $o¨Y÷s?#uä Š¼ãr#yŠ $¨ZÏiB WxôÒsù ( ãA$t7Ågs ’Îû Ìir&r tö©Ü9$#ur ( $¨Y9r&ur ã&s! ‰ƒÏ‰ptø:$# ﭼ ÇÊÉÈ [2] (سبأ: ١٠). وتســـخير الرياح لسليمان تسير بأمره، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشـــاء، قال تعالى: ﭽ z`ÏBur Çd`Ågø:$# `tB ã@yJ÷ètƒ tû÷üt/ Ïm÷ƒy‰tƒ ÈbøŒÎ*Î/ ¾ÏmÎn/u‘ 4 `tBur ùøÌt“tƒ öNåk÷]ÏB ô`tã $tR̍øBr& çmø%ÉçR ô`ÏB É>#x‹tã ÎŽÏè¡¡9$# ﭼ [3] (سبأ: ١٢). وتعليم ســـليمان منطق الطير، قال تعالى: ﭽ tAur y#ß‰ãmøn Ÿ$t‰ä`ãsÜÉ)Ÿ9$# ÏŒ<4 ’n<tnä`Å¡ÓÎ$ ÇÊÏÈ ﭼ [4] (النمل: ١٦).

كـــما يجب الإيمان على وجه التفصيل بما قص الله U في كتابه مـــن أخبار الرسل مع أقوامهم، وما جرى بينهم من الخصومة، ونصر الله لرســـله وأتباعهم. كقصة موسى مع فرعون، وإبراهيم مع قومه، وقصـــص نـــوح وهود وصالح وشعيب ولوط مع أقوامهم. وما قـــص الله علينـــا في شـــأن يوسف مع إخوته وأهل مصر، وقصة يونس مع قومه، إلى آخر ما جـــاء في كتاب الله من أخبار الأنبياء والرسل، وكذلك ما جاء في الســـنة فيجـــب الإيمان به إيمانًا مفصلًا بحسب ما جاءت به النصوص.

وبذلك يتحقق الإيمان بالرسل بقسميه المجمل والمفصل. والله تعالى أعلم.

---

(1) سورة الأنبياء آية : ٧٩ .

(2) سورة سبأ آية : ١٠ .

(3) سورة سبأ آية : ١٢ .

(4) سورة النمل آية : ١٦ .

المبحث الرابع: ما يجب علينا نحو الرسل

يجب على الأمة تجاه الرسل حقوق عظيمة بحسب ما أنـــزلهم الله مـــن المنازل الرفيعة في الدين، وما رفعهم الله إليه من الدرجات السامية الجليلـــة عنده، وما شرفهم به من المهمات النبيلة وما اصطفاهم به من تبليغ وحيـــه وشرعه لعامة خلقه. ومن هذه الحقوق:

١ - تصديقهم جميعًا فيما جاءوا به، وأنهم مرسلون من ربهم، مبلغون عن الله ما أمرهم الله بتبليغه لمن أرسلوا إليهم وعدم التفريق بينـــهم في ذلـــك. قـــال تعالى: { $Br ‹‹$Âc ößî í$Üã ûwÎ) @qß™§ `B $Zù¡™ö‘r& } [1] (النســـاء: ٦٤). وقـــال تعـــالى: { ßûïÏ%©!$ à»=?9$ $Zîqß™‘ 4?ã $JR¯ (þqã=ª$ ÏNqç6 ? bÎù (râ‹n$ AqßSß9$ (qã‹Ü&r ©!$ (qã‹Ü&r ÇÊÈ } [2] (المائدة: ٩٢). وقال عز وجـــل: { ¾Ï&Î#ß™âr ‹$! bré&ß /šú ïÏ%©!$ bÎ) b& brß‰ƒÌãr ‹Ù è7Î ãßò6 Rr ‹Ù è7Î ßBsç šc qä9qà)ƒr ¾Ï&Î#ß™âr ‹$ûü/ (qè%hyãb& šc rß‰ƒÌãr $ÿm brãÿ»3ø$ ßèd 7Í=9ré ÇÊÈ x‹6™ 7Ï9ºE ûü/ (räÏ‚6ƒ } [3] (النساء: ١٥٠، ١٥١).

فيجب تصديق الرسل فيما جاءوا بـــه من الرسالات وهذا مقتضى الإيمان بهم.

ومما يجب معرفته أنه لا يجوز لأحد من الثقلين متابعة أحدٍ من الرســـل السابقين بعد مبعث محمد r المبعوث للناس كافة، إذْ أن شريعته جـــاءت ناسخة لجميع شرائع الأنبياء قبله فلا دين إلا ما بعثه الله به ولا متابعـــة إلا لهذا النبي الكريم. قال تعالى: { `Br Æö6tƒ ÇÑÎÈ `ƒÌŽ» , ø$ `B Ïô•Å y$’Î qèdr çµ÷B @6)ƒã `=ù $YŠÏ ÄN»=ó™M}$ ŽöîÎ } [4] (آل عمران: ٨٥).

وقال تعـــالى: { $Br 7»YèŠ™ö‘ ûwÎ) pZ!$Ÿ2 Ä $Y‹=) Þ#Èt± #ƒÉRr #ZŽÅ±o9 Ä£Â»9r & ŽYò2 $Z9$ Ä ûw }

---

(1) سورة النساء آية : ٦٤ .

(2) سورة المائدة آية : ٩٢ .

(3) سورة النساء آية : ١٥٠ ، ١٥١ .

(4) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

{ ÇÎÈ šc qß=ëƒ } [1] (سبـــأ: ٢٨). وقال تعالى: { ®è@ ƒ»'gs$$9Z$ ÚZ ô'' 'ßqÃ$ '! } ... [2] (الأعراف: ١٥٨).

٢ - موالاتهم جميعًا ومحبتهم والحذر من بغضهم وعداوتهم.

قال تعــــالى: { rB` ƒGqA$ ® r'ßqä¼ $@%!ûï ß#äBqz(ùÎb >m ! $ 'Ò¸&#ÖéB 9 óãÜ»qbp } { ÇÎÏÈ } [3] (المائدة: ٥٦). وقال تعـــالى: { ÇÎÈ } [3] (المائدة: ٥٦). وقال تعـــالى: { ÷Ò¸&#ÖéBqbp 9 óãÜ»Y/M& /èÒ9ãK ré& ÈŠ!$â /è Ù+ } [4] (التوبة: ٧١). فتضمنت الآية وصف المؤمنين بموالاة بعضهم لبعض فدخـــل في ذلك رسل الله الذين هم أكمل المؤمنين إيمانًا وعليه فإن موالاتهم ومحبتـــهم في قلوب المؤمنين هي أعظم من موالاة غيرهم من الخلق لعلو مكانتهم في الديـــن ورفعة درجاتهم في الإيمان. ولذا حذر الله من معاداة رسله وعطفها في الذكر على معاداة الله وملائكته وقرن بينهما في العقوبة والجزاء. فقال عز من قائل: { B` .b%. #x‰ãr !! ¬ r=»Br 6 ÏG¾ } { ÇÎÈ `ƒ»Ïÿ3=ù9 A%ã! ®$ c ÎÌ‹3<Br ®ƒÎ‹Å_r ¾m#ŠBar } [5] (البقرة: ٩٨).

٣ - اعتقاد فضلهم على غيرهم من الناس، وأنه لا يبلغ منـــزلتهم أحـــد من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى إذ الرسالة اصطفاء من الله يختـــص الله بها من يشاء من خلقه ولا تنال بالاجتهاد والعمل. قـــال تعــــالى: { $!ª ƒ ÅÜÁ' Ï ÆšŠ$J=» Ï 6 þâ '3M% } { ÇÎÈ žÂ / 7‹Ü™ ®$žc Ĵ Ä $Z9$ŠÆ Ïr } [6] (الحج: ٧٥). وقال تعالى { rü7 ãn ƒ¶Z$ }

---

(1) سورة سبأ آية : ٢٨ .

(2) سورة الأعراف آية : ١٥٨ .

(3) سورة المائدة آية : ٥٦ .

(4) سورة التوبة آية : ٧١ .

(5) سورة البقرة آية : ٩٨ .

(6) سورة الحج آية : ٧٥ .

{ ã$±®`B M»_‘Š ßBùèR ¾ÏmÏBöqs% 4?ã OŠÏd°•ƒ $g»Ÿ2#ä } [1] (الأنعام: ٨٣). إلى أن قال بعد ذكر طائفة كبيرة من الأنبيـــاء والمرسلين: { ûüÏJ=»èø9$ ’?ã $Y¨Ù ÿx à2 r ÇÊÑÈ } [2] (الأنعام: ٨٦). وقد تقدم نقل هـــذا الســـياق في المبحث الأول من هذا الفصل.

كما دلت السنة أيضًا على أن منـــزلة الرسل لا يبلغها أحد من الخلق لما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي r أنه قال: { لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى } [3] [4] وفي رواية للبخاري: { من قال أنا خـــير من يونس بن متى فقد كذب } [5] [6] . قال بعض شراح الحديث: " إنه r قـــال هذا زجرًا أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئًا من حط مرتبة يونس r مـــن أجل ما في القرآن العزيز من قصته ". وبيّن العلماء: " أن ما جرى ليونس r لم يحطه من النبوة مثقال ذرة وخص يونس بالذكر لما ذكر الله من قصتـــه في القرآن الكريم كقوله تعالى: { |=dŒ ŒÏ) ßqZ9$#Œr `B ãMZà2 ’Îoš• y»s6ÏR |MR& žwÎ) tm»9Î) Iw b&Ï M»Jè=à9$# ’Îû 3“Š$Yù ïmøŠã ‘Ï‰ø)R `©b& £àù $Y6ÅÒ»óB ûüÏÏBs=»à9$# ÓÅGÇ š• ÿ¨<.r ÏMó8$# `B µ»Yø¯Ur ¼ã9 $Z6ö f GóŸ$sù ÇÑÐÈ šú üÏZÏB÷sßJø9$# }

---

(1) سورة الأنعام آية : ٨٣ .

(2) سورة الأنعام آية : ٨٦ .

(3) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢١٥) ، مسلم الفضائل (٢٣٧٧) ، أبو داود السنة (٤٦٦٩) ، أحمد (٣٤٢/١) .

(4) صحيح البخاري برقم (٣٤١٦) ، ومسلم برقم (٢٣٧٦) ، واللفظ للبخاري .

(5) البخاري تفسير القرآن (٤٣٢٨) ، مسلم الفضائل (٢٣٧٣) ، أحمد (٤٦٨/٢) .

(6) صحيح البخاري برقم (٤٦٠٤) .

ûüî™öãÎ=$ `Ü9 §ëqãƒ bÎ)r } وقوله تعالى: (الأنبيــاء: ٨٧، ٨٨). [1] { ÇÊÍÈ

... الآيات (الصافات: ١٣٩-١٤٨). [2] { ÇÊÌÒÈ

٤ - اعتقاد تفاضلهم فيما بينهم وأنهم ليسوا في درجة واحدة بل فضل الله بعضهم

على بعض. قال تعالى: } * y7ù=Ï? ã@ß™”9$# $uZù=Òsù öNåk|Õ÷èt/ 4’n?tã <Ù÷èt/ ¢ Nåk÷]ÏiB `¨B zN¯=x. ª!$# (yìsùu‘ur ì

öNåk|Õ÷èt/ ;M»y_u‘yŠ { [3] (البقَرة: ٢٥٣). قال الطبري في تفسير الآية: " يقول تعالى ذكره:

هؤلاء رسلي فضلت بعضهم على بعــض، فكلمت بعضهم كموسى r ورفعت بعضهم

درجات على بعض بالكرامــة ورفعة المنــزلة ". فإنــزال كل واحد منهم منــزلته في

الفضـــل والرفعــة بحسب دلالات النصوص من جملة حقوقهم على الأمة.

٥ - الصلاة والسلام عليهم فقد أمر الله الناس بذلك وأخبر الله بإبقائــه الثناء الحسن

على رسله وتسليم الأمم عليهم من بعدهم. قال تعــالى عــن نــوح: } ?r$Y•ø‹n=tã $oYø.t’î

$#yÆÅzFy$# ÇÐÑÈ íN»n=y™ 4’n?tã 8yqçR ’Îû šúüÏJn=»yèø9$# ÇÐÒÈ { [4] (الصافات: ٧٨، ٧٩). وقال عن

إبراهيــم: } ?r$Y•ø‹n=tã $oYø.t’î $#yÆÅzFy$# ÇÊÉÑÈ íN»n=y™ #’n?tã zOŠÏd•ºt•ö/Î) ÇÊÉÒÈ { [5] (الصافات: ١٠٨،

١٠٩). وقال عن موسى وهــارون: } ?r$Y•ø‹n=tã $oYø.t’î $#yÆÅzFy$# ÇÊÊÒÈ šúîn=y™ 4’n?tã

4Óy›qãB šcrã•»ydur ÇÊËÉÈ { [6] (الصافــات: ١١٩، ١٢٠).

---

(1) سورة الأنبياء آية : ٨٧ ، ٨٨ .

(2) سورة الصافات آية : ١٣٩ .

(3) سورة البقرة آية : ٢٥٣ .

(4) سورة الصافات آية : ٧٨ ، ٧٩ .

(5) سورة الصافات آية : ١٠٨ ، ١٠٩ .

(6) سورة الصافات آية : ١١٩ ، ١٢٠ .

وقال تعالى: { ÇÊÑÊÈ šúüÎ=y™ößJø9$# ’?ã NN»n=y™ur } [1] (الصافات: ١٨١). قال ابن كثير: " قولـــه تعالى { ÇÐÒÈ šúüÏ̈=Å»èø9$# ’Îû 8ynqçR 4’n?ã ÖN»n=y™ } [2] (الصافات: ٧٩) مفسرًا لما أبقى عليه مـــن الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه جميع الطوائف ". وقد نقل الإمـــام النووي إجماع العلماء على جواز الصلاة على سائر الأنبياء واستحبابها. قال: " أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد r . وكذلك أجمع من يعتد به علـــى جوازها على سائر الأنبياء والملائكة استقلالا وأما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يصلى عليهم ابتداء ".

فهذه طائفة مما يجب للرسل من حقوق على هذه الأمة مما دلـــت عليـــه النصوص وقرره أهل العلم. والله تعالى أعلم.

(1) سورة الصافات آية : ١٨١ .

(2) سورة الصافات آية : ٧٩ .

المبحث الخامس: أولو العزم من الرسل

أولو العزم من الرسل هم: ذوو الحزم والصبر. قال تعالى: { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ } [1] (الأحقاف: ٣٥).

وقد اختلف العلماء فيهم. فقيل المراد بأولي العزم هم جميع الرسل. و" من " في قوله { @ßSُ9$`B } [2] لبيان الجنس لا للتبعيض. قال ابن زيد: " كل الرسل. كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيًّا إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل ".

وقيل هم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم. قال ابن عباس: " أولو العزم من الرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ". وبهذا القول قال مجاهد وعطاء الخراساني، وعليه كثير من متأخري أهل العلم.

وقد ذكر الله هؤلاء الخمسة مجتمعين في موطنين من كتابه وبه استدل لهذا القول.

الأول في سورة الأحزاب. قال تعالى: { øŒÎ)ur $tRõ‹s{r& z`ÏB z`¿ÍhŠÎ;¨Y9$# öNèds)»sV‹ÏB š•ZÏBur `ÏBur 8yqœR tLìÏdºtö/Î)ur 4Óy›qãBur Ó|¤ŠÏãur Èûøó$# zOtƒötB ($tRõ‹s{r&ur Nåk÷]ÏB $¸)»sV‹ÏiB $ZàŠÎ=xî } [3] (الأحزاب: ٧).

والثاني في سورة الشورى.

قال تعالى: { * tíu Ÿ39 z`ÏiB Ç`ƒÏe$!$# $tB 4œ»ur ¾ÏmÎ/ %[nqçR üÏ%©!$#ur !$uZøŠym÷rr& y7ø‹s9Î) $tBur $uZø‹¢¹ur ÿ¾ÏmÎ/ tLìÏdºtö/Î) 4Óy›qãBur #Ó|¤ŠÏãur (÷br& (#qßJŠÏ%r& tûïÏe$!$# Ÿwur (#qè%§xÿtGs? ÏmŠÏù } [4] (الشورى: ١٣). قال بعض المفسرين: " ووجه تخصيصهم بالذكر الإعلام بأن لهم مزيد شرف وفضل لكونهم من أصحاب الشرائع المشهورة ومن أولي العزم من الرسل ".

---

(1) سورة الأحقاف آية : ٣٥ .

(2) سورة الأحقاف آية : ٣٥ .

(3) سورة الأحزاب آية : ٧ .

(4) سورة الشورى آية : ١٣ .

وهؤلاء الخمسة هم أفضل الرسل وخيار بني آدم. فعن أبي هريرة t أنه قال: (خيار ولد آدم خمسة نوح وإبراهيم وعيسى وموســى ومحمــد r وخيرهم محمد r وصلى الله وسلم عليهم أجمعين) (1) .

وأفضلهم محمد r على ما أخرج البخاري من حديث أبي هريــرة t عن النبي r أنه قال: { أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنــه القبر وأول شافــع وأول مشفع } (2) (3) .

(1) أخرجه البزار انظر كشف الأستار (٣ / ١١٤) ، والهيثمي في المجمع (٨ / ٢٥٥) وقال : " رجاله رجال الصحيح " ، والحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، المستدرك للحاكم : ٢ / ٥٤٦ .

(2) مسلم الفضائل (٢٢٧٨) ، أحمد (٥٤٠/٢) .

(3) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨) ، وأبو داود : ٥ / ٣٨ ، برقم (٤٦٧٣) .

المبحث السادس

خصائص نبينا محمد r وحقوقه على أمته

مع بيان أن رؤية النبي r في المنام حق

أولا: خصائصه r

لقد خص الله تبارك وتعالى نبينا محمدًا r بكثـــير مـــن الخصـــائص والمناقب التي فضله بها على غيره من المرسلين وميزه عن سائر العالمين. ومـــن هذه الخصائص:

١ - عموم رسالته لكافة الثقلين من الجن والإنس فلا يسع أحدًا منـــهم إلا اتباعه والإيمان برسالته. قال تعالى: { #!$tBur y7»oYù=y™ö‘r& žwÎ) Z'©ù!$Ÿ2 Ĩ$¨Z=Ïj9 #ZŽÏ±o0 #\ƒÉRtRur } [1] (سبأ: ٢٨). وقال تعـــالى: { x8u‘$t6s? "Ï%©!$# tA¨"tR tb$s%öàÿø9$# 4'n?tã ¾Ínωö6tã tbqä3u‹Ï9 šúüÏJn=»yèù=Ï9 #·ƒÉ‹tR } [2] (الفرقان: ١). قال ابن عباس رضي الله عنهما: " العالمين: الجن والإنس ". وعن أبي هريرة t عن النبي r أنه قال: { فضلت علـــى الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلـــت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختـــم بي النبيون } [3] [4]. وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة t عن النبي r أنه قال: { والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد مـــن هـــذه الأمـــة يهودي ولا نصراني، ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كـــان مـــن أصحاب النار } [5] [6].

---

(1) سورة سبأ آية : ٢٨ .

(2) سورة الفرقان آية : ١ .

(3) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٣) ، أحمد (٤١٢/٢) .

(4) أخرجه مسلم برقم (٥٢٣) .

(5) مسلم الإيمان (١٥٣) ، أحمد (٣٥٠/٢) .

(6) أخرجه مسلم برقم (١٥٣) .

٢ - أنه خاتم الأنبياء والمرسلين كما دلت على ذلك النصوص. قال تعالى: { $B .‰b `tê‰ &/$ &n‰ B` h `‰ãŠ r9‰Å ` §$ A$ » r z $?O$9Ÿî¿` } [1] (الأحزاب: ٤٠). وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة t عن النبي r قال: { (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجملــه، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولــون: هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين } [2] [3] . ولهذه النصوص أجمعت الأمة سلفًا وخلفًا على هذه العقيدة كما أجمعت على تكفــير مــن ادعى النبوة بعده r ووجوب قتل مدعيها إن أصر علــى ذلــك. قــال الألوسي: " وكونه r خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به الســنة، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعي خلافه ويقتل إن أصر ".

٣ - أن الله أيده بأعظم معجزة وأظهر آية وهو القرآن العظيم، كــلام الله المحفوظ من التغيير والتبديل، الباقي في الأمة إلى أن يأذن الله برفعه إليه. قــال تعالى: { @è©!ÈÉ

$ _ôGJèM$ŠY R§ ß‰ 9ã? # ‰& b ï¹qè% ÛÍ‰ ¹ ÛÍèd ãä#ã Èb ùq‰ ÛÍ‰¼ r9ö. ‰ cš /èÕ ãŠN { 7ÛŠè ßôgž# è‰ÄÞ } [4] (الإسراء: ٨٨). وقال تعالى: { ‰r9Ò ƒ ï9Ò ‰R$ ‰RZ ãø7

$‰ 6ÅF»= | ãF= 4 æŠôgôÒ ĵ c ž Ĭ ’ Œ™ ••š 9•mÒJŽ rÈ 2ò• *3 ¾)öÒ ãsŠ«q cš

ÈíÇ } [5] (العنكبوت: ٥١). وفي الصحيحين من حديث أبي هريــرة t النبي r أنه

(1) سورة الأحزاب آية : ٤٠ .

(2) البخاري المناقب (٣٣٤٢) ، مسلم الفضائل (٢٢٨٦) ، أحمد (٣١٢/٢) .

(3) صحيح البخاري برقم (٣٥٣٥) ، ومسلم برقم (٢٢٨٦) ، واللفظ للبخاري .

(4) سورة الإسراء آية : ٨٨ .

(5) سورة العنكبوت آية : ٥١ .

قال: { ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمـــن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكـــون أكثرهم تابعا يوم القيامة } [1] [2] .

٤ - أن أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة. قال تعـــالى: { öNçGZä žöz pBé&ép z`Î_M öNçGZä ŽöÇz Bâ&ép ôMy_Ì÷zé& Ĩ$¨Z=Ï9 šcrâßDù's? Å$rã÷èyJø9$$Î/ šcöqyg÷Ys?ur Ç`tã Ìx6ZßJø9$# šcqãZÏB÷sè?ur «!$$Î/ } [3] (آل عمران: ١١٠).

وعن معاوية بن حيدة القشيري t أنه سمع النبي r يقـــول في قوله تعالى { öNçGZä ŽöÇz pBé&ép ôMy_Ì÷zé& Ĩ$¨Z=Ï9 } [4] قال: { إنكم تتمون سبعين أمـــة أنتـــم خيرها وأكرمها على الله } [5] [6] . وفي الصحيحين عن عبد الله بن مســـعود قال: { كنا مع النبي r في قبة فقال: (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنـــة). قلنا: نعم. قال: (أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة). قلنـــا نعم. قـــال: (أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة). قلنا: نعم. قال: (والذي نفس محمـــد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلـــها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلـــد الثـــور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر) } [7] [8] .

(1) البخاري فضائل القرآن (٤٦٩٦) ، مسلم الإيمان (١٥٢) ، أحمد (٢/٤٥١) .
(2) صحيح البخاري برقم (٤٩٨١) ، ومسلم برقم (١٥٢) .
(3) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(4) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(5) الترمذي تفسير القرآن (٣٠٠١) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٨٨) ، الدارمي الرقاق (٢٧٦٠) .
(6) أخرجه أحمد في المسند : ٤ / ٤٤٧ ، والترمذي وقال حديث حسن ، والترمذي : ٥ / ٢٢٦ ، برقم (٣٠٠١) ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .
(7) البخاري الرقاق (٦١٦٣) ، مسلم الإيمان (٢٢١) ، الترمذي صفة الجنة (٢٥٤٧) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٨٣) ، أحمد (١/٤٣٨) .
(8) صحيح البخاري برقم (٦٥٢٨) ، ومسلم برقم (٢٢١) .

٥ - أنه سيد ولد آدم يوم القيامة. فعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r { أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع } (1) (2).

٦ - أنه صاحب الشفاعة العظمى وذلك عندما يشفع لأهل الموقف في أن يقضي بينهم ربهم بعد أن يتدافعها أفضل الرسل وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى: { ÇÐÈ #YŠqßJøt¤C YBs)tB 7•/u‘ y7sWyèö7t br& #Ó|¤tã } (3) (الإسراء: ٧٩). وقد فسر المقام المحمود بالشفاعة جمع من الصحابة والتابعين منهم حذيفة وسلمان وأنس وأبو هريرة وابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم. وقال قتادة: " كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يوم القيامة ". وقد دلت السنة كذلك على شفاعته r في أهل الموقف كما جاء ذلك في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي r ذكر اعتذار آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عن قبول الشفاعة وكلهم يقول: (لست هناك) إلى أن قال: { فيأتوني فأنطلق، فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع } (4) ..) (5) الحديث.

٧ - أنه صاحب لواء الحمد وهو لواء حقيقي يختص بحمله يوم القيامة، ويكون الناس تبعا له وتحت رايته واختص به لأنه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره. ذكر هذا

---

(1) مسلم الفضائل (٢٢٧٨) ، أحمد (٢/٥٤٠) .

(2) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨) . وتقدم صفحة ١٠٩ .

(3) سورة الإسراء آية : ٧٩ .

(4) البخاري التوحيد (٦٩٧٥) ، مسلم الإيمان (١٩٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٣١٢) ، أحمد (٣/١١٦) ، الدارمي المقدمة (٥٢) .

(5) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٠) ، ومسلم برقم (١٩٣) .

بعض أهل العلم. وقد دلت السنة على اختصاصه بهـــذه الفضيلة العظيمة. فعن أبي سعيد الخدري **t** قال: قال رسول الله **r** { أنـــا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فـــخر، وما من نبي يومئـــذ آدم فمن سواه، إلا تحـــت لوائي، وأنا أول مـــن تنشـــق عنـــه الأرض ولا فخر } (1) (2) .

٨ - أنه صاحب الوسيلة، وهي درجة عالية في الجنة، لا تكون إلا لعبـــد واحد، وهي أعلى درجات الجنة. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله **r** يقول: { إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقـــول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منـــزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجـــو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة } (3) (4) .

إلى غير ذلك من خصائصه ومناقبه **r** الدالة على علو درجته عند ربـــه، وسمو مكـــانته في الدنيا والآخرة، وهي كثيرة جدا.

ثانيا: حقوق النبي **r** على أمته:

حقوق النبي **r** على أمته كثيرة وقد تقدم ذكر بعضها فيما يجب علـــى الأمة من حقوق عامة تجاه الرسل قاطبة. وفيما يلي عرض لبعض حقوقـــه الخاصة على أمته، وهي:

١- الإيمان المفصل بنبوته ورسالته واعتقاد نسخ رسالته لجميع الرســـالات السابقة. ومقتضى ذلك: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب مـــا نهى عنه وزجر، وأن

(1) الترمذي تفسير القرآن (٣١٤٨) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٨) .

(2) أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ، سنن الترمذي ٥/ ٥٨٧ برقم (٣٦١٥) ، وبنحوه الإمام أحمد في المسند : ٢/٣

(3) مسلم الصلاة (٣٨٤) ، الترمذي المناقب (٣٦١٤) ، النسائي الأذان (٦٧٨) ، أبو داود الصلاة (٥٢٣) ، أحمد (١٦٨/٢) .

(4) رواه مسلم برقم (٣٨٤) .

لا يعبد الله إلا بما شرع. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: { ‏(#qãZÏB$«ù «!$$Î/ ¾Ï&Î!qß™u‘ur Í‘q‘Z9$#ur ü“Ï%©!$# $uZø9t“Rr& } [1] (التغابن: ٨). وقال تعالى: { ö@è% $pkš‰r'¯»tƒ â¨$¨Z9$# ’ÎoTÎ) ãAqß™u‘ «!$# öNà6ö‹s9Î) $·èŠÏJy_ ... (#qãZÏB$«ù «!$$Î/ Ï&Î!qß™u‘ur ÄcÓÉ<¨Z9$# } [2] (الأعراف: ١٥٨). وقال عز وجـــل: { !$tBur ãNä39s?#uä ãAqß™§9$# çnrä‹ã‚sù $tBur öNä39pktX çm÷Ztã (#qßgtFR$$sù } [3] (الحشر: ٧). وعن ابن عمـــر رضي الله عنهما أن رسول الله r قال: { أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحســـابهم علـــى الله } [4] [5] .

٢ - وجوب الإيمان بأن الرسول r بلغ الرســـالة، وأدى الأمانـــة، ونصح للأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه ورغبها فيه، وما من شـــر إلا ونهى الأمة عنه وحذرها منه. قال تعـــالى: { tPöquø9$# àMù=yJø.r& öNä3s9 öNä3oYƒÏŠ àMôJoÿøCr&ur öNä3ø‹n=tæ ÓÉLyJ÷èÏR àMŠÅÊu‘ur ãNä3s9 zN»n=ó™M}$# $YYƒÏŠ } [6] (المائدة: ٣). وعـــن أبي الدرداء عن النبي r أنه قال: (.. { وأيم الله لقد تركتكـــم على مثل البيضـــاء، ليلها ونهارها سواء } [7] [8] . وقد شهد للنبي بالبلاغ أصحابه في أكبر مجمع لهـــم يوم أن خطبهم في حجة الوداع خطبته البليغة فبين لهم ما

---

(1) سورة التغابن آية : ٨ .
(2) سورة الأعراف آية : ١٥٨ .
(3) سورة الحشر آية : ٧ .
(4) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .
(5) صحيح البخاري برقم (٢٥) ، ومسلم برقم (٢٢) .
(6) سورة المائدة آية : ٣ .
(7) ابن ماجه المقدمة (٥) .
(8) سنن ابن ماجه (المقدمة) : ١ / ٤ ، برقم (٥) .

أوجب الله عليـــهم وما حرم عليهم وأوصاهم بكتاب الله إلى أن قال لهم: { وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون } [1] . قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحـــت. فقـــال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: { اللهم اشـــهد اللـــهم اشهد ثلاث مرات } [2] [3] . وقال أبو ذر t (لقد تركنا محمد r وما يحـــرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما) [4] . والآثار في هذا كثيرة عـــن السلف رحمهم الله.

٣ - محبته r وتقديم محبته على النفس وسائر الخلق. والمحبة وإن كـــانت واجبة لعموم الأنبياء والرسل إلا أن لنبينا r مزيد اختصاص بها ولذا وجب أن تكون محبته مقدمة على محبة الناس كلهم من الأبنـــاء والآبـــاء وســـائر الأقارب بل مقدمة على محبة المرء لنفسه قال تعالى { ö@è% bÎ) tb%x. öNà2ät!$t/#uä öNà2ät!$oYö/r&ur öNä3çRºuq÷zÎ)ur ö/ä3ã_ºurø—r&ur óOä3è?uŽÏ±tãur îA ºuqøBr&ur $ydqßJçFøùuŽtIø%$# ×ot»pgÏBur tböqt±øƒrB ydy|¡x. ß`Å3»|¡tBur !$ygtRöqÅÊös? ¡=ymr& Nà6øŠs9Î) z`ÏiB «!$# ¾Ï&Î!qß™u‘ur 7Š$ygÅ_ur ’Îû ¾Ï&Î#Î6y™ (#qÝÁ/uŽtIsù 4Ó®Lym šúÎAù'tƒ ª!$# ¾Ín͐öDr'Î/ 3 ª!$#ur Ÿw “ωöku‰ tPöqs)ø9$# šúüÉ)Å¡»xÿø9$# } [5] (التوبة: ٢٤). فقرن الله محبة رسوله r بمحبته U وتوعد من كان مالـــه وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله - توعدهم بقولـــه: { (#qÝÁ/uŽtIsù 4Ó®Lym šúÎAù'tƒ ª!$# ¾Ín͐öDr'Î/ 3 ª!$#ur Ÿw “ωöku‰ tPöqs)ø9$# šúüÉ)Å¡»xÿø9$# } [6] . وفي الصحيحين من حديث أنس t

---

(1) مسلم الحج (١٢١٨) ، أبو داود المناسك (١٩٠٥) ، ابن ماجه المناسك (٣٠٧٤) ، الدارمي المناسك (١٨٥٠) .

(2) مسلم الحج (١٢١٨) ، أبو داود المناسك (١٩٠٥) ، ابن ماجه المناسك (٣٠٧٤) ، الدارمي المناسك (١٨٥٠) .

(3) أخرجه مسلم من حديث جابر عبد الله في حجة النبي برقم (١٢١٨) .

(4) أخرجه أحمد في المسند: ٥ / ١٥٣ .

(5) سورة التوبة آية: ٢٤ .

(6) سورة التوبة آية: ٢٤ .

قال: قال النبي r { لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه مـــن والده وولده والناس أجمعين } [1] [2] . وعـــن عمـــر t أنه قال للنبي r يـــا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي r { لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك } [3] . فقال له عمر: فإنـــه الآن والله لأنت أحـــب إلي من نفســـي. فقـــال النبي r { الآن يـــا عمر } [4] [5] .

٤ - تعظيم النبي r وتوقيره وإجلاله. فإن هذا من حقوق النبي r الـــتي أوجبها الله في كتابه. قال تعالى: { çnrâ‘Ìhqè?ur çnrâ‘Ìhè?ur ¾Ï&Î!qß™u‘ur «!$$Î/ (#qãZÏB÷sçG9 } [6] (الفتح: ٩). وقال تعالى: { šúïÏ%©!$$sù (#qãZtB#uä ¾ÏmÎ/ çnrâ‘¨ìtãur çnrãÝ|Átur (#qãèt7¨?$#ur u‘qZ9$# ü“Ï%©!$# tAÌ“Ré& ÿ¼çmyètB   7Í»¯»s9'ré& ãNèd šcqßsÎ=øÿßJø9$# } [7] (الأعراف: ١٥٧). قال ابـــن عبـــاس: " تعزروه: تجلوه. وتوقروه: تعظموه ". وقال قتادة: " تعـــزروه: تنصـــروه. وتوقروه: أمر الله بتسويده ".

وقال تعالى: { $pkš‰r'¯»tƒ šúïÏ%©!$# (#qãZtB#uä Ÿw (#qãBÏd‰s)è? tû÷üt/ Ä“y‰tƒ «!$# ¾Ï&Î!qß™u‘ur } [8] (الحجرات: ١).

وقال عز وجـــل: { žw (#qè=yèøgrB uä!%tæߊ ÉAqß™§9$# öNà6oY÷t/ Ïä!%tæߊö/ä3ÅÒ÷èt/ $VÒ÷èt/ } [9] (النور: ٦٣). قال مجاهد: " أمرهـــم أن يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد

---

(1) البخاري الإيمان (١٥) ، مسلم الإيمان (٤٤) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٣) ، ابن ماجه المقدمة (٦٧) ، أحمد (٣/٢٧٨) ، الدارمي الرقاق (٢٧٤١) .

(2) صحيح البخاري برقم (١٥) ، ومسلم برقم (٤٤) .

(3) البخاري الأيمان والنذور (٦٢٥٧) ، أحمد (٥/٢٩٣) .

(4) البخاري الأيمان والنذور (٦٢٥٧) ، أحمد (٤/٣٣٦) .

(5) رواه البخاري من حديث عبد الله بن هشام برقم (٦٦٣٢) .

(6) سورة الفتح آية : ٩ .

(7) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .

(8) سورة الحجرات آية : ١ .

(9) سورة النور آية : ٦٣ .

في تجـــهم ". وقــد ضرب أصحاب النبي r أروع الأمثال في تعظيم النبي r . قال أسامة بـــن شريك: " أتيت النبي r وأصحابه حوله كأنما علـــى رؤوســـهم الطـــير ". وتعظيم النبي r واجب بعد موته كتعظيمه في حياته. قال القاضي عيـــاض: " واعلم أن حرمة النبي r بعد موته، وتوقيره وتعظيمه، لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره r وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وســـيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته ".

٥ - والصلاة والتسليم على النبي r والإكثار من ذلك كمـــا أمـــر الله بذلك. قال تعالى: { ¨bÎ) ©!$# ¼çmtGx6Í´¯»n=tBur tbq=|Áãƒ 'n?tã ÄcÓÉ<¨Z9$# 4 $pkš‰r'¯»tƒ šúïÏ%©!$# (#qãZtB#uä (#q=|¹ Ïmøn=tã (#qßJÏk=y™ur $VJŠÎ=ó¡n@ } [1] (الأحزاب: ٥٦). قال المبرد: " أصـــل الصـــلاة: الترحم. فهي من الله رحمة. ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة مـــن الله ". وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي r أنـــه قـــال: { من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا } [2] [3] . وعن علي t عن النبي r أنه قال: { البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي } [4] [5] . والصـــلاة والسلام وإن كانت مشروعة في حق الأنبياء كلهم كما تقدم فهي متـــأكدة في حق نبينا r ومن أعظم حقوقه على أمته وهي واجبـــة عليـــهم ولـــذا ذكرناها هنا من جملة حقوقه الخاصة على أمته. وقد صرح العلماء بوجـــوب الصلاة على النبي r ونقل بعضهم الإجماع على ذلك. قال القاضي عياض:

---

(1) سورة الأحزاب آية : ٥٦ .

(2) مسلم الصلاة (٣٨٤) ، الترمذي المناقب (٣٦١٤) ، النسائي الأذان (٦٧٨) ، أبو داود الصلاة (٥٢٣) ، أحمد (١٦٨/٢) .

(3) رواه مسلم برقم (٣٨٤) .

(4) الترمذي الدعوات (٣٥٤٦) ، أحمد (٢٠١/١) .

(5) رواه الترمذي ٥ / ٥٥١ رقم (٣٥٤٦) وقال حديث حسن صحيح وأحمد في المسند : ١/ ٢٠١ .

"اعلم أن الصلاة على النبي r فرض على الجملة، غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمله الأئمة والعلماء على الوجوب وأجمعوا عليه".

٦ - الإقرار له بما ثبت في حقه من المناقب الجليلة والخصائص الســـامية والدرجات العالية الرفيعة على ما تقدم بيان بعضها في أول هذا المبحث وغير ذلك مما دلت عليه النصوص. والتصديق بكل ذلك والثناء عليه به ونشره في الناس، وتعليمه للصغار وتنشئتهم على محبته وتعظيمه ومعرفة قدره الجليـــل عند ربه عز وجل.

٧ - تجنب الغلو فيه والحذر من ذلك فإن في ذلك أعظم الأذية له r . قـــال تعالى آمرًا نبيه r أن يخاطب الأمة بقوله: { @è $JRƒÏ $R& ×0³ì Bu¨äbt qãƒr ö@‹Ï¥ $JR‰ Ï9»ßä3N Ï9»m

r°nÏÛ `Jù .%b üqã§r ä$)Ï9 ¼ÿÏmÎ/u ô@yJ÷èuù @Wxã ¹$[sÎ=»|¹ wur ç8Î³ô ¸oyŠ$t7ÏèÎ/ ÿÏmÎi/u #´‰nr& } (1) (الكهف: ١١٠). وبقوله: { @è w Aqè%r& öNä3s9 ”ÏZÏã ßûÉî!#uyz «!$# Iwur ãNn=ôãr& |=øtóø9$#

wur Aqè%r& öNä3s9 ’ÎoTÎ) Ô7n=tB (÷bÎ) ßìÎ7¨?r& wÎ) $tB #Óyrqãƒ ¥’n<Î) } (2) (الأنعام: ٥٠).

فأمر الله نبيه r أن يقرر للأمة أنه مرسل من الله ليس لـــه من مقام الربوبية شيء وليس هو بـــمَلَك إنما يتبع أمر ربه ووحيـــه. كمـــا حذر النبي r أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه. ففي صحيـــح البخاري من حديث عمر بن الخطاب t عن النبي r أنه قال: { لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورســـوله } (3) (4) . والإطراء: هو المدح بالباطل ومجاوزة الحد في المدح ذكره ابن الأثير. وعـــن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي r فراجعه في بعـــض الكلام فقال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله r { أجعلتني لله ندًّا بـــل ما

---

(1) سورة الكهف آية : ١١٠ .

(2) سورة الأنعام آية : ٥٠ .

(3) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) ، أحمد (١/٥٦) .

(4) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٥) ، وبنحوه الإمام أحمد في المسند : ١ / ٢٣ .

شاء الله وحده } [1] [2] . فحذر النبي r من الغلو فيه وإنـــزاله فوق منـــزلته، مما يختص بـــه الرب عز وجـــل. وفي هذا تنبيه إلى غير ما ذكر من أنواع الغلـــو فإن الغلو في النبي r محرم بشتى صوره وأشكاله.

ومن صور الغلو في النبي r التي تصل إلى حدّ الشرك، التوجه له بالدعاء فيقول القائل: يا رسول الله افعل لي كذا وكذا. فإن هذا دعاء والدعاء عبادة لا يصح صرفها لغير الله. ومن صور الغلو فيه r الذبح له أو النـــذر له أو الطواف بقبره أو استقبال قبره بصلاة أو عبادة فكل هذا محرم لأنه عبـــادة وقد نهى الله عن صرف شيء من أنواع العبادة لأحد من المخلوقين فقال عـــز وجل: { ö@è% ¨bÎ) ÎAŸx|¹ ’Å1Ý¡èSur "$uø‹uxur ’ÎA$yJtBur ¬! Éb>u‘ šúüÏHs>»yèø9$# ÇÊÏËÈ Ÿw y7ƒÎŸ° ¼çms9 (y7Ï9ºxÎ/ur ßNöÉDé& O$tRr&ur ãA¨rr& tûüÏHÍ>ó¡ßJø9$# ÇÊÏÌÈ } [3] (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

٨ - ومن حقوق النبي r محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه وموالاتهم جميعًا والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء فإن الله قد أوجـــب على هذه الأمة موالاة أصحاب نبيه وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وسؤال الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم. فقال بعد أن ذكـــر المـــهاجرين والأنصار: { šúïÏ%©!$#ur râä!%y` .`ÏB öNÏdÏ‰÷èt/ šcqä9qà)tƒ $uZ/u‘ öÏÿøî$# $oYs9 $oYÏRºuq÷z\}ur šúïÏ%©!$# $tRqà)t7y™ Ç`»yJƒM}$$Î/ Ÿwur ö@yèøgrB ’Îû $uZÎ/qè=è% yxÏî tûïÏ%©#Ïj9 (#qãZtB#uä !$oY/u‘ y7¨RÎ) Ô$râäu‘ îLìÏm§‘ ÇÊÉÈ } [4] (الحشر: ١٠). وقال تعالى في حق قرابة رسوله r وأهل بيته: { @è% Hw öNä3è=t«ór& Ïmø‹n=tã #·ô_r& žwÎ) no¨ŠuqyJø9$# ’Îû 4’n1öà)ø9$# } [5] (الشورى: ٢٣). جاء في

(1) ابن ماجه الكفارات (٢١١٧) ، أحمد (٢١٤/١) .

(2) رواه الإمام أحمد في المسند : ١ / ٢١٤ ، وبنحوه ابن ماجه في السنن برقم (٢١١٧) .

(3) سورة الأنعام آية : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(4) سورة الحشر آية : ١٠ .

(5) سورة الشورى آية : ٢٣ .

تفسير الآية: " قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجرًا إلا أن تودوا قرابتي ". وأخرج مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم t أن رسول الله r قام خطيبًا في الناس فقال: { أما بعد ألا أيها الناس. فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب فيه الهدى والنور. فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به } [1] . فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: { وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي } [2] [3] . فأمر النبي r بالإحسان إلى أهل بيته وأن يعرف لهم قدرهم وحقهم، لقربهم منه وشرفهم. كما أوصى النبي r بأصحابه خيرًا ونهى عن سبّهم وتنقصهم فعن أبي سعيد الخدري t عن النبي r قال: { لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه } [4] [5] أخرجه الشيخان. وقد كان من أعظم أصول أهل السنة التي اجتمعت عليه كلمتهم محبة أصحاب رسول الله r وقرابته وأزواجه وما كانوا يعدون الطعن فيهم إلا علامة الزيغ والضلال. قال أبو زرعة: " إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق ". وقال الإمام أحمد: " إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله r (أي بسوء) فاتهمه على الإسلام ".

فهذه بعض حقوق النبي r على أمته على سبيل الإيجاز والاختصار والله تعالى الهادي لنا ولإخواننا على تأديتها والعمل بها.

(1) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٨) ، أحمد (٣٦٧/٤) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣١٦) .
(2) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٨) ، أحمد (٣٦٧/٤) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣١٦) .
(3) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٨) .
(4) البخاري المناقب (٣٤٧٠) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٤١) ، الترمذي المناقب (٣٨٦١) ، أبو داود السنة (٤٦٥٨) ، ابن ماجه المقدمة (١٦١) ، أحمد (١١/٣) .
(5) صحيح البخاري برقم (٣٦٧٣) ، ومسلم برقم (٢٥٤١) ، واللفظ للبخاري .

ثالثًا: بيان أن رؤية النبي r في المنام حق:

دلت السنة على إمكانية رؤية النبي r في المنام وأن من رآه في المنام فقد رآه.

فعن أبي هريرة t قال: قال النبي r { من رآني في المنام فقد رآني. فإن الشيطان لا يتمثل بي } [1] [2] أخرجه مسلم. وفي لفظ آخر أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي r قال: { من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي } [3] [4] قال البخاري قال ابن سيرين: " إذا رآه في صورته ". وعن جابر بن عبد الله عن النبي r أنه قال: { من رآني في النوم فقد رآني فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي } [5] [6] رواه مسلم.

فدلت الأحاديث على صحة رؤية النبي r في المنام وأن من رآه فرؤياه صحيحة لأن الشيطان لا يتصور في صورة رسول الله r على أنه ينبغي أن يتنبه إلى أن الرؤية الصحيحة لرسول الله r هو أن يُرى على صورته الحقيقية المعروفة من صفاته، وإلا فلا تكون الرؤية صحيحة ولذا قال ابن سيرين: " إذا رآه في صورته " كما تقدم النقل عنه من صحيح البخاري. ولذا أورد البخاري قول ابن سيرين بعد ذكر الحديث على سبيل التفسير لمعنى الرؤية في الحديث. ويشهد لهذا ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم بن كليب: حدثني أبي قال: قلت لابن عباس رأيت النبي r في

(1) البخاري العلم (١١٠) ، مسلم الرؤيا (٢٢٦٦) ، الترمذي الرؤيا (٢٢٨٠) ، أبو داود الأدب (٥٠٢٣) ، ابن ماجه تعبير الرؤيا (٣٩٠١) ، أحمد (٢/٢٣٢) .

(2) صحيح مسلم برقم (٢٢٦٦) .

(3) البخاري التعبير (٦٥٩٢) ، مسلم الرؤيا (٢٢٦٦) ، الترمذي الرؤيا (٢٢٨٠) ، ابن ماجه تعبير الرؤيا (٣٩٠١) ، أحمد (٢/٢٣٢) .

(4) صحيح البخاري برقم (٦٩٩٣) ، ومسلم برقم (٢٢٦٦) .

(5) مسلم الرؤيا (٢٢٦٨) .

(6) مسلم برقم (٢٢٦٨) .

المنام. قال: صفه لي. قال: ذكرت الحسن بن علي فشبهته به. قال: إنه كـــان يشبهه [1] .

قال ابن حجر سنده جيد.

وعن أيوب قال: " كان محمد - يعني ابن سيرين - إذا قص عليه رجـــل أنه رأى النبي r قال: صف لي الذي رأيته. فإن وصف له صفة لا يعرفـــها قال: لم تره " نقله ابن حجر في الفتح وقال: سنده صحيح.

وأما قول النبي r { من رآني في المنام فسيراني في اليقظة } [2] ، فللعلمـــاء في تفسير الرؤية في اليقظة أقوال أشهرها ثلاثة:

الأول: أنها على التشبيه والتمثيل وقد دل على هذا ما جـــاء في روايـــة مسلم من حديث أبي هريرة وفيها: { فكـــأنما رآني في اليقظة } [3] .

الثاني: أنها خاصة بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه.

الثالث: أنها تكون يوم القيامة. فيكون لمن رآه في المنام مزيد خصوصيـــة على من لم يره في المنام. هذا والله تعالى أعلم.

(1) المستدرك : ٤ / ٣٩٣ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(2) البخاري التعبير (٦٥٩٢) ، مسلم الرؤيا (٢٢٦٦) ، الترمذي الرؤيا (٢٢٨٠) ، ابن ماجه تعبير الرؤيا (٣٩٠١) ، أحمد (٢/٢٣٢) .

(3) ابن ماجه تعبير الرؤيا (٣٩٠٤) .

المبحث السابع: ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده

تقدم الحديث عن هذه المسألة مع ذكر الأدلة عليها عند الحديث عـــن خصائص النبي r وأنه خاتم النبيين والحديث عن ختم الرسالة هنا هو مـــن جانب آخر وهو أثر هذه العقيدة على دين المسلمين وثمرة تقريرها عليـــهم. فمن ثمار هذه العقيدة:

١ - استقرار التشريع وكمال الدين لدى الأمة وأثر ذلك الكبير في حيـــاة الأمة ولذا امتن الله على هذه الأمة بذلك في قوله تعـــالى: { Pöqu‹ø9$# àMù=yJø.r& öNä3s9 öNä3oY÷ƒÏŠ àMôJoÿøCr&ur öNä3ø‹n=tæ ÓÉLyJ÷èÏR àMŠÅÊu‘ur ãNä3s9 zN»n=ó™M}$# $YYƒÏŠ } [1] (المـــائدة: ٣).

وقد كان نـــزول هذه الآية على النبي r في حجة الوداع قبل وفاته بأشـــهر بعد أن أكمل الله له التشريع. ولذا كان اليهود يغبطون المسلمين على هـــذه الآية على ما أخرج الشيخان أن رجلا من اليهود جاء إلى عمر t فقـــال: (آية في كتابكم تقرؤوها لو نـــزلت علينا معشر يهود لاتخذنا ذلك اليـــوم عيدا). قال وأي آية ؟ قال: { Pöqu‹ø9$# àMù=yJø.r& öNä3s9 öNä3oY÷ƒÏŠ } [2] ([3] . وقد أبرز النبي r الحقيقة في صورة محسوسة وذلك بتشبيهه الرسالات قبلـــه بقصـــر أكـــمل وأحسن بناؤه إلا موضع لبنة، فكانت بعثته موضع تلك اللبنة ختم بهـــا البناء، وفي هذا تقرير ظاهر إلى أنه لم يبق مجال للزيادة في هذا الدين خاصـــة ولا الرسالات عامة كما أنه لا يمكن الزيادة في ذلك القصر بعد أن اكتمل بناؤه. وقد تقدم الحديث بنصه في المبحث السابق ضمن الحديث عـــن خصائص النبي صلى الله علي وسلم فليراجع في موضعه. [4] .

(1) سورة المائدة آية : ٣ .

(2) سورة المائدة آية : ٣ .

(3) صحيح البخاري برقم (٤٥) ، ومسلم برقم (٣٠١٧) .

(4) انظر ص ١٧٠ .

٢ - ثقة الأمة بعدم نسخ هذا الدين وشريعة محمد r ببعثه نبيا آخر " ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام أنه لا تبتدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشرعته، وأما نزول عيسى عليه السلام وكونه متصفا بنبوته السابقة فلا ينافي ذلك، على أن عيسى عليه السلام إذا نزل إنما يتعبد بشريعة نبينا r دون شريعته المتقدمة لأنها منسوخة فلا يتعبد إلا بهذه الشريعة أصولا وفروعا ".

٣ - القطع بتكذيب كل مدع للنبوة بعده عليه الصلاة والسلام دون نظر أو تأمل، وهذا من أبرز ثمرات الإيمان بعقيدة ختم النبوة التي تحصل بها العصمة للأمة من اتباع من ادعى النبوة من الدجالين الكذابين، ولهذا كان التنبيه على هذا الأمر العظيم هو من أعظم مقاصد النبي r في تقريره اعتقاد ختم النبوة به وذلك بإخباره عن خروج كذابين ثلاثين في هذه الأمة كلهم يدعي النبوة ثم تقريره أنه لا نبي بعده تحذيرا للأمة من تصديقهم واتباعهم. كما جاء هذا في حديث ثوبان r في الفتن مرفوعا للنبي r وفيه: (... { وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي } [(1)] [(2)].

٤ - ظهور فضل الأمراء والعلماء من هذه الأمة حيث جعل سياسة الأمة في الدين والدنيا لهم بخلاف بني إسرائيل فإنهم كانت تسوسهم الأنبياء. فعن أبي هريرة t عن النبي r قال: { (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء تكثر). قالوا: فما تأمرنا ؟ قال: (فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم) } [(3)] [(4)]. فكان مقام الخلفاء في

(1) الترمذي الفتن (٢٢١٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) .

(2) سنن الترمذي ٤ / ٤٩٩ وقال حديث حسن صحيح ، وبنحوه أبو داود عن أبي هريرة سنن أبي داود ٤ / ٣٢٩ برقم (٤٣٣٣- ٤٣٣٤) .

(3) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦٨) ، مسلم الإمارة (١٨٤٢) ، أحمد (٢/٢٩٧) .

(4) صحيح البخاري برقم (٣٤٥٥) ، وصحيح مسلم برقم (١٨٤٢) ، واللفظ له .

الأمة مقام الأنبياء في بني إســـرائيل في سياسة الناس وقيادهم. وفي حديث آخر عن أبي هريرة t عن النبي r قال: { إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة ســـنة مـــن يجـــدد لهـــا دينها } [1] [2] . وواقع الأمة يشهد بهذا فلا يزال أمر الدين والدنيا محفوظا بالخلفـــاء والأمراء والعلماء الذين يسوسون الناس بالشرع، ولا يزال الله تعالى يجـــدد لهذه الأمة ما اندرس من معالم دينها على مر العصـــور والدهـــور بالأئمـــة المجددين الذين ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فدين الله بهم قائم غضا طريا على تطاول عهد البعثة وتقادم زمـــن الرسالة. وذلك فضل الله على هذه الأمة عامة ومن شرفه بهذا المقام خاصة.

وعلى كل حال فعقيدة ختم النبوة وآثارها في الدين من أبرز خصـــائُص هذه الأمة التي أكسبتها قوة الإيمان بدينها وصدق اليقين به ورسوخ القدم في الثبات عليه، إلى أن يأتي أمر الله.

(1) أبو داود الملاحم (٤٢٩١) .

(2) رواه أبو داود ٤/ ٣١٣ برقم (٤٢٩١) ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، المستدرك ٤/ ٥٢٢ .

المبحث الثامن: الإسراء بالرسول r حقيقته وأدلته

تعريف الإسراء لغة وشرعا:

الإسراء في اللغة: من السرى وهو: سير الليل أو عامته. وقيل: سير الليـــل كله.

ويقال: سريت، وأسريت. ومنه قول حسان:

أســـــرت إليـــــك ولـــــم تكن تســـــري

والإسراء إذا أطلق في الشرع يراد به: الإســـراء برســـول الله r مـــن المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس بإيليا ورجوعه من ليلته.

حقيقة الإسراء وأدلته:

والإسراء آية عظيمة أيد الله بها النبي r قبل الهجرة حيث أسري به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكبا على البراق بصحبة جـــبريل عليه السلام حتى وصل بيت المقدس، فربط البراق بحلقة باب المســـجد، ثم دخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء إماما، ثم جاءه جبريل بإناء من خمر وإنـــاء من لبن فاختار اللبن على الخمر فقال له جبريل: هديت للفطرة. وقـــد دل على الإسراء الكتاب والسنة.

قال تعالى: { ‰É ó J$$ ’‹ Ï Q#• s$$‰É ó J$$šÆ Ï Wx.ø ¾íï‰ 7èÎ 3“ Žó & ü“ ‰$ `»s ö6ß™

ÇÈ ç•Å 7$$ßšÜ ¡¡ 9$qè ¼çR) $YÏ»f#ä ôÏ ¼çƒÎ Ï ¼ç9öqm $Yø•»/ “ ‰$$Á %ßF{ $ } [1] (الإسراء: ١).

ومن السنة حديث أنس بن مالك الذي أخرجه مسلم في صحيحه مـــن طريق ثابت البناني عن النبي r قال: { أتيت بالبراق " وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه " قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبيـــاء، قـــال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن. فقـــال جـــبريل r

---

(1) سورة الإسراء آية : ١ .

اخـــترت الفطرة } [1] [2] . ثم ذكر بقية الحديث وعروجه إلى الســـماء. وقـــد دل علـــى الإسراء برسول الله r عدة أحاديث منها ما جاء في الصحيحين ومنها مـــا جاء في السنن وغيرها وقد رواه عن رسول الله r جمع من الصحابة نحـــو الثلاثين رجلا ثم تناقلها عنهم مالا يحصي عددهم إلا الله مـــن رواة الســـنة وأئمة الدين.

وقد اتفقت كلمة علماء المسلمين سلفا وخلفا وانعقد إجماعـــهم علـــى صحة الإسراء برسول الله r وأنه حق. نقل الإجماع على ذلك القـــاضي عياض في (الشفاء) والسفاريني في (لوامع الأنوار). والإسراء كان بـــروح النبي r وجسده، يقظة لا مناما. فهذا هو الذي دلت عليـــه النصوص الصحيحة وعليه عامة الصحابة وأئمة أهل السنة والمحققين من أهل العلم.

قال ابن أبي العز الحنفي: (وكان من حديث الإسراء: أنه أسري بجســـده في اليقظة على الصحيح من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى..). وقـــال القاضي عياض مقررا أن هذا هو الذي عليه عامة أهل العلم من الصحـــابة فمن بعدهم: (وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر، وأنـــس، وحذيفـــة، وعمر، وأبي هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبي حبة البدري، وابن مســـعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن المسيب، وابن شـــهاب، وابـــن زيد، والحسن، وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج، وهـــو دليل قول عائشة، وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعـــة عظيمـــة مـــن المسلمين، وقول أكثر المتـــأخرين مـــن الفقـــهاء والمحدثـــين والمتكلمـــين والمفسرين).

وقال أحد المحققين الأفذاذ في نقده لقول من زعم أن الإســـراء مرتـــان: (والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كـــان مرة واحدة بمكـــة بعـــد البعثة. ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين

---

(1) البخاري بدء الخلق (٣٠٣٥) ، مسلم الإيمان (١٦٢) ، النسائي الصلاة (٤٤٨) ، أحمد (٣/١٤٩) .

(2) صحيح مسلم برقم (١٦٢) .

ثم يتردد بين ربه وبين موســـى حتى تصير خمسا ثم يقول: (أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي) ثم يعيدهـــا في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها عشرا عشرا).

المعراج وحقيقته:

الحديث عن المعراج هو قرين الحديث عن الإسراء في النصوص وكـــلام أهل العلم ولذا كان من المناسب التعريف به تتميما للفائدة.

والمعراج: مفعال من العروج. أي الآلة التي يعرج فيها، أي يصعد. وهو منـــزلة السلم لكن لا نعلم كيفيته. والمقصود بالمعراج عند الإطـــلاق في الشرع: هو صعود النبي r بصحبة جبريل عليه السلام من بيت المقـــدس إلى السماء الدنيا ثم باقي السماوات إلى السماء السابعة ورؤية الأنبيـــاء في السماوات على منازلهم وتسليمه عليهم وترحيبهم به، ثم صعوده إلى ســـدرة المنتهى، ورؤيته جبريل عندها على الصورة التي خلقه الله عليها، ثم فـــرض الله عليه الصلوات الخمس تلك الليلة وتكليم الله له بذلك ثم نـــزوله إلى الأرض. وكان المعراج ليلة الإسراء على الصحيح.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على المعراج. أما الكتاب فقد جـــاء فيه ذكر بعض الآيات العظيمة التي حصلت للنبي r ليلة المعراج كقولـــه تعالى: } 4?ã ¼çRrã Jèçù&

Ó´ øf ©ô ÇÎÈ #" rü$pè Z_ $d%Ÿã ÇÍÈ 4 gFZçt$í '6Å %Zã ÇÌÈ 3" •z é»!"R çä' ©)9r ÇËÈ 3" •f $B

#" Žö3 ïmÎ/ ¤M»f#ä ôB 3" &' ©)9 ÇÐÈ 4öÛ $Br çÇ7$ ø#– $B ÇÏÈ 4´ øf $B o'©Å9$

ÇÊÑÈ { [1] (النجـــم: ١٢-١٨). فذكـــر الله تعالى في هذا السياق الآيات العظيمة التي أكرم بها رسوله r ليلة المعـــراج كرؤيته جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى، ورؤيته سدرة المنتهى وقـــد غشاها ما غشاها من أمر الله. قال ابن عباس ومسروق: " غشيها فراش مـــن ذهب".

---

(1) سورة النجم آية : ١٢ - ١٨ .

وقد جاء في السنة خبر المعراج مفصلا في أكثر من حديث منها حديث أنس المتقدم في قصة الإسراء والذي سبق نقل ما يتعلق بالإسراء منه ثم قال النبي r { ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل. فقيل: من أنت ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه ؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير } [1] . (ثم ذكر عروجه إلى السماوات وملاقاته الأنبياء إلى أن قال): { ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة، إذا ثمارها كالقلال. قال: فلما غشيها من الله ما غشيها تغيرت. فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها. فأوحى الله إلي ما أوحى. ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى r . فقال: ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي. فقلت: يا رب خفف على أمتي. فحط عني خمسا. فرجعت إلى موسى. فقلت: حط عني خمسا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد. إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة } [2] ..) [3] الحديث. أخرجه مسلم وقد جاء خبر المعراج بألفاظ متقاربة من حديث مالك بن صعصعة وأبي ذر وابن عباس في الصحيحين وغيرهما.

تنبيه:

الإسراء والمعراج من الآيات العظيمة التي أكرم الله بها نبيه r والواجب على المسلم اعتقاد صحتهما وأنهما منقبتان عظيمتان اختص الله بهما نبينا r من بين الرسل ولا

(1) البخاري بدء الخلق (٣٠٣٥) ، مسلم الإيمان (١٦٢) ، النسائي الصلاة (٤٤٨) ، أحمد (٣/١٤٩) .
(2) البخاري بدء الخلق (٣٠٣٥) ، مسلم الإيمان (١٦٢) ، النسائي الصلاة (٤٤٨) ، أحمد (٣/١٤٩) .
(3) صحيح مسلم برقم (١٦٢) .

يشرع للمسلم الاحتفال بذكرى الإسراء والمعـــراج كما لا تشرع لهما صلاة خاصة كما يفعله بعض عوام المسلمين، بل كـــل ذلك بدع منكرة لم يشرعها النبي r و لم يفعلها أحد من السلف و لم يقـــل بها أحد ممن يقتدي به في العلم.

وقد بين العلماء من أهل السنة أن صلاة ليلة سبع وعشرين من شـــهر رجب وأمثالها: (من البدع التي أحدثت في دين الله، وأنه عمل غير مشروع باتفاق أئمة الإسلام ولا ينشئ مثل هذا إلا جاهل مبتدع). وقد قال r { من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد } [1] [2] أي مردود عليه.

(1) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٧٠) .

(2) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٧) .

المبحث التاسع: القول في حياة الأنبياء عليهم السلام

دلت الأدلة على موت الأنبياء إلا ما وردت النصوص باستثنائه كعيسى عليه السلام فإنه لم يمت بعد وإنما رفع إلى الله تعالى حيا على ما سيأتي بيانه.

فمن الأدلة على موت الأنبياء قوله تعالى: { >qàèƒ ŽØm ®Ï äl‰‰à ÑÇä ÞÆ { $ÑöJø$ } (1) (البقرة: ١٣٣). وقال تعالى: { $Jù ÏM»ZÉ¢ø$ @ö6% `Ï ß#ß™qãÑà2 äl` ‰)9r Ž'qß™' ¾ÍÏ‰è/ .`Ï ª!$ ]èÏ7ƒ `9 óOçFù# š• =d #Ó) ÓLm ¾ÍÏ? Nà2 äl` $ßÏ ‚© 'Î ÞÎû } (2) (غافر: ٣٤). وقال تعالى عن سليمان عليه السلام: { |NöJø$ Ïnøã $ZÒø)% $ß=ù ¼çm?'|¡ Ÿ̀Ï @à2 ù? Çó öF{$ p/!Š žw) ¾ÏmÏ?qB 4?ã Nçl;Š $B } (3) (سبأ: ١٤). وقال تعالى مخاطبا نبيه محمدا **r** { Çl;È bqçFÍhB NåÎ)r MÍhB 7R) } (4) (الزمر: ٣٠). قال بعض المفسرين نعيت للنبي **r** نفسه ونعيت إليهم أنفسهم ففي الآية الإعلام للصحابة بأنه يموت. وقال تعالى مخبرا عن موت كل نفس مخلوقة: { ÏNöq¸$ p)ÍI!#Œ <§øÿR @ä } (5) (آل عمران: ١٨٥).

فدلت هذه الآيات على موت الأنبياء وأنهم يموتون كما يموت بقية البشر إلا ما أخبر به الله **U** عن عيسى عليه السلام من رفعه إليه كما قال تعالى: { Ó|¤Šè»ƒ ª! A% Œ) ûÓÉj' ‹s9Î) y7ãèÏù'u š• ‹Ïj7ãqGB 'Îû ÎÏ4$ ŠÉ Ï8Ý$#ã‰r ¥!î) 7ä!#'‘r š• } (6) (آل عمران: ٥٥). فدلت الآية على رفع الله تعالى لعيسى بجسده وروحه إلى السماء وأنه لم يمت، وأما الوفاة

(1) سورة البقرة آية : ١٣٣ .

(2) سورة غافر آية : ٣٤ .

(3) سورة سبأ آية : ١٤ .

(4) سورة الزمر آية : ٣٠ .

(5) سورة آل عمران آية : ١٨٥ .

(6) سورة آل عمران آية : ٥٥ .

المذكورة في الآية في قوله تعالى { š• ‹ĵiqGã } [1] فقد جاء في تفسير الآية أن: " توفيه هو رفــعه إليـــه "، وإلى ذلك ذهب ابن جرير الطبري. وأكثر المفسرين على أن الوفاة المذكورة هي النوم، كما قال تعالى: { $gĭϕB ûüïm § ãRF$'@Gƒ ª!$ } [2] (الزمر: ٤٢).

فتقرر بهذا أن عيسى حي الآن في السماء لم يمت، وقد أخبر الله عن موتـــه قبل قيام الساعة. قال تعالى: { bÎ)r ôÏiB È@÷dr& É=»tGÅ3ø9$# žwÎ) ¨ûsßÏB÷sãŠs9 ¾ÏmÎ/ Ÿ@ö6s% ¾ÏmÏ?öqtB (tPöqtƒur ÏpyJ»uŠÉ)ø9$# ãbqä3tƒ } { öNÍköŽn=tã #Y‰‹Íky- ÇÊÎÒÈ } [3] (النساء: ١٥٩). والموت المذكور هنـــا هو موت عيسى عليه السلام في آخر الزمان بعد أن ينـــزل مـــن الســـماء فيكسر الصليب ويقتل الخنـــزير ويضع الجزية كـــما دلـــت علـــى ذلـــك الأحاديث الصحيحة في نـــزول عيسى في آخر الزمان وقد جاءت تلك الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

وممن قيل إنه لم يمت من الأنبياء إدريس عليه السلام، فقد ذكر بعض أهل العلم أنه لم يمت وإنما رفعه الله كما رفع عيسى عليه السلام واستدلوا لذلك بقوله تعالى: { ö@ä.øŒ$#ur 'Î û É=»tGÅ3ø9$# } { §ƒÍ‘÷ŠÎ) 4 ¼çm¯RÎ) tb%x. $Z)ƒÏe‰Ÿ¹ $wŠÎ;¯R ÇÎÏÈ çm»oY÷èsùu‘ur $ºR%s3tB $†‹Î=tã ÇÎÐÈ } [4] (مريم: ٥٦، ٥٧).

فعن مجاهد قال: إدريس رفع فلم يمت كما رفـــع عيسى. وعن ابن عباس قال: رفع إلى السماء فمات بها. وقال آخرون: رفع إلى السماء الرابعة والعلم في ذلك عند الله تعالى. وإنما القصد حصـــول الخلاف بين أهل العلم في موت إدريس من عدمه، هذا مع القطع بأنه إن لم يمت فلا بد أن يموت لعموم قوله تعالى: { @ä. <§øÿtR èps)ͬ!#sŒ ÏNöqyJø9$# } [5] .

(1) سورة آل عمران آية : ٥٥ .

(2) سورة الزمر آية : ٤٢ .

(3) سورة النساء آية : ١٥٩ .

(4) سورة مريم آية : ٥٦ ، ٥٧ .

(5) سورة آل عمران آية : ١٨٥ .

وأما ما عدا عيسى وإدريس عليهما السلام من الرسل فلم يقل أحد من أهل العلم المعتد بقولهم في الأمة بحياة أحد منهم لما تقدم مـــن النصـــوص وللواقـــع المشاهد من موهم. لكن جاء في بعض النصوص ما أشكَل فهمه على البعض في هذا الباب مثل ما جاء عن النبي r في أحاديث المعراج مـــن رؤيته لبعض الرسل في السماء وتكليمه لهم على ما جاء في حديث أنس الذي أخرجه الشيخان وفيه: { ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت ؟ قال جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليـــه.. قال: قد بعث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنـــت ؟ قـــال جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه. قال: قد بعـــث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلـــوات الله عليهما. فرحبا بي ودعوا لي بخير } [1] [2] إلى آخر الحديث وقد ذكر فيه رؤيا يوسف في السماء الثالثة وإذا هو أعطي شطر الحسن ورؤيـــاه إدريـــس في السماء الرابعة وهارون في السماء الخامسة وموسى في الســـماء السادســـة ورؤيته إبراهيم في السماء السابعة مسندا ظهره إلى البيت المعمـــور وأنهـــم كلهم رحبوا به ودعوا له بخير.

ومثل ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين عـــن النبي r أنه قال: { رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا كأنه مـــن رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربـــوع الخلـــق إلى الحمـــرة والبياض سبط الرأس } [3] (... [4] الحديث.

(1) البخاري بدء الخلق (٣٠٣٥) ، مسلم الإيمان (١٦٢) ، النسائي الصلاة (٤٤٨) ، أحمد (١٤٩/٣) .
(2) صحيح البخاري برقم (٣٥٧٠) ، ومسلم برقم (١٦٢) .
(3) البخاري بدء الخلق (٣٠٦٧) ، مسلم الإيمان (١٦٥) ، أحمد (٣٠٩/١) .
(4) صحيح البخاري برقم (٣٢٣٩) ، ومسلم برقم (١٦٥) .

ففهم بعض الناس من هذه النصوص ومن غيرها مما يماثلها عدم مـــوت الأنبياء فاستدلوا بها على ما اعتقدوه من حياة الأنبياء. والحق أن الأنبيـــاء ماتوا إلا ما وردت به النصوص في حق عيسى عليه السلام وما اختلف فيــه من أمر إدريس عليه السلام. وأما من عداهما فقد دلت النصوص علـــى موقم قطعا ولا شك في ذلك. وقد سبق نقل الأدلة عليه. وأما ما جـــاء في الأحاديث من إخبار الرسول r عن رؤية الرسل ليلة المعراج وما جاء في معناه من النصوص الأخرى فحق ولا تعارض بين النصوص في ذلك. وذلك أن الذي رآه الرسول r هي أرواح الرسل مصورة في صور أبدانهم، وأمـــا أجسادهم فهي في الأرض إلا من جاءت النصوص برفعهم، وهذا هو الـــذي عليه الأئمة المحققون من أهل السنة.

قال أحد الأئمة الراسخين في تحقيق هذه المسألة: (وأما رؤيته غيره من الأنبياء ليلة المعراج في السماء لما رأى آدم في السماء الدنيـــا، ورأى يحـــي وعيسى في السماء الثانية، ويوسف في الثالثة وإدريس في الرابعة، وهـــارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، أو بالعكس، فـــهذا رأي أرواحهم مصورة في صور أبدانهم. قد قال بعض النـــاس: لعلـــه رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور، وهذا ليس بشيء. لكن عيسى صعـــد إلى السماء بروحه وجسده، وكذلك قيل في إدريس. وأما إبراهيم وموســـى، وغيرهما فهم مدفونون في الأرض).

وعلى أنه ينبغي أن يقرر هنا أن الله تعالى كما أكرم رسله برفع أرواحهم إلى السماء فهي تنعم على ما شاء الله فإنه حفـــظ أجســـادهم في الأرض، وحرم على الأرض أن تأكل أجسادهم على ما ثبت ذلك من حديـــث أوس بن أوس t قال: قال رسول الله r { إن من أفضل أيامكـــم يوم الجمعـــة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن

صلاتكم معروضة علي } [1] . فقـــالوا: يـــا رسول الله. وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ قال: يقول: بليـــت. قال: { إن الله U حرم على الأرض أجساد الأنبياء } [2] [3] .

وبهذا يتبين الحق في هذه المسألة المهمة وما يجـــب على المسلم اعتقاده فيها والله تعالى أعلم.

(1) النسائي الجمعة (١٣٧٤) ، أبو داود الصلاة (١٠٣١) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٦٣٦) ، أحمد (٨/٤) ، الدارمي الصلاة (١٥٧٢) .

(2) النسائي الجمعة (١٣٧٤) ، أبو داود الصلاة (١٠٤٧) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٦٣٦) ، أحمد (٨/٤) ، الدارمي الصلاة (١٥٧٢) .

(3) رواه أحمد في المسند : ٤ / ٨ وأبو داود في السنن ١ / ٤٤٣ برقم (١٠٤٧) والدارمي في السنن ١ / ٣٠٧ برقم (١٥٨٠) ، وقال الإمام النووي إسناده صحيح .

المبحث العاشر: معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء

التعريف بالمعجزة:

المعجزة: مأخوذة من العجز. وهو عدم القدرة.

جاء في القاموس: ومعجزة النبي r ما أعجز به الخصم عند التحـــدي والهاء للمبالغة.

والمعجزة في الاصطلاح: أمر خارق للعادة يجري على أيـــديَ الأنبيـــاء للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة.

فقولنا: خارق للعادة: أخرج ما ليس بخارق للعادة مثل ما يصدر من الأنبياء من الأفعال والأحوال الطبيعية فهي ليست بمعجزات. وقولنا: يجـــري على أيدي الأنبياء: أخرج الأمور الخارقة التي تجري على أيدي الأوليـــاء فهي ليست بمعجزات وإنما هي كرامات، لمتابعتهم للأنبياء ويخرج من بـــاب أولى ما يأتي به السحرة والكهان من الشعبذة فهذه لا تصدر إلا من شرار الخلق. وقولنا للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة: أخرج ما يدعيـــه المتنبئون الكذابون من الأمور الخارقة وكذلك السحرة فإنها لا تسلم مـــن المعارضة بل يعارضها أمثالهم من السحرة لأنها من قبيل السحر والشعبذة.

أمثلة لبعض معجزات الأنبياء:

ومعجزات الأنبياء كثيرة:

فمن معجزات صالح عليه السلام أن قومه طلبوا منه أن يخرج لهم من صخرة عينوها له ناقة ثم حددوا صفات الناقة فدعا ربه بذلك فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة على الوجه الذي طلبـــوا [1]. يقول الله تعالى في ذلك: } ö‏Nä3s9 Zptƒ#uä «!$# èps%$tR ¾ÍnÉ‹»yd (Nà6În/§‘ `ÏiB ×poYÉit/ Nà6ø?uä!%y` ô‰s% (¼çnçŽöxî >m»s9Î) ô`ÏiB /ä3s9 $tB ©!$# (#r߉ç6ôã$# ÉQöqs)»tƒ tA$s% $[sÎ=»|¹ 1

(1) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٣٦).

Ò߉ ë# ‹ã ßä‹ä Ïù ãbÝÎ $dq•¡ J? Ÿwr ‹ $Ç Ïù bÎ @à2 Ï? $drâ‹ù Z#ä ßà6 9 ‹ $pë%$R

ÇÌÈ } (1) (الأعراف: ٧٣).

ومن معجزات إبراهيم عليه السلام جعل الله النار التي أشـــعلها قومـــه لتعذيبه

وإهلاكه ثم ألقوه فيها بردا وسلاما عليه. قال تعالى: { (q$% m qè m (ÿçÇ R$ #ä Gg$ßä bÎ

ßÜ»Yè f ù #%x ¾ÏmÎ (rß‘&r ÇÏÈ OŠÏd°•ŒÎ #?ã $J»=™r #Ŷ ’Îqä â$Z»f $Zè ÇÌÈ šú üÏÎ»ù Lèäz2

ÇÐÈ šú ïÎ£zF $ } (2) (الأنبياء: ٦٨- ٧٠).

ومن معجزات موسى عليه السلام العصا التي كانت تتحـــول إلى حيـــة عظيمة إذا

ألقاها إلى الأرض. قال تعالى: { $Br ü 7ÎŠÜŠÎ š• 7 »f qß› 4 ÇÊÈ A$% ‘Ïd ã Á$ “ q?& 2žä

‘Ïd #Çfù $g8)Ïù ÇÊÈ 4 › qß»f $g£Ïè A$% ÇÌÈ 3 •zéü Ï f$«B $kŽÏù ’Ír ‘ÜZî 4?ã $kÍ •· èd&r $kÍŠæ

{ ÇËÈ 4‹rW$g?Ž•Å $d%‹èã™ è# , ? Ÿwr $dõ ë A$% ÇÊÈ 4ëq @ pŠm (3) (طه: ١٧- ٢١).

ومن معجزات موسى أيضا أنه كان يدخل يده في درع قميصه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء

تتلألأ كالقمر من غـــير سوء. قال تعالى: { $Ê6 ßÙ 8%f 4‹Ï _Z$m 7 ïB ð d ø Ò$ä Bô ïÎ

ÇËÈ 3 •z épf#ä ãpŠ } (4) (طه: ٢٢).

ومن معجزات عيسى عليه السلام أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها

فتكون طيورا بإذن الله، ويمسح الأكمـــه -وهـــو الأعمـــى- والأبرص فيبرآن بإذن الله،

وينادي الموتى في قبورهم فيجيبون بإذن الله. قال تعالى: { ÿ rä B ßèB `Ï $9 Üè. #Š «!$ ÏöÎ

---

(1) سورة الأعراف آية : ٧٣ .

(2) سورة الأنبياء آية : ٦٨ ، ٧٠ .

(3) سورة طه آية : ١٧ - ٢١ .

(4) سورة طه آية : ٢٢ .

{ ’Îôî? š Ý •ô?$ mJò2 ?$ à–Îôè ’Îôî? #Ì?Û ã?q3Fù $kŽ?ù ã?ÿZFù ’Îôî? } [1] (المائدة: ١١٠).

ومن معجزات نبينا r القرآن العظيم وهو أعظم معجزات الرسل علـــى الإطلاق. قال تعـــالى: { bÎ)r ?N?Zà2 ’Î ?=‘ $£JÏiB $uZø9R $tRÏ ‰ö7tã 4?ã $?Ýù ¢Î? ô?`B ÿ¾?Ï&Ï#?ÏW?B $?š?q? } [2] (البقرة: ٢٣). وقال تعالى: { N?©?ä!$?%gèK `ÎB $?±ÏrB ?$?Î ?c ?N?Zà ¹ ?????û ÇÈÏ } [3] (الإسراء: ٨٨). ومن معجزاته r انشقاق القمر عندما سأل أهل مكة النبي r آية فانشق القمر شقين فرآه أهل مكة ورآه غيرهم. قال تعـــالى { $?l?Z/ÏM } [4] (القمر: ١، ٢). ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام الإسراء والمعـــراج. قـــال تعالى: { `»s?ö6ß } [5] (الإسراء: ١).

ومعجزات الرسل كثيرة خصوصا معجزات نبينا محمد r فإن الله أيـــده بكثير من الآيات والبراهين التي لم تجتمع لنبي قبله وما سقته هنا إنمـــا هـــو للتمثيل فقط.

التعريف بالكرامة:

الكرامة: أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لهـــا تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمـــل الصالح.

فقولنا: أمر خارق للعادة: أخرج ما كان على وفق العادة من أعمال.

---

(1) سورة المائدة آية : ١١٠ .

(2) سورة البقرة آية : ٢٣ .

(3) سورة الإسراء آية : ٨٨ .

(4) سورة القمر آية : ١ ، ٢ .

(5) سورة الإسراء آية : ١ .

وغير مقرون بدعوى النبوة: أخرج معجزات الأنبياء.

ولا هو مقدمة لها: أخرج الإرهاص وهو كل خارق تقَدم النبوة.

ويظهر على يد عبد ظاهر الصلاح..: أخرج ما يجري على أيدي السحرة والكهان فهو سحر وشعبذة.

وكرامات الأولياء كثيرة منها ما ثبت في حق بعض الصالحين من الأمم الماضية.

ومن ذلك ما أخبر الله به عن مريم عليها السلام. قال تعالى: { $J=ä $zŠ @ $gšã $.–fì$ $!#•>r `‰ $d‰Zã $]‰ ‰$A f»J$ãö 4T& 9 Å d»<# ‰$9M qè ôB $‰Zã $!« } [1] (آل عمران: ٣٧).

ومنها: ما أخبر الله به عن أهل الكهف على ما قص الله ذلك في كتابه.

ومن كرامات الأولياء من هذه الأمة ما ثبت في حق أسيد بن حضير t أنه كان يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته. وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنه. وكان سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهما يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها. وخبيب بن عدي t كان أسيرا عند المشركَين بمكة شرفها الله تعالى وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة.

ومر العلاء الحضرمي t بجيشه فوق البحر على خيولهم فما ابتلت سروج خيولهم. ووقع أبو مسلم الخولاني رحمه الله في أسر الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله ؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال: نعم. فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه يصلي فيها وقد صارت بردا وسلاما، وغير ذلك كثير مما هو منقول في كتب السير والتاريخ.

الفرق بين المعجزة والكرامة:

---

(1) سورة آل عمران آية : ٣٧ .

الفرق بين المعجزة والكرامة: أن المعجزة تكـــون مقرونة بدعوى النبـــوة. بخلاف الكرامة فإن صاحبها لا يدعي النبوة وإنما حصلت له الكرامة باتباعَ النبي والاستقامة على شرعه. فالمعجزة للنبي والكرامة للولي. وجماعهما الأمر الخارق للعادة.

وذهب بعض الأئمة من العلماء: إلى أن كرامات الأولياء في الحقيقـــة تدخل في معجزات الأنبياء لأن الكرامات إنما حصلـــت للـــولي باتبـــاع الرسول، فكل كرامة لولي هي من معجزات رسوله الذي يعبد الله بشرعه.

ومن هذا يتبين أن إطلاق المعجزة على خوارق الأنبياء والكرامة علـــى خوارق الأولياء معنيان اصطلاحيان ليسا موجودين في الكتاب والسنة وإنمـــا اصطلح عليهما العلماء فيما بعد وإن كانا في مدلولهما يرجعان إلى ما تقـــرر في النصوص من الحق.

حكم الإيمان بالمعجزات والكرامات:

الإيمان بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء أصل من أصول الإيمان دلـــت عليه نصوص الكتاب والسنة والواقع المشاهد فيجب على المسلم اعتقاد صحة ذلك وأنه حق. وإلا فالتكذيب بذلك أو إنكـــار شـــيء منـــه رد للنصوص ومصادمة للواقع وانحراف كبير عما كان عليه أئمة الدين وعلمـــاء المسلمين في هذا الباب. والله تعالى أعلم.

المبحث الحادي عشر: الولي والولاية في الإسلام

تعريف الولي والولاية:

الولاية: ضد العداوة. وأصل الولاية: المحبة والقَرب. وأصل العـــداوة: البغض والبعد.

والولاية في الاصطلاح: هي القرب من الله بطاعته.

والولي في الشرع: هو من اجتمع فيه وصفان: الإيمان والتقـــوى. قـــال تعالى: }

šc qà6ƒ Ïqç%Ÿ2 r ÏqãZB#ä šú ïÏ%©!$ÇÏÈ šc qçRt“øts† öNèd Ÿwr öNÍkö,n=tæ ê’ öqz Ÿw «!$# uä!$uŠÏ9÷rr& žc Î)Iwr&

ÇÏÌÈ { [1] (يونس: ٦٢، ٦٣).

تفاضل الأولياء:

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون فبحسب إيمان العبـــد وتقـــواه تكـــون ولايته لله تعالى فمن كان أكمل إيمانا وتقوى كان أكمل ولايـــة لله. فالناس يتفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى.

وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضـــل المرسلين أولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد r وأفضل أولي العزم محمد r - على ما تقدم ذلك في موضعه - ثم إبراهيم عليه الســـلام. ثم اختلف الناس في المفاضلة بين الثلاثة الباقين.

أقسام أولياء الله:

وأولياء الله على قسمين:

القســـم الأول: سابقون مقربون.

القسم الثاني: أصحاب يمين مقتصدون.

وقد ذكرهم الله تعالى في عدة مواضع من كتابه. قال تعالى: } ÇÊÈ pèÏ%#qø9$# ÏMè%r #ŒÎ)

ÇÎÈ $\ri0 A$6ÉØ$M¡¡ç ÇÍÈ %w‘ Ü ö\R$M§ â #ŒÎ) ÇÌÈ pèÏ#§ pxÒÏ%{ ÇËÈ p/ÏË%. $kÉÏ%qø9 §ø‹s9

---

(1) سورة يونس آية: ٦٢، ٦٣.

Ü»tã¾&r ÇÑÈ ÏZJøJ9$#Ü»tã¾& $B ÏZJøJ9$#Ü» sô 'ù ÇÐÈ ZW»=0 %[`ºr& Lêä.r ÇÏÈ $Y;Z B $6d ÓMR%3ù

ÉŠèZ9$#ÏM»Z_ 'Î ÇÊÉÈ bqç/(S)J9$# 7Í¯»9r'é& ÇÊÉÈ bqàÎ»¡¡9$#bqàÎ»¡¡9$# ÇÒÈ ÏJ«ô±R9$#Ü»tã¾& $B ÏJ«ô±R9$#

ÇÊÊÈ { (1) (الواقعــــة: ١- ١٢).

فذكر ثلاثة أصناف. صنفا في النار وهم أصحاب الشمال وصنفين في الجنـــة وهما: أصحاب يمين وسابقون مقربون. وقد ذكرهما أيضا في آخــــر هــــذه السورة وهي سورة الواقعة فقــــال: } b%. bÎ $B&r ÇÑÒÈ ÕŠèR &MZ_r b$tø‘r ÓÌ÷•ù ÇÑÑÈ ûüÎ/(S)J9$# `Ï B b%. bÎ $B'ù

ôÏ B ÜtÉ»tã¾& ÇÒÊÈ ÈûüÏŠ9$#ôÏ B ÜtÉ»tã¾& 7©Ò»=¡ù ÇÒÉÈ { (2) (الواقعة: ٨٨- ٩١). وقد ذكر النبي r عمل القســــمين في حديث الأولياء المشهور وهو حديث قدسي يرويه النبي r عن ربه وقد أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي r قال: { إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذيَ يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطـــش بهـــا ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن اســـتعاذني لأعيذنـــه } (3) (4) . فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه تعالى بالفرائض، يفعلـــون مـــا أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليـــهم، ولا يكلفـــون أنفســـهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحات. وأما السابقون المقربون فتقربـــوا إليه تعالى بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمســـتحبات وتركـــوا المحرمات والمكروهات فلما تقربوا إلى الله بجميع ما يقـــدرون عليـــه من محبوباتهم أحبهم

---

(1) سورة الواقعة آية : ١ - ١٢ .

(2) سورة الواقعة آية : ٨٨ - ٩١ .

(3) البخاري الرقاق (٦١٣٧) .

(4) صحيح البخاري برقم (٦٥٠٢) .

الرب حبا تاما وعصمهم من الذنوب واستجاب دعـــاءهم كما قال تعالى: { ولا يزال عبديَ يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبـــه } [1] ..) إلى آخر ما ذكر في الحديث.

(1) البخاري الرقاق (٦١٣٧) .

لا يختص أولياء الله بلباس ولا هيئة:

وأولياء الله لا يتميزون عن غيرهم من الناس في الظاهر بلباس ولا بهيئـــة على ما هو مقرر عند أهل العلم والتحقيق من أهل السنة.

قال بعض الأئمة المصنفين في الأولياء: (وليس لأولياء الله شيء يتمـــيزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لبـــاس إذا كان مباحا، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ضفره إذا كان مباحا. كمـــا قيل كـــم من صديق في قباء، وكـــم من زنديق في عباء، بل يوجدون في جميـــع أصناف أمة محمد r إذا لم يكونوا من أهل البدع الظـــاهرة والفجـــور، فيوجدون في أهل القرآن، وأهل العلم، يوجدون في أهل الجهاد والســـيف، ويوجدون في التجارة والصناع والزراع).

بطلان ما قد يعتقد فيهم من الغلو:

وأولياء الله ليسوا معصومين ولا يعلمون الغيب وليس لهم قـــدرة علـــى التصرف في الخلق والرزق ولا يدعون الناس إلى تعظيمهم أو صرف شـــيء من الأموال والعطايا لهم ومن فعل ذلك فليس بولي لله بل كذاب أفـــاك ولي للشيطان. والله تعالى أعلم.

الفصل الرابع:

الإيمان باليوم الآخر

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أشراط الساعة وأنواعها.

المبحث الثاني: نعيم القبر وعذابه. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأدلة ذلك.

المطلب الثاني: وقوعه على الروح والجسد معا.

المطلب الثالث: الإيمان بالملكين منكر ونكير.

المبحث الثالث: الإيمان بالبعث. وفيه مطالب:

المطلب الأول: معنى البعث وحقيقته.

المطلب الثاني: أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر.

المطلب الثالث: الحوض صفته وأدلته.

المطلب الرابع: الميزان صفته وأدلته.

المطلب الخامس: الشفاعة تعريفها وأنواعها وأدلتها.

المطلب السادس: الصراط صفته وأدلته.

المطلب السابع: الجنة والنار صفتهما وكيفية الإيمان بهما وأدلة ذلك.

المبحث الأول

أشراط الساعة وأنواعها

تعريف أشراط الساعة:

الأشراط: جمع شرط وهو: العلامة. وقيل أشراط الشيء: أوائله.

جاء في لسان العرب: والاشتقاقان متقاربان لأن علامة الشيء أوله.

والساعة: جزء من أجزاء الزمن، ويعبر به عن القيامة. قال تعالى: { ¼çµ‰Ÿãr ïä$¡¡9$# ãNù=Ïæ } [1] (الزخرف: ٨٥). والساعة من أشهر أسماء يوم القيامة في النصوص الشرعية وكلام الناس، وسمي ذلك اليوم بالساعة: لأنه يأتي بغتة فيفاجأ الناس في ساعة.

وأشراط الساعة: علاماتها وأماراتها التي تقع قبل قيامها. قال تعالى: { ö@gù tbrãÝàZƒ žwÎ) sptã$¡¡9$# br& NåkuŽÏ?ù's? ZptFøót/ (ô‰s)sù uä!%y` $ygèÛ#uŽõ°r& } [2] (محمد: ١٨).

أقسام أشراط الساعة:

أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأمارات البعيدة: وهي التي ظهرت وانقضت.

منها بعثة الرسول r على ما جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك t عن النبي r أنه قال: { بعثت أنا والساعة كهاتين. وضم السبابة والوسطى } [3] [4].

---

(1) سورة الزخرف آية : ٨٥ .

(2) سورة محمد آية : ١٨ .

(3) البخاري الرقاق (٦١٣٩) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٥١) ، الترمذي الفتن (٢٢١٤) ، أحمد (٢٣٧/٣) ، الدارمي الرقاق (٢٧٥٩) .

(4) صحيح البخاري برقم (٦٥٠٤) ، وصحيح مسلم برقم (٢٩٥١) .

ومنها انشقاق القمر على ما أخبر الله في كتابه، قال تعـــالى: { ;±$$ pã$¡¡ 9$ÌM/ŽI‰$ ÇÊ ãJ)s$ } [1] (القمر: ١).

ومنها خروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى علـــى ما أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة t أن رسول الله r قـــال: { لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجـــاز تضـــيء أعنـــاق الإبـــل ببصرى } [2] [3] . وقد خرجـــت هذه النار على ما أخبر النبي r في مســـتهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وكان خروجها من شرقي المدينة النبوية وسالت بسببها أودية من نار وارتاع الناس منها ورأى ضوءها أهـــل الشام ورأى أهل بصرى - وهي إحدى قرى دمشق-، أعنـــاق الإبـــل في ضوئها كـــما أخبر النبي r .

القسم الثاني: الأمارات المتوسطة: وهي التي ظهرت و لم تنقض بـــل تتزايد وتكثر وهي كثيرة جدا.

منها أن تلد الأمة ربتها [4] وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان على ما جاء في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه مسلم وقـــد تقـــدم في الفصل الأول من هذا الباب وفيه: { قال فأخبرني عن الساعة ؟ قـــال: مـــا المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلـــد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالـــة رعـــاء الشاء يتطـــاولون في البنيان } [5] [1] .

---

(1) سورة القمر آية : ١ .

(2) البخاري الفتن (٦٧٠١) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٢) .

(3) صحيح البخاري برقم (٧١١٨) ، وصحيح مسلم برقم (٢٩٠٢) .

(4) أن تلد الأمة ربتها ، الأمة المرأة المملوكة ، وولدها من سيدها بمنزلة سيدها ، لأن مال الإنسان صائر لولده .

(5) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٢٧/١) .

ومنها خروج دجالين ثلاثين يدعون النبوة كما جـــاء في حديـــث أبي هريرة قال: قال رسول الله r { لا تقوم الساعة حتى يبعـــث دجـــالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله } (2) (3). وفي ســـنن أبي داود والترمذي من حديث ثوبان عن النبي r { وإنه سيكون في أمتي ثلاثـــون كذابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي } (4) (5).

ومنها انحسار الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه على ما جـــاء في حديـــث أبي هريرة t عن النبي r قال: { لا تقوم الساعة حتى يحســـر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائـــة تســـعة تسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو } (6) (7) وهذه العلامة لم تقع بعد.

القسم الثالث: العلامات الكبرى: وهي الـــتي تعقبـــها الســـاعة إذا ظهرت. وهي عشر علامات و لم يظهر منها شيء. روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد قال: { اطلع النبي r علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون ؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشـــر آيات: فذكر الدخان والدجال، والدابة، وطلوع الشمس مـــن مغربهـــا، ونـــزول عيسى ابن مريم r ويأجوج ومأجوج، وثلاثة

(1) صحيح مسلم برقم (٨) .
(2) البخاري المناقب (٣٤١٣) .
(3) رواه البخاري برقم (٣٦٠٩) .
(4) الترمذي الفتن (٢٢١٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) .
(5) سنن أبي داود برقم (٤٢٥٢) ، وسنن الترمذي برقم (٢٢١٩ ، وقال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح " .
(6) البخاري الفتن (٦٧٠٢) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٨٩٤) ، الترمذي صفة الجنة (٢٥٦٩) ، أبو داود الملاحم (٤٣١٣) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٤٦) ، أحمد (٣٣٢/٢) .
(7) رواه مسلم في الصحيح برقم (٢٨٩٤) ، وبنحوه البخاري برقم (٧١١٩) وأحمد في المسند ٢ / ٢٦١ .

خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج مـــن اليمن تطرد الناس إلى محشرهم } [1] [2] . وجاء في بعض الأحاديث الأخرى ذكر المهدي، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من الأرض على مـــا ســـيأتي ذكـــر الأحاديث في ذلك.

والذي عليه أكثر المحققين من أهل العلم أن العلامات العشر العظمى هي هذه الثلاث وما ذكر في حديث حذيفة بن أسيد سوى الخسوف فإنهـــا وإن كانت من علامات الساعة بلا شك كما هو نص الحديث إلا أنها تقع قبـــل العشر العظمى، وهي مقدمة لها، ويشهد لهذا ما جاء في رواية أخرى مـــن حديث حذيفة بن أسيد وقد خرجها مسلم أيضا وفيها تقديم الخســـوف في الذكر على غيرها من العلامات حيث قال r { إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال } [3] ..) [4] ثم ذكر بقية العلامات. قال القرطبي: (فأول الآيات على ما في هذه الرواية الخسوفات الثلاثة وقد وقع بعضها في زمـــن النبي r ذكره ابن وهب...). وفيما يلي عرض لهذه العلامات العشر مفصلة بأدلتها:

العلامة الأولى: خروج المهدي: وهو رجل من أهل البيت مـــن ولـــد الحسن بن علي رضي الله عنهما يخرج وقد ملئت الأرض جـــورا وظلمـــا فيملؤها قسطا وعدلا يوافق اسمه اسم النبي r واسم أبيه اسم أب النبي r على ما روى أبو داود والترمذي من

---

(1) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١) ، الترمذي الفتن (٢١٨٣) ، أبو داود الملاحم (٤٣١١) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٥٥) ، أحمد (٤/ ٧) .

(2) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١) .

(3) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١) ، الترمذي الفتن (٢١٨٣) ، أبو داود الملاحم (٤٣١١) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٥٥) ، أحمد (٤/ ٧) .

(4) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١) .

حديث عبد الله بن مسعود t عن النبي r أنه قال: { لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما } [1] [2] .

العلامة الثانية: ظهور المسيح الدجال: وهو رجل من بني آدم يخرج في آخر الزمان فيفتن به كثير من الخلق، يجري الله على يديه بعض الأعمال الخارقة، ويدعي الربوبية ولا يروج باطله على المؤمن ويدخل الأمصار كلها إلا مكة والمدينة، ومعه نار وجنة فناره جنة وجنته نار. وقد دلت الأحاديث الصحيحة على خروجه، منها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي أخرجه مسلم في صحيحه أن رسول الله r قال: { يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه } [3] ...) [4] الحديث. وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال: قام رسول الله r في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: { إني أنذركموه وما من نبي إلا قد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكن سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور } [5] [6] .

العلامة الثالثة: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء إلى الأرض حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقضي على الدجال كما دلت على ذلك

---

(1) الترمذي الفتن (٢٢٣٠) ، أبو داود المهدي (٤٢٨٢) .

(2) سنن أبي داود ٤ / ٣٠٦ برقم (٤٢٨٢) ، واللفظ له ، وسنن الترمذي ٤ / ٥٠٥ برقم (٢٢٣٠) ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

(3) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤٠) ، أحمد (٢/١٦٦) .

(4) صحيح مسلم برقم (٢٩٤٠) .

(5) البخاري الجهاد والسير (٢٨٩٢) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٣١) .

(6) صحيح البخاري برقم (٣٠٥٧) ، وصحيح مسلم برقم (١٦٩) ، واللفظ للبخاري .

النصوص من الكتاب والسنة. أما الكتاب فيقـــول الله تعالى: { ¼çµRÎr ×Ù¡9 þã$¡¡ =ï } [1] (الزخرف: ٦١)، وقد استدل بهذه الآية علـــى نـــزول عيسى كثير من المفسرين وينقل هذا عن ابن عباس على ما أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قـــال: { هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة } [2] [3] . كما دلت على نـــزول عيسى عليه السلام الأحاديث الصحيحة: ففي الصحيحـــين مـــن حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله r { والـــذي نفســـي بيـــده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنـــزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحـــد، حتى تكـــون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها } [4] [5] .

العلامة الرابعة: خروج يأجوج ومأجوج: وهم خلق كثير لا يدين لأحد بقتالهم قيل إنهم من ولد يافث من ولد نوح عليه السلام وقـــد دل علـــى خروجهم الكتاب والسنة. قال تعالى: { #_¨Lm #sÎ) ôMysÏGèù ßlqã_ù'tƒ ßlqã_ù'tBur Nèdur `ÏiB Èe@ä. 5>y‰ym šcqè=Å¡Ytƒ ÇÒÏÈ z>uŽtIø%$#ur ß‰ôãuqø9$# ‘,ysø9$# #sŒÎ*sù }‘Ïd îpyÅÁ»x© ãN»|Áö/r& šúïÏ%©!$# (#rãxÿx. } [6] (الأنبياء: ٩٦، ٩٧).

وأخرج الشيخان عن زينب بنـــت جحش رضي الله عنها أن رسول الله r دخل عليها

---

(1) سورة الزخرف آية : ٦١ .
(2) أحمد (١/٣١٨) .
(3) المسند : ١ / ٣١٨ .
(4) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦٤) ، مسلم الإيمان (١٥٥) ، الترمذي الفتن (٢٢٣٣) ، أبو داود الملاحم (٤٣٢٤) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٧٨) ، أحمد (٢/٤٨٣) .
(5) صحيح البخاري برقم (٢٢٢٢) ، وصحيح مسلم برقم (١٥٥) ، واللفظ لمسلم .
(6) سورة الأنبياء آية : ٩٦ ، ٩٧ .

يوما فزعا يقـــول: { لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه " وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها } [1] .. ") [2] الحديث.

العلامة الخامسة: هدم الكعبة وسلب حليها على يد ذي السويقتين مـــن الحبشة كما صحت بذلك السنة. فقد أخرج الشيخان مـــن حديـــث أبي هريرة t عن النبي r قال: { يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشـــة } [3] [4] . وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رســـول الله r يقول: { يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته ومعوله } [5] [6] .

العلامة السادسة: الدخان: وهو انبعاث دخان عظيم من السماء يغشى الناس ويعمهم، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة. قال تعـــالى: { ö@t6sù ôMs)Ï?ös? âä!$yJ¡¡9$# 5b$sø ßûüÎ7B ÇÊÉÈ Óy´øót¨$Z9$# (#x»yd ë>#xtã ÒOÏ9r& ÇÊÊÈ } [7] (الدخان: ١٠، ١١). ومن السنة

---

(1) البخاري أحاديث الأنبياء (٣١٦٨) ، مسلم الفتن؛ وأشراط الساعة (٢٨٨٠) ، الترمذي الفتن (٢١٨٧) ، ابن ماجه الفتن(٣٩٥٣) أحمد (٦/٤٢٩) .

(2) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٦) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٨٠) .

(3) البخاري الحج (١٥١٤) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٩) ، النسائي مناسك الحج (٢٩٠٤) ، أحمد (٢/٢٢٠) .

(4) صحيح البخاري برقم (١٥٩١) ، وصحيح مسلم برقم (٢٩٠٩) .

(5) البخاري الحج (١٥١٤) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٩) ، النسائي مناسك الحج (٢٩٠٤) ، أحمد (٢/٢٢٠) .

(6) المسند : ٢ / ٢٢٠ .

(7) سورة الدخان آية : ١٠ ، ١١ .

حديث حذيفة بن أسيد المتقدم عن النبي r أنه قال: { إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخـــان والدجـــال والدابة } [1] [2] الحديث.

العلامة السابعة: رفع القرآن من الأرض إلى السماء فلا يبقى منه آيـــة في سطر ولا صدر إلا رفعت. وقد دلت على ذلك السنة فقد أخرج ابـــن ماجه والحاكم من حديث حذيفة عن النبي r أنه قال: { يدرس الإســـلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صـــلاة ولا نســـك، وليسرى على كتاب الله U في ليلة فلا يبقى في الأرض منـــه آيـــة } [3] ...) [4] .

العلامة الثامنة: طلوع الشمس من مغربها. وقد دلت على هذه الآية النصوص من الكتاب والسنة. قال تعالى: { ôã? Ó9 $kβJ ƒÎ $ş ÿ ßyZ ƒ Ÿw 7 ĥ ‘Ì M»ƒ#ä âÙ è/ ’Îû Pöƒ ôã? Ó9 ... #Žöz $kÈJ ƒÎ þÎ öM6 ¡. ŧ @ö% `Ï öMZB#ä } [5] (الأنعام: ١٥٨). فقد ذهب جمع من المفسرين إلى أن بعض آيات ربك، هي طلوع الشمس من مغربها. قال الطبري بعد ذكره أقوال المفسرين في الآية: (وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رســـول الله r أنه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها) [6] وروى الشيخان من حديث أبي هريرة t أن رسول الله r قال: { لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من

(1) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١) ، الترمذي الفتن (٢١٨٣) ، أبو داود الملاحم (٤٣١١) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٥٥) ، أحمد (٤/٧) .

(2) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١) .

(3) ابن ماجه الفتن (٤٠٤٩) .

(4) سنن ابن ماجه ٢ / ١٣٤٤ ، برقم (٤٠٤٩) ، والمستدرك للحاكم ٤ / ٤٧٣ وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(5) سورة الأنعام آية : ١٥٨ .

(6) تفسير ابن جرير ج٨ / ٩٧ .

مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا } [1] [2] .

العلامة التاسعة: خروج الدابة: وهي مخلوق عظيم قيل إن طولها ستون ذراعًا ذات قوائم ووبر، وقيل هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات وقد دل الكتاب والسنة على خروجها قبل قيام الساعة. قال تعـــالى: } * #Œ)r ì%r $$)Aö Ãã ŠÎŽ& z• ôŸ$ Nç ŠŽ#ž B̈` Ÿ$ Ï @ÉÎ $Z9$ b& ©$ Ö$ ® Zã Øo «$/ $Z#¡ çR ÑqãZ b ¡q bqãZ ÈËÑÈ { [3] (النمل: ٨٢). وروى مسلم عن أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله **r** (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت مـــن قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابـــة الأرض) [4] . وأخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة **t** عن النبي **r** قال: } تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يغمرون فيكم حتى يشـــتري الرجل البعير فيقول ممن اشتريته فيقول: من أحد المخطمين } [5] [6] وقد صحـــح سند الحديث الهيثمي وغيره من المحدثين.

العلامة العاشرة: خروج نار عظيمة تخرج من عدن تحشر النـــاس إلى محشرهم وهي آخر العلامات العظام. وقد دلت على هذه العلامة الســـنة كـــما جاء في حديث حذيفة بن أسيد المتقدم والذي أخرجه مسلم وفيـــه: } وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد

(1) البخاري الرقاق (٦١٤١) ، مسلم الإيمان (١٥٧) .
(2) صحيح البخاري برقم (٤٦٣٦) ، وصحيح مسلم برقم (١٥٧) .
(3) سورة النمل آية : ٨٢ .
(4) صحيح مسلم برقم (١٥٨) .
(5) أحمد (٥/٢٦٨) .
(6) المسند : ٥ / ٢٦٨ .

الناس إلى محشرهم } [1] [2] . وفي رواية مـــن حديث حذيفة { ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس } [3] .

فهذه الأمارات أعظم أشراط الساعة التي تقع قبل قيامها فإذا انقضـــت قامـــت الساعة بإذن الله تعالى وقد ورد أن هذه الأمارات متتابعـــة كتتـــابع الخرز في النظام فإذا ظهرت إحداها تبعتها الأخرى. روى الطـــبراني في الأوسط عن أبي هريرة t عن النبي r قال: { خروج الآيات بعضها علـــى إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام } [4] .

(1) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١) ، الترمذي الفتن (٢١٨٣) ، أبو داود الملاحم (٤٣١١) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٥٥) ، أحمد (٤/٧) .
(2) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١) .
(3) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١) ، الترمذي الفتن (٢١٨٣) ، أبو داود الملاحم (٤٣١١) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٥٥) ، أحمد (٤/٧) .
(4) المعجم الوسيط : ٥/ ١٤٨ ، برقم (٤٢٨٣) .

المبحث الثاني

نعيم القبر وعذابه

وبحث هذا الموضوع يتم من خلال ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأدلة ذلك

الإيمان بنعيـــم القبر لأهل الطاعة وبعذاب القبر لمن كان مستحقا له مـــن أهل المعصية والفجور من أصول الإيمان التي دلت عليهـــا نصوص الكـــتـــاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب على نعيم القبر قول الله تعالى: { ß#ÎMÏo6sVã ª!$# šú ïÏ%©!$# (#qãZtB#uä ÉAöqs)ø9$$Î/ ÏMÎ/$rO9$# Îû Ío4quysø9$# $u‹÷R‘‰9$# †Îûur ÍotÅzFy$# } [1] (إبراهيم: ٢٧)، فدلت الآية علـــى تثبيت الله تعالى للمؤمنين عند السؤال في القبر وما يتبع ذلك من النعيــم. أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي r أنه قال: { إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمـــدا رسول الله فذلك قوله: { ß#ÎMÏo6sVã ª!$# šú ïÏ%©!$# (#qãZtB#uä ÉAöqs)ø9$$Î/ ÏMÎ/$rO9$# } [2] } [3] . ودليل عذاب القبر من القرآن قول الله تعالى: { â‘$¨Z9$# šcqàÊt÷èムöNæköŽn=tæ #xrߐäî $|‹Ï±tãur (tPöqtƒur ãPqà)s? èptã$¡¡9$# (#þqè=Åz÷Šr& tA#uä šcöqtãöÏù £‰x©r& É>#x‹yèø9$# } [4] (غافر: ٤٥، ٤٦)، قال القرطبي: (الجمهور علـــى أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القـــبر). وقـــال

---

(1) سورة إبراهيم آية : ٢٧ .

(2) سورة إبراهيم آية : ٢٧ .

(3) صحيح البخاري برقم (١٣٦٩) .

(4) سورة غافر آية : ٤٥ ، ٤٦ .

الحافــظ ابن كثير: (وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة علــى عذاب البرزخ في القبور) (1) .

كما دل على عذاب القبر من القرآن أيضا قوله تعالى: { šc rš•ãŠ¨ë ÷?ß Nä®ãèä™ 4’n<Î) A>#x‹tã 8LìÏàtã } (2) (التوبة: ١٠١)، فقد استدل بها كثير من الســـلف على عذاب القبر، فعن مجاهد أنه قال في تفسير الآية: (بــالجوع وعـــذاب القبر، قال: " ثم يردون إلى عذاب عظيم " يوم القيامة). وعن قتادة قـــال: (عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم)، وقد استدل بهذه الآية والتي قبلها على عذاب القبر الإمام البخاري في ترجمته للأحـــاديث في عذاب القبر (3) .

وأما ما جاء في السنة من الأدلة على نعيم القبر وعذابه فكثير جدا مـــن ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله r قال: { إن أحدكم إذا مات عرض عليـــه مقعـــده بـــالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمـــن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة } (4) (5) . وفي صحيـــح مسلم من حديث أنس t عن النبي r قال: { لولا أن لا تدافنوا لدعـــوت الله أن يسمعكـــم من عذاب القبر } (6) (7) . والأدلة على هذا

---

(1) تفسير ابن كثير ج٧ / ١٣٦ .

(2) سورة التوبة آية : ١٠١ .

(3) صحيح البخاري باب ما جاء في عذاب القبر ، فتح الباري (٣ / ٢٣١) .

(4) البخاري الجنائز (١٣١٣) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٦) ، الترمذي الجنائز (١٠٧٢) ، النسائي الجنائز (٢٠٧٠) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٧٠) ، أحمد (١١٣/٢) ، مالك الجنائز (٥٦٤) .

(5) صحيح البخاري برقم (١٣٧٩) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٦) .

(6) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٨) ، النسائي الجنائز (٢٠٥٨) ، أحمد (١٧٥/٣) .

(7) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٨) .

كثيرة من الكتـــاب والسنة وقد ذكرت ما يستدل به في إثبات عذاب القبر ونعيمه، والله أعلم.

المطلب الثاني: وقوع نعيم القبر وعذابه على الروح والجسد معا

نعيم القبر وعذابه يكون للروح والبدن جميعا، فتنعم الروح أو تعــذب متصلة بالبدن فيكون النعيم والعذاب عليهما جميعا كما أنه قد تنعم الــروح أو تعذب أحيانا منفصلة عن البدن، فيكون النعيم أو العذاب للروح منفــردا عن البدن. وقد دلت على هذا النصوص وعليه اتفق أهل السنة والجماعــة، خلافا لمن زعم أن عذاب القبر ونعيمه يكون للروح فقط على كل حـــال ولا يتعلق بالبدن.

فمن الأدلة على ذلك حديث أنس بن مالك الذي أخرجه البخـــاري أن رسول الله r قال: { إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنــه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقــول في هـــذا الرجل (لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال لـــه انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعـــا. وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجـــل ؟ فيقــول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضــرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه من غير الثقلين } (1) (2) .

وفي حديث الـــبراء بن عازب الطويل الذي أخرجه أحمـــد وأبـــو داود والحاكـــم وغيرهم مرفوعا للنبي r قال بعد أن ذكر خـــروج الـــروح وصعود روح المؤمن إلى السماء: { فتعاد روحه في جسده فيأتيـــه ملكـــان فيجلسانه فيقولان له من ربك } (3) (1) الحديث، وقد صحـــح هـــذا الحديـــث الحاكـــم وغيره.

---

(1) البخاري الجنائز (١٣٠٨) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٥١) ، أبو داود السنة (٤٧٥١) ، أحمد (٣/١٢٦) .

(2) صحيح البخاري برقم (١٣٣٨) .

(3) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧١) ، الترمذي تفسير القرآن (٣١٢٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٥٧) ، أبو داود السنة (٤٧٥٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٦٩) ، أحمد (٤/٢٨٨) .

فدل الحديثان على وقوع النعيم أو العذاب في القبر على الروح والجسد جميعا ففي قول النبي r { إن العبد إذا وضع في القبر } [2] دلالة ظاهرة على هذا إذ لفظ (العبد) مسمى للروح والجسد جميعا، وكذلك تصريحه بإعادة الروح إلى الجسد عند السؤال كما في حديث البراء بن عازب هذا مع ما جاء في الحديثين من الألفاظ التي هي من صفات الجسد كقوله: { يسمع قرع نعالهم } [3] (فيقعدانه)، { ويضرب بمطارق من حديد } [4] { فيصيح صيحة } [5] ، فإن هذا كله يفيد أن ما يحصل في القبر من النعيم أو العذاب متعلق بالروح والجسد جميعهما.

هذا مع أنه قد جاء في بعض النصوص ما يفيد أن النعيم أو العذاب قد يقع على الروح منفردة في بعض الأحوال على ما جاء في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله r { لما أصيب إخوانكم يعني يوم أحد - جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش } [6] [7] .

فتلخص من هذا أن النعيم والعذاب يقع على الروح والجسد جميعا في القبر وقد تنفرد الروح بهذا أحيانا. قال بعض الأئمة المحققين في السنة في تقرير هذه المسألة: (والعذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم

---

(1) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٨٧ ، وسنن أبي داود ٥/ ٧٥ برقم (٤٧٥٣) ، والمستدرك : ١/ ٣٧- ٣٨ .

(2) الترمذي الجنائز (١٠٤٦) ، أبو داود الجنائز (٣٢١٣) ، أحمد (٢/٢٧) .

(3) البخاري الجنائز (١٢٧٣) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٥١) ، أبو داود الجنائز (٣٢٣١) ، أحمد (٣/١٢٦) .

(4) البخاري الجنائز (١٣٠٨) ، النسائي الجنائز (٢٠٥١) ، أبو داود السنة (٤٧٥١) ، أحمد (٣/١٢٦) .

(5) البخاري الجنائز (١٢٧٣) ، النسائي الجنائز (٢٠٥١) ، أبو داود السنة (٤٧٥١) ، أحمد (٣/١٢٦) .

(6) أبو داود الجهاد (٢٥٢٠) ، أحمد (١/٢٦٦) .

(7) أخرجه أحمد في المسند ١ / ٢٦٦ ، والحاكم في المستدرك ٢ / ٨٨ ، ٢٩٧ ، وصححه ووافقه الذهبي .

النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بـــالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعتـــين كما يكون للروح منفردة عن البدن).

المطلب الثالث: الإيمان بالملكين منكر ونكير

تقدم في مبحث الملائكة ذكر منكر ونكير وأنهما الملكـــان الموكـــلان بسؤال الميت في قبره في معرض الحديث عن وظائف الملائكة. والقصد هنـــا تقرير الإيمان بهما إيمانا مفصلا وما يحصل منهما من فتنة المقبورين إذ تقريـــر هذا هنا فرع عن الإيمان بنعيم القبر وعذابه في الجملة.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على وصف هذين الملكين وسؤالهما أهل القبور بعد الدفن كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن حبـــان عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r { إذا قـــبر الميـــت أو قـــال أحدكـــم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكـــير، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول: ما كان يقول هو عبـــد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذرعا في ســـبعين..، وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري: فيقولان: قـــد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلـــف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك } [(1)] [(2)] . وقـــد دل على سؤال الملكين أيضا حديث أنس المتقدم في المطلب السابق.

فيجب الإيمان بما دلت عليه الأحاديث من اســـم الملكـــين ووصفـــهما وسؤالهما المقبورين وكيفية ذلك وما يجيب به المؤمن وما يجيب به المنـــافق وما يعقب ذلك من النعيم أو العذاب على التفصيل الـــذي جـــاءت بـــه الأحاديث.

وقد اختلف العلماء هل السؤال في القبر خاص بهذه الأمة كما ذهـــب لذلك البعض أم أنه عام في كل الأمم كما هو قول فريق آخر مـــن أهـــل العلم، والذي يظهر من

---

(1) الترمذي الجنائز (١٠٧١) .

(2) سنن الترمذي ٣ / ٣٨٣ ، برقم (١٠٧١) ، وقال حديث حسن غريب والإحسان في تقرير ب صحيح ابن حبان : ٧ / ٣٨٦ ، برقم (٣١١٧) .

النصوص عدم اختصاص هذه الأمة به بل هو عـــام في كل الأمم وعلى هذا أكثر المحققين من أهل العلم والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث

الإيمان بالبعث

الإيمان بالبعث من أعظم أصول الإيمان في هذا الدين وهو مشتمل علـــى جوانب متعددة مما دلت عليه النصوص في هذا الباب، وسيكون بحثه هنـــا من خلال عدة مطالب تجلي حقيقته وتبرز أهمية الإيمان به وما يجب علـــى المؤمن أن يؤمن به من أحواله وأحداثه:

المطلب الأول: معنى البعث وحقيقته

البعث في كلام العرب يأتي على وجهين:

أحدهما: الإرســـال، ومنـــه قولـــه تعـــالى: { ß©è/ $Y¯è/ :`B NÙd‰è/ qB Ó›4 } [1] (الأعراف: ١٠٣)، أي: أرسلنا.

والثـــاني: الإثارة والتحريك، تقول بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثـــار، ومنـــه بعث الموتى وذلك بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم. قال تعـــالى: { ß©è/ Nä»Y¯è/ B -Æ ‰è/ qB Nä3Ïò } [2] ... الآية (البقرة: ٥٦) أي: أحييناكـــم.

والبعث في الشرع: هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم.

وحقيقة البعث: أن الله تعالى يجمع أجساد المقبورين التي تحللت ويعيدهـــا بقدرته كـــما كانت ثم يعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى محشـــرهم لفصـــل القضاء. قال تعالى:

---

(1) سورة الأعراف آية : ١٠٣ .

(2) سورة البقرة آية : ٥٦ .

$d'±ß üt ¼çÏ$$kŽÏó ã@©è ÇÐÑÈ ÒŠÏB‘ ‘ Ér N»àÏë$#ŠÖõã `B A$½ ¼çq)ùz ÓÅRr W/B $Y9 >ŽŸÑr }

.(يس: ٧٨، ٧٩) [1] { ÇÐÒÈ ÒŠî æ @ä z è3Î qèr ,8B Aï&

وعن حذيفة t أنه قال: قال رسول الله r { إن رجلًا حضره المــــوت لما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا مت فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا ثم أوروا نارًا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فخذوها فاطحنوها فــــذروني في اليم في يوم حار أو راح فجمعه الله فقال: لم فعلت ؟ قال: خشيتك، فغفــــر له } [2] [3] .

فدلــــت الآية والأحاديث على أن الله تعالى يعيد الأجساد نفسها ويجمــــع رفاتها المتحلل حتى تعود كما كانت فيعيد إليها أرواحها فسبحان مــــن لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير.

وقد جاء في السنة بيان كيفية البعث وأن الله يترل إلى الأرض مــــاءً فينبت به أهل القبور كما ينبت العشب وقد دل على ذلــــك حديــــث أبي هريرة الذي أخرجه الشيخان { أن رسول الله r قال: (ما بــــين النفختــــين أربعون) قال: أربعون يومًا. قال: أَبَيْت، قال: أربعون شهرًا ؟ قال: أبيــــت، قال: أربعون سنة ؟ قال: أبيت، قال: (ثم ينــــزل الله من السماء ماء فينبتــــون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا، وهــــو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة } [4] [5] . فقد دل هذا الحديث على كيفية البعث وأن أهل القبور يبقون في قبورهم أربعين بين النفختين وهمــــا نفخة الإماتة ونفخة البعث و لم يجزم الراوي بتحديد الأربعين ما هي وهــــل المراد

---

(1) سورة يس آية : ٧٨ ، ٧٩ .

(2) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٩٢) ، النسائي الجنائز (٢٠٨٠) .

(3) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٩) .

(4) البخاري تفسير القرآن (٤٦٥١) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٥٥) ، النسائي الجنائز (٢٠٧٧) ، أبو داود السنة (٤٧٤٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٦٦) ، أحمد (٢/٣١٥) ، مالك الجنائز (٥٦٥) .

(5) صحيح البخاري برقم (٤٩٣٥) ، وصحيح مسلم برقم (٢٩٥٥) .

أربعون يومًا أو شهرًا أو سنة على أنه جاء في بعض الروايات أنها أربعون سنة. ثم إذا أراد الله بعث الخلائق أنزل مطرًا من السماء. جاء في بعض الروايات أنه مثل مني الرجال فينبت أهل القبور من ذلك الماء كما ينبت العشب بعد أن فتت أجسادهم إلا عجب الذنب وهذا بخلاف الأنبياء فإن أجسادهم لا تبلى كما تقدم تقريره فتبين بهذا حقيقة البعث ووقته وكيفيته والله أعلم.

المطلب الثاني: أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر

دَلّ الكتابُ والسنة على بعث الله تعالى للأموات وجاء تقريره في مواطن كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله r .

فمن الكتاب قوله تعالى: { §Nè Nã»Y¨è/ Ï -Æ ‰èd/ NäïöqB Nàè6 ªë9 brãäê@ ÇÌÎÈ } [1] (البقرة: ٥٦)، وقوله U { $B Nä3àz wr Nä3èè/ wÎ) §øZY2 ¸oy‰Ïnºr ©b) $bÎ) } [2] (لقمان: ٢٨)، وقوله تعالى: { –Nã$#‰ïû .ÏŒy‰ t`©b`#§ã è¤qè ©ë@/ 4?/ ‹ìçÏ7/ ìâÅ¬7 ÇÐÈ } [3] (التغابن: ٧).

ومن السنة حديث أبي هريرة t عن النبي r أنه قال: { لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله قال: ثم ينفخ فيه مرة أخرى فأكون أول من بعث أو في أول من بعث فإذا موسى آخذ بالعرش } [4] ..) [5] . وفي حديث أبي سعيد الخدري t في الصحيحين:

---

(1) سورة البقرة آية : ٥٦ .

(2) سورة لقمان آية : ٢٨ .

(3) سورة التغابن آية : ٧ .

(4) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٣٣) ، مسلم الفضائل (٢٣٧٣) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٢٤٥) ، أبو داود السنة (٤٦٧١) ، أحمد (٢/٢٦٤) .

(5) صحيح البخاري برقم (٣٤١٤) ، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٣) ، وغيرهما .

{ فـــأكون أول مـــن تنشـــق عنـــه الأرض } [1] [2]. فدل الحديثان على بعث الله تعالى للأموات يوم القيامـــة مـــن قبـــورهم إلى أرض المحشـــر وفيهمـــا فضيلـــة للنبي r لكونه أول مـــن يبعث.

كما دل النظر الصحيح على تقرير البعث وذلك أن البعث هو إعـــادة للخلق ومعلوم لكل عاقل أن الإعادة للشيء أهون من إنشائه وابتدائه ولهـــذا قال الله تعالى في كتابه مقررًا للبعث ووقوعه بإبداء خلق الإنسان ونشـــأته الأولى وبأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة من بـــاب أولى، فقال المعترض على البعث كما حكى الله عنه: { B`ãÕÊ ÇÈ ÒšB' 'Ér N»àÉ$ } [3] (يس: ٧٨)، قال تعالى: { è@è ãÍšZk$$%© ü± 'd$ rA B$9 ... } [4] (يس: ٧٩)، وقال تعـــالى: { rèdq $%© " ‰à7ƒ ,ÜÈ ãÎ‹<ç‰ãqd r qd Ùc ãøn } [5] (الروم: ٢٧). فهذا دليل شرعي عقلـــي من كتاب الله للرد على كل معاند مكذب بالبعث، وهو دليل لا يســـتطيع رده.

المطلب الثالث: الحشر

دلت النصوص على حشر العباد بعد بعثهم إلى أرض المحشر حفاة عـــراة غرلا قال تعالى: { mr ŽR»³ ÙNg ö=Ù ÙNgŠ ö$ óÉ n% #ÇÍÈ } [6] (الكهف: ٤٧)، وقـــال تعالى: {

---

(1) البخاري الخصومات (٢٢٨١) .
(2) صحيح البخاري برقم (٢٤١٢) ، وصحيح مسلم برقم (٢٢٧٨) .
(3) سورة يس آية : ٧٨ .
(4) سورة يس آية : ٧٩ .
(5) سورة الروم آية : ٢٧ .
(6) سورة الكهف آية : ٤٧ .

(إبراهيم: [1] { ÇÍÌÈ í$£)Ø$ ‰ïn°qØ$ ﴿ řrã•/r ßØ°q»J¡¡9$ Çڈ öR{ $ Žöî ÞÚ öR{ $ ãA£‰7è Pöqtƒ }
٤٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله r يقول: { يحشـــر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلا [2]) قلت: يا رسول الله! النساء والرجـــال جميعًا، ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال r (يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض } [3] .

وهذا الحشر عام لجميع الخلائق. وقد دلت النصوص أن هناك حشـــرا آخر إما في الجنة وإما في النار فيحشر المؤمنون إلى الجنة وفدا والوفد هـــم القائمون الركبان. قال تعـــالى: { ÇÍÌÈ #‰ùr Ç»Hq§9$ ’<Î) ûüÉ)GßJø9$ çŽà±øtwU Pöqtƒ } [4] (مريم: ٨٥).

أخرج الطبري عن علي t في قولـــه تعـــالى: { #‰ùr Ç»Hq§9$ ’<Î) ûüÉ)GßJø9$ çŽà±øtwU Pöqtƒ ÇÍÌÈ } [5] قال: (أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحـــال الذهـــب، وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة) [6] . وأما الكفـــار فإنهم يحشرون إلى النار على وجوههم عميا وبكما وصما. قـــال تعـــالى: { ©‰$%ù î ÷rÍ¬ø îû £s rÓ r£ãÖ Îd4ã 4¿Ûq ãŠ _gNÿé r»¯ í •š @ }

---

(1) سورة إبراهيم آية : ٤٨ .

(2) غرلا : غير مختونين .

(3) متفق عليه : صحيح البخاري برقم (٦٥٢٧) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٩) .

(4) سورة مريم آية : ٨٥ .

(5) سورة مريم آية : ٨٥ .

(6) تفسير الطبري (٨ / ٣٨٠) .

{ ÇÌÍÈ W‹ô™ @Ê&r $Z3B }[1] (الفرقان: ٣٤). قال تعالى: { 4?ã þJ»ŠÉ0$Pöj Nèdçã tÜr } (الإسراء: ٩٧)[2].

{ $tÜß r $Vßç $Šõã Nèdqä ã }

المطلب الرابع: الحوض، صفته وأدلته

الحوض مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد r في المحشر يرده هو وأمتـــه. جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلـــى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطولـــه سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد ماؤه من الجنة، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وآنيته كعـــدد نجوم السماء.

وقد دل على ثبوت الحوض وأنه حق كثير من الأحاديث الصحيحة ذكر بعض المحققين أنها تبلغ حد التواتر ورواها عن النبي r بضعة وثلاثـــون صحابيًّا. منها حديث أنس بن مالك أن رسول الله r قـــال: { إن قـــدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجـــوم السماء }[3] [4] . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قـــال رســـول الله r { حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب مـــن المسك، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبدًا }[5] [6] .

---

(1) سورة الفرقان آية : ٣٤ .

(2) سورة الإسراء آية : ٩٧ .

(3) البخاري الرقاق (٦٢٠٩) ، مسلم الفضائل (٢٣٠٣) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٤٢) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٤) ، أحمد (٣/٢٣٠) .

(4) متفق عليه ، صحيح البخاري برقم (٦٥٨٠) ، وصحيح مسلم برقم (٢٣٠٣) .

(5) البخاري الرقاق (٦٢٠٨) ، أحمد (٢/ ١٦٣) .

(6) متفق عليه ، صحيح البخاري برقم (٦٥٧٩) ، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٢) .

والحوض يكون في أرض المحشر ويمد ماؤه من الكوثر وهو نهـــر آخـــر أعطاه الله لنبينا r في الجنة قال تعـــالى: { ÇÊÈ •ø0öqs3ø9$# š•»oYøŠsÜôãr& !$¯RÎ) }[1] (الكوثر: ١). وقـــد اختلف أهل العلم في الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر فقيل المـــيزان قبل، وقيل: الحوض. والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبي: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم.

المطلب الخامس: الميزان صفته وأدلته

مما يجب الإيمان به في أحداث اليوم الآخر: الميزان. وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، توزن فيه أعمال العباد فيرجح بمثقال ذرة من خير أو شـــر، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان.

قال تعالى: { ßìŸÒtRur tûïÎ—ºuqyJø9$# xÝó¡É)ø9$# ÏQöqu‹Ï9 ÏpyJ»uŠÉ)ø9$# Ÿxsù ãNn=ôàè? Ó§øÿtR $\«ø‹x© }[2] .. الآية (الأنبـــياء: ٤٧)، وقال U: { $¨Br'sù .`tB ôMn=à)rO ¼çmãZƒÎ—ºuqtB ÇÏÈ uqßgsù 'Îû 7puŠÏ©Šå #ÏpŠÅÊ#§‘ ÇÐÈ $¨Br&ur ô`tB ôM¤ÿyz ¼çmãZƒÎ—ºuqtB ÇÑÈ ¼çmBé'sù ×puƒÍr$yd ÇÒÈ }[3] (القَارعة: ٦-٩). وأخرج الشيخان عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r { كلمتـــان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في المـــيزان ســـبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم }[4] [5].

وروى الإمام أحمد والحاكم وغيرهما عـــن ابن مسعود t { أنه تسلق أراكة وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفـــؤه (أي تحركه) فضحك القوم فقال رسول الله r (مم

---

(1) سورة الكوثر آية : ١ .

(2) سورة الأنبياء آية : ٤٧ .

(3) سورة القارعة آية : ٦ - ٩ .

(4) البخاري التوحيد (٧١٢٤) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٤) ، الترمذي الدعوات (٣٤٦٧) ، ابن ماجه الأدب (٣٨٠٦) ، أحمد (٢/٢٣٢) .

(5) صحيح البخاري برقم (٧٥٦٣) ، وصحيح مسلم برقم (٢٦٩٤) .

تضحكون ؟) قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه. فقال: (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان مــن أحد) } [1] [2] صححه الحاكـــم ووافقه الذهبي.

والذي يوزن في الميزان ثلاثة، وقد دلت على ذلك النصوص:

١ - الأعمال، فقد ثبت أنها تجسم وتوزن في الميزان ودل عليه حديـــث أبي هريرة السابق: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن...) الحديث.

٢ - صحف الأعمال، وقد دل على ذلك حديث عبد الله بن عمـــرو بن العاص أن رسول الله r قال: { إن الله سيخلص رجلا من أمتي علـــى رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تَسعة وتسعين سجلا كل ســـجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحـــافظون ؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة ؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلـــم عليـــك اليوم فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رســـول الله، فيقول: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم } [3] [4] .

٣ - العامل نفسه، وقد دل على وزنه قوله تعـــالى: { $Z¯r þJ»š]ÏG$Pöÿ Ný; ãÙÉ ×ù Ç¨ÎÈ } [5] (الكهف: ١٠٥)، وكذلك حديث عبد الله بـــن مســـعود السابق وأن ساقيه في الميزان أثقل من أحد.

---

(1) أحمد (٤٢١/١) .

(2) مسند الإمام أحمد ١ / ٤٢٠- ٤٢١ ، والمستدرك ٣ / ٣١٧ .

(3) الترمذي الإيمان (٢٦٣٩) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٠) ، أحمد (٢١٣/٢) .

(4) أخرجه أحمد في المسند ٢ / ٢١٣ وقوله (بسم الله) أي مع اسم الله ، والترمذي في السنن ٥ / ٢٤-٢٥ ، برقم (٢٦٣٩) والحاكم في المستدرك ١/ ٦ ، ٥٢٩ وصححه ووافقه الذهبي .

(5) سورة الكهف آية : ١٠٥ .

المطلب السادس: الشفاعة، تعريفها وأنواعها وأدلتها

الشفاعة في اللغة: الوسيلة والطلب. وفي العرف: سؤال الخير للغير.

والشفاعة عند الله: سؤال الله التجاوز عن الذنوب والآثام للغير.

وحقيقتها أن الله تعالى بلطفه وكرمه يأذن يوم القيامة لبعض الصالحين من خلقه من الملائكة والمرسلين والمؤمنين أن يشفعوا عنده في بعض أصحاب الذنوب من أهل التوحيد إظهارًا لكرامة الشافعين عنده ورحمة بالمشفوع فيهم.

ولا تصح الشفاعة عند الله تعالى إلا بشرطين:

أحدهما: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: { `B ‘‰$#Œ ßÿè„ ÿ‰ZÏã ûwÎ) ¾ÏmÏRøŒÎ*Î/ } [1] (البقرة: ٢٥٥). وقوله تعالى: { ûwr ßÿZ? è»yè¤±9$# ÿ‰ZÏã ûwÎ) ô`JÏ9 šc ŒÏr& ¼çms9 } [2] (سبأ: ٢٣).

الثاني: رضا الله عن المشفوع له أن يشفع فيه، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: { ûwr šcqãèxÿô±tƒ ûwÎ) Ç`yJÏ9 4Ó|Ót?ö‘$# } [3] (الأنبياء: ٢٨). وقد دلت النصوص أن الله لا يرضى أن يشفع إلا في أهل التوحيد لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله **r** { لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا } [4] [1]. وقال تعالى في الكفار: { $Jù ßgãèxÿZ? èpyè»xÿx© tûüÏèÏÿ»¤±9$# } [2] (المدثر: ٤٨).

---

(1) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(2) سورة سبأ آية : ٢٣ .

(3) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .

(4) البخاري الدعوات (٥٩٤٥) ، مسلم الإيمان (١٩٩) ، الترمذي الدعوات (٣٦٠٢) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٧) ، أحمد (٢/٤٢٦) ، مالك النداء للصلاة (٤٩٢) ، الدارمي الرقاق (٢٨٠٥) .

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الشفاعة عند الله يـــوم القيامة. أما الكتاب فقد تقدم ذكر بعضها، وأما من السنة فالأحـــاديث في إثبات الشفاعة كثيرة منها حديث أبي سعيد الخدري t أن رســـول الله r قال (.. { فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيـــون وشـــفع المؤمنون و لم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط } [3] [4].

والأحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة جدًّا وقد صرح الأئمـــة المحققـــون بتواترها واشتهارها في كتب الصحاح والمسانيد. ففي الصحيحين: { يُخـــرج من النار من كان في قلبه حبة من خردل من إيمان } [5] [6].

أقسام الشفاعة:

والشفاعة تنقسم من حيث القبول والرد إلى قسمين: مردودة وهي ما فقدت أحد شروط الشفاعة السابقة، ومقبولة وهي ما تحققت فيها شـــروط الشفاعة. وقد ثبت لنبينا محمد r منها ثمانية أنواع، وهي:

١ - الشفاعة العظمى وهي شفاعته r في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم وهي المقام المحمود وهذه الشفاعة مما اختص بها نبينا r على غيره مـــن الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

٢ - شفاعته r في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلـــوا الجنة.

٣ - شفاعته في أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها.

---

(1) صحيح مسلم برقم (١٩٩) .

(2) سورة المدثر آية : ٤٨ .

(3) مسلم الإيمان (١٨٣) .

(4) رواه الإمام أحمد في المسند ٣ / ٩٤ ، وعبد الرزاق في المصنف ١١ / ٤١٠ برقم (٢٠٨٥٧) .

(5) البخاري الإيمان (٢٢) ، مسلم الإيمان (١٨٤) .

(6) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٩) ، في حديث طويل ، وصحيح مسلم برقم (١٨٤) .

٤ - شفاعته r رفع درجات أهل الجنة في الجنة.

٥ - شفاعته r في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

٦ - شفاعته r في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه كشفاعته في عمـــه أبي طالب.

٧ - شفاعته r في أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخول الجنة.

٨ - شفاعته r في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرج منها.

وقد دلت النصوص الصحيحة على هذه الأنواع كلها وهي مبســـوطة في مواضعها من كتب السنة والاعتقاد. وهذه الأنواع منها ما هو خاص بـــالنبي r كالشفاعة العظمى وشفاعته في عمه أبي طالب وشفاعته في أهل الجنـــة أن يدخلوها ومنها ما يشاركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين كالشـــفاعة في أهل الكبائر وغيرها من الأنواع الأخرى على اختلاف بين أهل العلم في اختصاصه ببعضها من عدمه، والله تعالى أعلم.

المطلب السابع: الصراط، صفته وأدلته

الصراط في اللغة: الطريق الواضح.

وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون وهـــو طريق أهل المحشر لدخول الجنة. وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة علـــى إثبات الصراط.

قال تعالى: } bÎr žwÎ) öNä3ZÏB $dßŠÍ‘#r 4 b%. 4?ã 7n‘ $VJ÷Fm $B ÇÊÊÈ ZçSè $ÓÉ ?$ûïÏ%©!$ (q)ãƒ ÇÊÊÈ $ŠÏWÅ $kŽÏù šú üÏJÎ»©à9$ â‘‹R {[1] (مريم: ٧١، ٧٢) ذهـــب أكـــثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا: المرور على الصراط وهو منقول عـــن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار وغيرهم.

(1) سورة مريم آية : ٧١ ، ٧٢ .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري t وهو حديث طويـــل في الرؤية والشفاعة وفيه عن رسول الله r أنه قال: (.. { ثم يؤتى بالجســـر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجـــد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق، وكالريح وكأجـــاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جـــهنم يمـــر آخرهم يسحب سحبا } [1] [2].

وقد جاء وصف الصراط في نصوص كثيرة وملخص ما جاء فيها أنـــه أدق من الشعر وأحد من السيف دحض مزلة لا تثبت عليه قدم إلا من ثبته الله وأنه ينصب في ظلمة فيعطى الناس أنوارا على قدر إيماهم ويمرون فوقه على قـــدر إيماهم على ما جاء في الحديث السابق.

المطلب الثامن: الجنة والنار، صفتهما وكيفية الإيمان بـــهما وأدلة ذلك

مما يجب اعتقاده والإيمان به الجنة والنار.

والجنة هي دار الثواب لمن أطاع الله وموضعها في السماء السابعة عنـــد سدرة المنتهى. قال تعالى: { #ÿ rü(#$pèZ_ $d%Yä ÇîÈ 4 gFZ(#$ó'%Å %Zä ÇîÈ 3' •z é»!"R ç#ä' %)9r ÇîÈ } [3] (النجم: ١٣-١٥)، والجنة مائة درجة بين كل درجـــة والأخرى كما بين السماء والأرض كما جاء في صحيح البخـــاري مـــن حديث أبي هريرة عن رسول الله r أنه قال: { إن في الجنة مائـــة درجـــة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين

(1) البخاري التوحيد (٧٠٠٢) ، مسلم الإيمان (١٨٣) .

(2) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٩) ، وصحيح مسلم برقم (١٨٣) ، واللفظ للبخاري .

(3) سورة النجم آية : ١٣ - ١٥ .

الدرجتين كما بـــين الســـماء والأرض } [1] [2] . وأعلى الجنة الفردوس الأعلى وفوقه العرش ومنه تتفجر أنهـــار الجنة كما جاء في حديث أبي هريرة السابق عن النبي r قال: { فإذا ســـألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنـــه تفجر أنهار الجنة } [3] . وللجنة ثمانية أبواب كما جاء في حديث سهل بن ســـعد t في صحيح البخاري عن النبي r أنه قال: { في الجنة ثمانية أبواب فيـــها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون } [4] [5] وقد أعد الله لأهل الجنة فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأما النار فهي دار العقاب الأبدي للكافرين والمشركين والمنافقين النفاق الاعتقادي، ولمن شاء الله من عصاة الموحدين بقدر ذنوبهـــم ثم مـــآلهم إلى الجنة. كـــما قال تعالى: { ßâ$±„ `J÷ 7Ï9ºŒ brß $B ãÏÿøótƒ ur ¾ÏmÎ/ 8Žx8ô³ç b& ãÏÿøótƒ Ÿw ©!$# bÎ) } [6] (النساء: ٤٨)

وموضعها في الأرض السابعة كذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما. وللنار دركات بعضها أسفل من بعض، قال عبد الرحمـــن بـــن أسلم: (درجات الجنة تذهب علوا ودرجات النار تذهب سفولا، وأســـفل الدركات هي دار المنافقين كما قال تعالى: { ÍÑ$Z9$# `ÏB È@xÿó™F{$# Ïø.u‘$!$# ’Îû tûüÉ)Ïÿ»uZßJø9$# bÎ) } [7] ... الآية (النساء: ١٤٥)، وللنار سبعة

(1) البخاري الجهاد والسير (٢٦٣٧) ، أحمد (٢/٣٣٥) .
(2) صحيح البخاري برقم (٢٧٩٠) .
(3) البخاري التوحيد (٦٩٨٧) ، أحمد (٢/٣٣٥) .
(4) البخاري بدء الخلق (٣٠٨٤) ، مسلم الصيام (١١٥٢) ، الترمذي الصوم (٧٦٥) ، النسائي الصيام (٢٢٣٦) ، ابن ماجه الصيام (١٦٤٠) ، أحمد (٥/٣٣٥) .
(5) صحيح البخاري برقم (٣٢٥٧) .
(6) سورة النساء آية : ٤٨ .
(7) سورة النساء آية : ١٤٥ .

أبواب، قال تعالى: { ÇÎÍÈ ÞqÝ¨B Ö÷ã Ný6B 5>$/ ÷èai 5>ºqö/ pèÏó™ $l; } [1] (الحجر: ٤٤)، ونار الدنيا جـــزء مـــن سبعين جزءا من نار جهنم على ما جاء في حديث أبي هريرة الذيَ أخرجـــه الشيخان عن النبي r قال: { ناركـــم جزء من سبعين جـــزءا مـــن نـــار جهنم } [2] [3] .

والإيمان بالجنة والنار يتحقق بثلاثة أمور:

الأول: الاعتقاد الجازم بأنهما حق وأن الجنة دار المتقـــين والنـــار دار الكافرين والمنافقين. قال تعالى: { Nê¶ãqè¯ Mg¤Z¨ $J¯ä #Y$R öNÍkÎÎÁçR $ö™ $Zö»f$«Î ¡rãÿ. ûïÏ%©!$ b̈) ¡qèÜãr ¡qª=#ä ûïÏ%©!$ ÇÎÏÈ $VJŠÅ3m #·ƒÍ•ã b̈%. ©!$žc Î) >#‹è¯$¡qè%ä‹Ï9 $dŽöî #Šqè¯ Nßg»Z¨©/ #%ß/& $kŽÏù ûïÏ$Î»z äk»yF{$ $kÉJøtB `Ï “̈ÌgB M»Y_ óOßgè=Åz ô‰ãZ™ ÏM»sÎ»¢Á9$ } [4] (النساء: ٥٦، ٥٧).

الثاني: اعتقاد وجودهما الآن. قال تعالى في الجنـــة. { ûüÉ)GßJù=Ï9 ôN£‰ãé& ÇÌÌÈ } [5] (آل عمران: ١٣٣)، وقال تعالى في النار: { ûïÌÿ»3ù=Ï9 ôN£‰ãé& ÇËÍÈ } [6] (البقرة: ٢٤)، وجاء في الصحيحين من حديث عمران بن حصين عن النبي r

---

(1) سورة الحجر آية : ٤٤ .

(2) البخاري بدء الخلق (٣٠٩٢) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٣) ، الترمذي صفة جهنم (٢٥٨٩) ، أحمد (٢/٣١٣) ، مالك الجامع (١٨٧٢) ، الدارمي الرقاق (٢٨٤٧) .

(3) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٥) ، وصحيح مسلم برقم (٨٧١) .

(4) سورة النساء آية : ٥٦ ، ٥٧ .

(5) سورة آل عمران آية : ١٣٣ .

(6) سورة البقرة آية : ٢٤ .

أنه قال: { اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكـــثر أهلـــها النساء } [1] [2] .

الثالث: اعتقاد دوامهما وبقائهما وأنهما لا تفنيان ولا يفنى من فيـــهما. قال تعالى في الجنة: { ÇÑÖÈ äàèø$ãqy9ø$ 7 9ºŒ $kŽÏù ûïÏ$Î#» z } [3] (النساء: ١٣)، وقال تعالى عن النار: { ÇËÌÈ #‰/& $kŽÏù ûïÏ$Î#» z OYg_ ‘$R ¼ç9 bÎû ¼ã&qß™‘r ©!$ ÆÈ èf `Br } [4] (الجن: ٢٣).

والمقصود من المعصية هنا الكفر، لتأكيد الخلود في النـــار بالتأبيد، قال القرطبي قوله (أبدا) دليل على أن العصيان هنا هو الشـــرك [5] . وروى الشيخان من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رســـول الله r قال: { يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينـــهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيمـــا هـــو فيه } [6] [7] .

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات عظيمة في حياة المؤمن من أهمها:

١ - الحرص على طاعة الله رغبة في ثواب ذلك اليوم والبعد عن معصيتـــه خوفا من عقاب ذلك اليوم.

---

(1) البخاري بدء الخلق (٣٠٦٩) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٣٨) ، الترمذي صفة جهنم (٢٦٠٣) ، أحمد (٤/٤٣٧) .

(2) صحيح البخاري برقم (٣٢٤١) ، وصحيح مسلم برقم (٢٧٣٨) مختصرا بمعناه ، واللفظ للبخاري .

(3) سورة التوبة آية : ٨٩ .

(4) سورة الجن آية : ٢٣ .

(5) القرطبي ١٩ / ٢٧ ، وفتح القدير ٥ / ٣٠٧ .

(6) البخاري الرقاق (٦١٧٨) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٥٠) .

(7) صحيح البخاري برقم (٦٥٤٤) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٠) ، واللفظ لمسلم .

٢- تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

٣- استشعار كمال عدل الله تعالى حيث يجازي كلا بعمله مع رحمته بعباده.

الفصل الخامس

الإيمان بالقضاء والقدر ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوهما مع بيان الفرق بينهما.

المبحث الثاني: مراتب القدر.

المبحث الأول

تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوتهما

مع بيان الفرق بينهما

تعريف القضاء والقدر:

القضاء لغة: الحكـــم والفصل.

وشرعا: هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعـــدام أو تغيير.

والقدر: مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحطت بمقداره.

والقدر في الشرع: هو ما قدره الله تعالى في الأزل، أن يكون في خلقـــه بناء على علمه السابق بذلك.

الفرق بين القضاء والقدر:

ذكر العلماء في التفريق بين القضاء والقدر. أن القدر: هو تقدير لشـــيء قبل قضائه. والقضاء هو الفراغ من الشيء. ومن الشواهد التي ذكرها أبـــو حـــاتم للتفريق بين القضاء والقدر أن القدر منـــزلة تقدير الخياط للثوب فهو قبل أن يفصله يقدره فيزيد وينقص فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاتـــه التقدير. وعلى هذا يكون القدر سابقا للقضاء. قال ابن الأثير: (فالقضـــاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمترلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنـــزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصـــل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه).

والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى فأصبح لكل منـــهما معنى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنى الآخر. ذكر ذلـــك بعض أهل العلم.

الأدلة على إثبات القدر:

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان وقد دلت الأدلة مـــن الكتـــاب والسنة على إثباته وتقريره.

فمن الكتاب قول الله تعالى: { ÇÍÎÈ 9‰)Ï ‡çŸ»ø=z äóô« @ä $RÎ) } (1) (القمر: ٤٩)، وقوله تعالى { ÇÌÑÈ #'‘r‰ø)B #Y‰% ‹!$# ãøBr& b%.r } (2) (الأحزاب: ٣٨) وقوله تعالى { ,=zr @à2 «äóô)ù ‰s‘¼çn ‰ƒÏø)s? #\ÇËÈ } (3) (الفرقان: ٢).

وأما السنة فقد دلت كذلك على إثبات القدر في أحاديث كثيرة منها حديث جبريل وسؤاله للنبي r عن أركان الإيمان فذكر منها: { الإيمان بالقدر خيره وشره } (4) وقدم تقدم الحديث بنصه في مبحث الملائكة. وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله r يقول: { كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وقال: وكان عرشه على الماء } (5) (6) .

والإيمان بالقدر محل إجماع الأمة من الصحابة ومن بعدهم. أخرج مسلم في صحيحه عن طاوس أنه قال: (أدركت ناسا من أصحاب رسول الله r يقولون كل شيء بقدر). قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله r { كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز } (7) (8) والكيس: ضد العجز وهو النشاط والحذق بالأمور.

---

(1) سورة القمر آية : ٤٩ .

(2) سورة الأحزاب آية : ٣٨ .

(3) سورة الفرقان آية : ٢ .

(4) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (١/٢٨) .

(5) مسلم القدر (٢٦٥٣) ، الترمذي القدر (٢١٥٦) ، أحمد (٢/١٦٩) .

(6) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) .

(7) مسلم القدر (٢٦٥٥) ، أحمد (٢/١١٠) ، مالك الجامع (١٦٦٣) .

(8) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٥) .

قال الإمام النووي: (تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى).

المبحث الثاني

مراتب القدر

للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم. وهي:

المرتبة الأولى: علم الله بكل شـــيء مـــن الموجـــودات والمعدومـــات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علمًا فعلم ما كان وما يكون ومـــا لم يكن لو كان كيف يكون. وقد دل على ذلك قوله تعالى: { Þ%n& ô‰s% ©!$#br&ur ÖƒÏs% &äóÓx« Èe@ä. 4'n?tã ©!$# ¨br& (#þqßJn=÷èFÏ9 ÇËÊÈ $RJù=Ïã &äóÓx« Èe@ä3Î/ } [1] (الطلاق: ١٢).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قـــال: { سئل النبي r عن أولاد المشركين فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين } [2] [3] .

المرتبة الثانية: كتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام الســـاعة. قال تعـــالى: { ö@s9r& öNn=÷ès? ¨br& ©!$# ãNn=÷ètƒ $tB Îû Ïä!$yJ¡¡9$# ÇÚö‘F{$#ur 3 ¨bÎ) y7Ï9ºsŒ Îû A=»tFÏ. 4 ¨bÎ) y7Ï9ºsŒ n?tã «!$# ×ŽÅ¡o„ ÇÐÉÈ } [4] (الحج: ٧٠). وقال تعـــالى: { ¨@ä.ur >äóÓx« çm»uZø‹|Áômr& þÎû 5Q$tBÎ) &ûüÎ7B ÇÊËÈ } [5] (يس: ١٢).

ومن السنة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المتقدم في كتابة الله مقادير الخلائق قبل خلـــق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

---

(1) سورة الطلاق آية : ١٢ .

(2) البخاري القدر (٦٢٢٤) ، مسلم القدر (٢٦٦٠) ، النسائي الجنائز (١٩٥١) ، أبو داود السنة (٤٧١١) ، أحمد (٣٥٨/١) .

(3) صحيح البخاري برقم (١٣٨٤) ، وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٩) .

(4) سورة الحج آية : ٧٠ .

(5) سورة يس آية : ١٢ .

المرتبة الثالثة: المشيئة فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكــن. قـــال تعالى: { $JR̂ ÿyṑBx $¨Rr& #Œ) ¨ä$# br& ̂ A¨q9 ä¼ä` ä³ùq¨ä ÇËÈ } [1] (يس: ٨٢). وقال تعالى: { $Br bräā±̂ b& Wω ‹ ª! $ä$±„ b& ‹ ¾=è$# ÿiÜ šú ÇËÈ } [2] (التكوير: ٢٩). وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة **t** عن النبي **r** قال: { لا يقولن أحدكـــم اللهم اغفر لي إن شئت! اللهم ارحمني إن شئت! ليعزم في الدعاء فـــإن الله صانع ما شاء لا مكره له } [3] [4] .

المرتبة الرابعة: خلق الله تعالى للأشياء وإيجادها وقدرته الكاملة علـــى ذلك فهو سبحانه خالق لكل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكـــل ساكن وسكونه. قال تعالى: { $ ª! z »ß 2à@è « äó̂ qèr 4?ã @è « äó̂ r ‹ Ï.ã® ÇËÈ } [5] (الزمر:٦٢). وقال تعالى: { $ ª! {=)ä öè $Br bqè?è=J ÇËÈ } [6] (الصافـــات: ٩٦). وروى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين عن النبي **r** : { كان الله و لم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شـــيء وخلق السماوات والأرض } [7] [8] .

(1) سورة يس آية : ٨٢ .

(2) سورة التكوير آية : ٢٩ .

(3) البخاري التوحيد (٧٠٣٩) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٩) ، الترمذي الدعوات (٣٤٩٧) ، أبو داود الصلاة (١٤٨٣) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٥٤) ، أحمد (٢/٤٥٨) ، مالك النداء للصلاة (٤٩٤) .

(4) صحيح البخاري برقم (٦٣٣٩) ، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٩) ، واللفظ لمسلم .

(5) سورة الزمر آية : ٦٢ .

(6) سورة الصافات آية : ٩٦ .

(7) البخاري بدء الخلق (٣٠٢٠) .

(8) صحيح البخاري برقم (٣١٩١) .

فيجب الإيمان بهذه المراتب الأربع لتحقيق الإيمان بالقدر ومن أنكر شيئًا منها لم يحقق الإيمان بالقدر. والله تعالى أعلم.

ثمرات الإيمان بالقدر:

لتحقيق الإيمان بالقدر أثره البالغ وثمراته النافعة في حياة المؤمن فمن ذلك:

١ - الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنه مقدر الأسباب والمسببات.

٢ - راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضاء الله وقدره.

٣- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب ذلك الخير والنجاح فيشكر الله ويدع الإعجاب.

٤- طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه لأن ذلك بقضاء الله وقدره فيصبر على ذلك ويحتسب.

الباب الثالث
مسائل متفرقة في العقيدة

ويتضمن خمسة فصول:

الفصل الأول: الإسلام والإيمان والإحسان.

الفصل الثاني: الولاء والبراء، معناه وضوابطه.

الفصل الثالث: حقوق الصحابة وما يجب نحوهم.

الفصل الرابع: الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم ولزوم جماعتهم.

الفصل الخامس: وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة والنهي عن التفرق.

الفصل الأول:

الإسلام والإيمان والإحسان.

المبحث الأول: الإسلام.

المبحث الثاني: الإيمان.

المبحث الثالث: الإحسان.

المبحث الرابع: العلاقة بين الإسلام، والإيمان والإحسان.

المبحث الأول: الإسلام

تعريف الإسلام:

الإسلام لغة: الانقياد والاستسلام والخضوع.

وشرعا: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص مـــن الشرك ومعاداة أهله. قال تعالى: { ö@è ¨bÎ) ’ÎAŸx|¹ ’Å5Ý¡èSur “$uŠøtxCur ’ÎA$yJtBur ¬! Éb>u‘ tûüÏJn=»yèø9$# ÇÊÏËÈ Ÿw y7ƒÎŽŸ° ¼çms9 (y7Ï9ºx‹Î/ur ßNöÏBé& O$tRr&ur ãA¨rr& tûüÏJÎ=ó¡ßJø9$# ÇÊÏÌÈ }[1] (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣). وقال تعالى: { `tBur Æ÷tGö;tƒ uŽöxî ÄN»n=óM}$# $YYƒÏŠ `n=sù Ÿ@t6ø)ãƒ çm÷YÏB uqèdur ’Îû Íot½ÅzFy$# z`ÏB z`ƒÎŽÅ£»y‚ø9$# ÇÑÎÈ }[2] (آل عمران: ٨٥).

أركان الإسلام:

أركان الإسلام خمسة بينها رسول الله r كما في حديث عبد الله بـــن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله r { بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكـــاة وصوم رمضان وحج بيت الله }[3] [4].

ويدل على هذا حديث جبريل المتقـــدم وفيه أنه قال: { يا محمد ! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله r (الإســـلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصــــلاة وتـــؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليـــه سبيلا. قـــال: صدقت }[5] ... إلخ)[1].

---

(1) سورة الأنعام آية : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(2) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

(3) البخاري الإيمان (٨) ، مسلم الإيمان (١٦) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٩) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠١) ، أحمد (٢/٩٣) .

(4) صحيح البخاري ، حديث برقم (٨) ، وصحيح مسلم حديث برقم (١٦) .

(5) البخاري تفسير القرآن (٤٤٩٩) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٢/٤٢٦) .

معنى الشهادتين:

*معنى شهادة أن لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله.

*ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر به واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

(1) تقدم متفق عليه : صحيح البخاري حديث برقم (٨) ، وصحيح مسلم حديث برقم (٨) .

المبحث الثاني: الإيمان وأركانه
وبيان حكم مرتكب الكبيرة

تعريفه:

الإيمان لغة: التصديق والإقرار.

وشرعًا: اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح.

أركانه وأدلته:

أركان الإيمان ستة يدل عليها قـــول الله تعـــالى: } *ä$ $Ó9 b& q9q ã q_ã dq ã%ä

É»G$ $Ó9 ø 6 Ï=J9$ $ ¨Å ¾$ Ö9$ ª!$ `B#ä ôB Ó9$ £Å9r É ÓJ9$ Éî J9$ Ó6Ï

`ÏZ9$ { [1] (البقرة: ١٧٧).

ومن السنة ما جاء في حديث جبريل عندما سأل النبي r وقال: } أخـــبرني عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليـــوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت { [2] ... إلخ) [3] .

زيادة الإيمان ونقصانه:

دل الكتاب والسنة على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

فالدليل من الكتاب قول الله تعـــالى: } $û ï%!$ ur #÷r#‰ Gd$ dŠ# Óo ä ¨ #r?$ur Ó9q)? ÓG1q

ÇÈ { [4] (محمد: ١٧). وقال تعالى: } JR $GÓ9$ z Bs c$ û ï%!$ Ĕ Ï•$ ª! r Å-M ÓŋèŒ Ĕ r#Ĕ

M‹Ï Óõã $ÓŋÎ#ä f¹ Š#$ $JŃ Ó9?J$ $r 4?ãr $Ó ŋ´ô bqèG ÇÈ { [1] (الأنفال: ٢).

---

(1) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(2) البخاري تفسير القرآن (٤٤٩٩) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٤٢٦/٢) .

(3) متفق عليه : صحيح البخاري حديث برقم (٥٠) ، وصحيح مسلم حديث برقم (٨) .

(4) سورة محمد آية : ١٧ .

وقال تعالى: } qèd $‰Ï ür&“A $9¡Å<pY Î’ qèd É$#Bs!Zü ûü ï#Š‘#yŠ ÎB $Ÿ Jƒ) ÎB Jƒ) ÈÏÍ
{ [2] (الفتح: ٤).

ومن السنة قوله r { يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة مـــن إيمان } [3] [4] . وكذلك قوله r { الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إلـــه إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان } [5] [6] .

حكم مرتكب الكبيرة:

كبائر الذنوب نوعان: مكفّر وغير مكفر. فأما المكفر فهو الشرك بالله لأنه أعظم ذنبا عُصي به الله والنفاق الاعتقادي وسب الله ورسوله ونحـــو ذلك.

والنوع الثاني كبائر غير مكفّرة ولا يخرج مرتكبـــها مـــن الملـــة إلا إذا استحلها. وهي سائر الذنوب التي دون الكفر كالربا والقتل والزنا ونحـــو ذلك.

وقد دل الكتاب والسنة على أن مرتكب الكبيرة غير المكفّـــرة مؤمـــن ناقص الإيمان، ويسمى فاسقًا وعاصيًا.

وحكمه في الآخرة أنه تحت المشيئة فإن شاء الله غفر له برحمته وإن شـــاء عذبه بعدله وهو مع هذا لا يخلد في النار إذا عُذب بل مآله إلى الجنة بما معه من التوحيد والإيمان. قال

---

(1) سورة الأنفال آية : ٢ .

(2) سورة الفتح آية : ٤ .

(3) البخاري التوحيد (٧٠٠٢) ، مسلم الإيمان (١٨٣) .

(4) صحيح البخاري حديث برقم (٧٥١٠) ، صحيح مسلم حديث برقم (١٩٣) .

(5) مسلم الإيمان (٣٥) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٤) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٥) ، أبو داود السنة (٤٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٥٧) ، أحمد (٢/٤١٤) .

(6) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم (٥٧) .

تعالى: } ©!$bÎ) Ÿw ãÿøó÷ƒ br& x8uŽô³ç ¾ÏmÎ/ ãÿøó÷ƒur $tB šcrß Ï9ºsŒ `yJÏ9 âä!$t±o„ 4 `tBur õ8Îô³ç «!$$Î/ ô‰s)sù ã ÏÜ ÇÊÊÏÈ { [1] (النســـاء: ١١٦).

وفي الصحيحين من حديث أنس t عن النبي r أنه قال: } يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار مـــن قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير { [2] [3] .

وهذا الذي دلت عليه النصوص هنا هو الذي عليه سلف الأمـــة مـــن الصحابة والتابعين وتابعيهم على الخير والهدى في حكـــم مرتكب الكبـــيرة وهو المنهج الوسط بين الغلو في هذا الباب وهو مذهب الخـــوارج قديمًـــا وحديثًا الذين يكفرون مرتكب الكبيرة ويخرجونه من الملة ويستبيحون دمـــه ويعتقدون أنه يوم القيامة خالد مخلد في النار، وبين أهل التقصير الذين يرون أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان ولا يفرقون بين مرتكب الكبـــيرة وبين المؤمن الكامل الذي أدى الطاعات وتجنب المحرمات كما هو مذهـــب غلاة المرجئة.

الأدلة على أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر:

دل القرآن والسنة على أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر.

فمن القرآن قوله تعالى: } bÎ)ur Èb$tGxÿÍ←!$sÛ z`ÏB tûüÏZÏB÷sßJø9$# (#qè=tGtGø%$# (#qßsÎ=ô¹r'sù $yJåks]÷t/ (.bÎ*sù ôMtót/ $yJßg1y‰÷nÎ) ’n?tã 3“t÷zW{$# (#qè=ÏG»s)sù ÓÉL©9$# ÓÈöö7s? 4Ó®Lym uäþÅ"s? #’n<Î) ÌøBr& «!$# 4 bÎ*sù ôNuä!$sù (#qßsÎ=ô¹r'sù $yJåks]÷t/ ÉAô‰yèø9$$Î/ (#þqäÜÅ¡ø%r&ur (¨bÎ) ©!$# =Ïtä† šúüÏÜÅ¡ø)ßJø9$#

[1] سورة النساء آية : ١١٦ .

[2] البخاري الإيمان (٤٤) ، مسلم الإيمان (١٩٣) ، الترمذي صفة جهنم (٢٥٩٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٣١٢) ، أحمد (٣/١١٦) .

[3] صحيح البخاري برقم (٤٤) ، وصحيح مسلم برقم (١٩٢) .

{ ÇÈ bqçqè #a¨è9 ®$t(qã?$ }[1] (الحجرات: ٩، ١٠). ووجه الدلالة من الآيتين هو أن الله أثبت الإيمـــان لمرتكبي معصية الاقتتال من المؤمنين والباغي من بعض الطوائف على بعـــض وهي من الكبائر وجعلهم إخوة وأمر تعالى المؤمنين بالإصلاح بين إخوتهـــم في الإيمان.

ومن السنة ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري t أن رســـول الله r قال: { يدخل أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النـــار النار ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبّة من خردل من إيمـــان فأخرجوه }[2] ..)[3] .

ووجه الدلالة من الحديث هو عدم تخليد مرتكبي الكبائر في النار حيـــث يخرج منها من كان في قلبه أدنى شيء من الإيمان كـــما يدل الحديث علـــى تفاوت أهل الإيمان على حسب أعمالهم وأنه يزيد وينقص بحسب ما يـــترك المؤمن من واجبات أو يرتكـــب من محظورات.

---

(1) سورة الحجرات آية : ٩ ، ١٠ .

(2) مسلم الإيمان (١٨٤) .

(3) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الشفاعة وإخراج الموحدين من النار حديث رقم ١٨٤ .

المبحث الثالث: الإحسان

تعريفه:

الإحسان معناه مراقبة الله تعالى في السر والعلن مراقبة من يحبه ويخشـــاه ويرجو ثوابه ويخاف عقابه بالمحافظة على الفرائـــض والنوافـــل واجتنـــاب المحرمات والمكروهات. والمحسنون هم السابقون بالخـــيرات المتنافســـون في فضائل الأعمال.

أدلته:

من الكتاب قوله تعالى: } šc qãZÅ¡øtœ Nèd ûïÏ%©!$#¨ (#qs)¨?$# ûïÏ%©!$# yìtB ©!$# bÎ) ÇÊËÑÈ { [1] (النحل: ١٢٨).

ومن السنة ما جاء في حديث جبريل عليه السلام أنه ســـأل النبي r فقال: أخبرني عن الإحسان. فقال r } أن تعبد الله كأنك تـــراه فـــإن تكن تراه فإنه يراك { [2] [3].

(1) سورة النحل آية : ١٢٨ .

(2) البخاري الإيمان (٥٠) ، مسلم الإيمان (٩) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٢/٤٢٦) .

(3) تقدم تخريجه ص١١٣ .

المبحث الرابع

العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان

جاء ذكر الإسلام والإيمان والإحسان في حديث جبريل ومجيئه إلى النبي r وسؤاله عن هذه الأمور الثلاثة فأجاب عن الإسلام بامتثال الأعمـــال الظاهرة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتـــاء الزكاة، وحج البيت، وعن الإيمان بالأمور الباطنة الغيبية، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وعن الإحســـان بمراقبة الله في السر والعلانية، فقَال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك.

فإذا ذكرت هذه الأمور الثلاثة مجتمعة كان لكل واحـــد منـــها معنى خاص، فيقصد بالإسلام الأعمال الظاهرة ويقصد بالإيمان الأمور الغيبيـــة. ويقصد بالإحسان أعلى درجات الدين وإذا انفرد الإسلام دخـــل فيـــه الإيمان وإذا انفرد الإيمان دخل فيه الإسلام وإذا انفرد الإحسان دخل فيـــه الإسلام والإيمان.

الفصل الثاني:

الولاء والبراء معناه وضوابطه

التعريف:

الولاء: مصدر ولي بمعنى قرب منه، والمراد به هنا القرب من المسلمين بمودهم وإعانتهم ومناصرهم على أعدائهم والسكنى معهم.

والبراء: مصدر برى، بمعنى قطع. ومنه برى القلم بمعنى قطعه. والمراد هنا قطع الصلة مع الكفار فلا يحبهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم إلا لضرورة.

الولاء والبراء من حقوق التوحيد:

يجب على المسلم أن يوالي في الله وأن يعادي في الله وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، فيحب المسلمين ويناصرهم ويعادي الكافرين ويبغضهم ويتبرأ منهم. قال تعالى في وجوب موالاة المؤمنين: { $KRĵ $Nä3šŠr ª! $# &äqßs‘ r ¼ã&éq ß$!$# (qãZB#ä ûïÏ%©!$#ä ûïÏ%©!$# (qãZB#ä ûïÉ‹ ƒ!$ bqß3 ‹9$ Á=¯4 o bq è?÷sãƒ uru4 .“9$ bqè?÷sãƒ uru ‘ Nèdr bqãèÏ.º‘ ÇÎÎÈ `Br ‘ AqGƒ ©!$# &äqßs‘ r ¼ã&éq ß$!$#ä ûïÏ%©!$# (qãZB#ä bîû ¼m“Ï! > $ «! $# ãNèd bqç7Î=»óø$ ÇÎÏÈ } [1] (المائدة: ٥٥، ٥٦). وقال تعالى: { * $pkš‰'¯»tƒ ûïÏ%©!$# (qãZB#ä Ÿw (#rä‹Ï‚Gs? yŠqåkuŽø9$ #“t»|Á¨Z9$#ur uä!$uŠÏ9÷rr& ¢ öNåkÝÕ÷èt/ âä!$uŠÏ9÷rr& <Ù÷èt/ 4 `Br Nçl°;uqtGtƒ öNä3ZÏiB ¼çm¯RÎ*sù öNåk÷]ÏB 3 ¨bÎ) ©!$# Ÿw “Ï‰ôgtƒ tPöqs)ø9$# šúüÏJÎ=»©à9$# ÇÎÊÈ } [2] (المائدة: ٥١). وقال تعالى: { žw ߉ÅgrB $YBöqs% šcqãZÏB÷sãƒ «!$$Î/ ÏQöqu‹ø9$#ur ̍Åz$# šcr–Š!$uqム ô`tB ¨Š!$ym ©!$# ¼ã&s!qߙu‘ur öqs9ur (#þqçR%Ÿ2 öNèduä!$t/#uä ÷rr& öNèduä!$oYö/r& ÷rr& öNåktXºuq÷zÎ) ÷rr& öNåktJuϱtã } [3] (المجادلة: ٢٢).

ويتضح من هذه الآيات الكريمة وجوب موالاة المؤمنين وما ينتج عن ذلك من الخير ووجوب معاداة الكفار والتحذير من موالاهم وما تؤدي إليه موالاهم من شر.

---

(1) سورة المائدة آية : ٥٥ ، ٥٦ .

(2) سورة المائدة آية : ٥١ .

(3) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

مكانة الولاء والبراء في الدين:

إن للولاء والبراء في الإسلام مكانة عظيمة، فهو أوثق عـــرى الإيمـــان. ومعناه توثيق عرى المحبة والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الإسلام. فقـــد روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله r { أوثـــق عـــرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله } [1] [2].

الفرق بين المداهنة والمداراة وأثرهما على الولاء والبراء:

المداهنة: هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومصانعـــة الكفـــار والعصاة من أجل الدنيا والتنازل عما يجب على المسلم من الغـــيرة علـــى الدين. ومثاله الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرتهم وهـــم علـــى معاصيهم أو كفرهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه. قال الله تعـــالى: } ëa $šÆ ûïï%©!$# (#rãÿx2 .`Ï B û_ Í/ ó‰Ÿ¢ÂäŽó Î) @yfù ?4ã šc öqd$ZK¯ ÿw (#qç$Ÿ2 Çÿè šc r‰Fè¯ (#qç%Ÿ2 ÷r (#q|Áã $Jÿ 7Ïp¹E O¯•B Çÿ$Ó¹ ¤Šãr Š¼ã#Š ê$¡ ÿ ûïï%©!$# šc öq©G¯ Ó©g¨B #ZŽÏŸ2 3‘ •? Çÿè šc qè=yèøÿ (#qç$Ÿ2 $B š[ ø¤9 çqè=ù 96 ÝB `ã (#rãÿx2 { [3] (المـــائدة: ٧٨ - ٨٠).

المداراة: هي درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة أو الإعـــراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس لـــه. كالرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وتـــرك الإغـــلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفـــه. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها، { أن رجلا استأذن على النبي r فلمـــا رآه قال: (بئس أخو العشيرة. وبئس ابن العشيرة)، فلما جلس تطلق النبي r في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت عائشة رضي

---

(1) أحمد (٤/٢٨٦) .

(2) رواه الطبراني في الكبير (١١/ ٢١٥) ، والبغوي في شرح السنة (٣/ ٤٢٩) ، بسند حسن .

(3) سورة المائدة آية : ٧٨ - ٨٠ .

الله عنها: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكـــذا، ثم تطلقـــت في وجهـــه وانبسطت إليه. فقال r (يا عائشة متى عهدتني فحاشًا، إن شر الناس عنـــد الله منـــزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره) } [1] [2] . فالنبي r دارى هـــذا الرجل لما دخل عليه مع ما فيه من الشر لأجل المصلحة الدينية، فدل علـــى أن المداراة لا تتنافى مع الموالاة إذا كان فيها مصلحة راجحة من كف الشـــر والتأليف أو تقليل الشر وتخفيفه، وهذا من مناهج الدعـــوة إلى الله تعـــالى. ومن ذلك مداراة النبي r للمنافقين في المدينة خشية شرهم وتأليفًـــا لهـــم ولغيرهم.

وهذا بخلاف المداهنة فإنها لا تجوز إذ حقيقتها مصانعة أهل الشر لغـــير مصلحة دينية وإنما من أجل الدنيا.

نماذج من الولاء والبراء:

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: { OšÜ°•ŷ þÎ pZ¡ m ôqš'éÑã9 ŠMR%. ô‰% $ZY•/ #‰/r ŠãÎ $Røy. ‹ $Èr̃ß `Β br̃%çè? $JÐr ŠãZß {ãä•ç $R) ŠhÎBq)9 {qš$% øŋ ÿççèB ûïïŠ$ ÿç%ôr ‹ $ {qãBsê 4Ŀm #‰/& ãŠÏÒ ó7Ŷ$ ö r%è$Šã Z•/r } [3] (الممتحنة: ٤). وقال تعـــالى في مـــوالاة الأنصـــار لإخوانهم المهاجرين: { ØÅÏö% `Β `»J ƒ M$r '#$!$râ§7? ûïï%$r #?ã šc rŠÛšãr {qêré $JÐB ž_%n ŠÜÍ rR‰ß 'Î brR‰Å ÿr ŠÍŏ9) •_$d ôB bq7Ïä šc qßŠ Îÿ‰Š$ ŠÏd š• Í»9ré ¾ïhÅ ÿR &ß -qã `Br þ¹ $| Á z ŠÍŏ b%. ö9r ŠÍÅ ÿR& çÌÈ } [4] (الحشر: ٩).

---

(1) البخاري الأدب (٥٦٨٥)، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٩١)، الترمذي البر والصلة (١٩٩٦)، أبو داود الأدب (٤٧٩٢)، أحمد (٦/١٥٨) .

(2) صحيح البخاري برقم (٦٠٣٢) .

(3) سورة الممتحنة آية : ٤ .

(4) سورة الحشر آية : ٩ .

حكم موالاة العصاة والمبتدعين:

إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسـنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق مـن المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر. فقد يجتمع في الشخص الواحـد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطـع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته ويتصدق عليه. هذا هـو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة.

هل يدخل في الموالاة معاملة الكفار في الأمور الدنيوية:

دلت النصوص الصحيحة على جواز التعامل مع الكفار في المعـاملات الدنيوية كمسائل البيع والشراء والإيجار والاستئجار والاستعانة بهم عند الحاجة والضرورة على أن يكون ذلك في نطاق ضيق وأن لا يضر بالإسلام والمسلمين. { فقد استأجر النبي r عبد الله بن أُرَيْقط هاديًـا خِرِّيتًـا } [1] [2] . والخريـت هو الخبير بمعرفة الطريق.

ورهن النبي r درعه عند يهودي في صاع من شعير وأجر علي t نفسه ليهودية يمتح لها الماء من البئر فمتح لها ست عشرة دلوًا كـل دلـو بتمرة. وقد استعان النبي r باليهود الذين كـانوا في المدينـة في قتـال المشركين. واستعان بـخُزاعة ضد كفار قريش. وهذا كله لا يؤثر على الولاء والبراء في الله على أن يلتزم الكفار الذين يقيمـون بـين المسـلمين بالآداب العامة وأن لا يدعوا إلى دينهم.

---

(1) البخاري المناقب (٣٦٩٤) .

(2) صحيح البخاري حديث رقم (٢٢٦٣) .

الفصل الثالث:

حقوق الصحابة وما يجب نحوهم

المبحث الأول: من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم.

المبحث الثاني: وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم والكف عما شجر بينهم في ضوء الأدلة الشرعية.

المبحث الثالث: أهل بيت النبي r وحقوقهم وبيان أن زوجاته من أهل بيته.

المبحث الرابع: الخلفاء الراشدون، فضلهم وما يجب نحوهم وترتيبهم.

المبحث الخامس: العشرة المبشرون بالجنة.

المبحث الأول:

من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم

تعريف الصحابي:

الصحابي هو من لقي النبي r مسلمًا ومات على ذلك.

وجوب محبتهم وموالاتهم:

الصحابة هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة وأفضل هذه الأمة بعد نبيها r ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننـــزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقـــربى إلى الرحمـــن، وبغضهم كفر وطغيان. فهم حملة هذا الدين، فالطعن فيهم طعن في الديـــن كله لأنه وصلنا عن طريقهم بعد أن تلقوه غضًّا طريًّا عن رســـول الله r مشافهة ونقلوه لنا بكل أمانة وإخلاص ونشروا الديـــن في كافـــة ربـــوع الأرض في أقل من ربع قرن وفتح الله على أيديهم بلاد الدنيا فدخل النـــاس في دين الله أفواجًا.

وقد دل الكتاب والسنة على وجوب موالاة الصحابة ومحبتهم وأنها دليل صدق إيمان الرجل. فمن الكتاب قولـــه تعـــالى: { bqãZÏB÷sßJø9$#ur àM»oYÏB÷sßJø9$#ur öNßgàÒ÷èt/ âä!$uÏ9÷rr& <Ù÷èt/ } [1] (التوبة: ٧١). وإذا كان أصحاب النبي r مقطوعًـــا بإيمانهم بل هم أفضل المؤمنين لتزكية الله ورسوله لهم فإن موالاتهم ومحبتـــهم دليل إيمان من قامت به هذه الصفة.

ومن السنة حديث أنس عن النبي r أنه قال: { آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار } [2] [3].

(1) سورة التوبة آية : ٧١ .

(2) البخاري الإيمان (١٧) ، مسلم الإيمان (٧٤) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٩) ، أحمد (٣/١٣٤) .

(3) صحيح البخاري برقم (١٧) .

والنصوص في هذا كثيرة جدًّا لا يسع المقام ذكرها على أنه يحسن التنبيـــه هنا على ما يترتب على موالاة الصحابة رضوان الله عليهم من الآثار الطيبـــة في الدنيا والآخرة مما يشحذ الهمم على تحقيق موالاتهم.

فمن آثار موالاتهم الطيبة في الدنيا الفلاح والغلبة والنصر كما قال تعالى: } `Br ÇÎiÈ bqç7Î6»óø9$# ãNèd «!$# >"ÌmÏm ¨bÎ*sù (#qãZtB#uä úïÏ%©!$#ur ¼&s!qß™u'ur ©!$# ¨Aq©Guqtƒ { [1] (المائدة: ٥٦). قال ابن كثير: (كل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فـــهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة).

ومن ثمار محبتهم في الآخرة ما يُرجى لـــمُحبّهم من الحشر معهم لقـــول النبي r كما في حديث عبد الله بن مسعود t قال: } جاء رجل إلى رســـول الله r فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قومًا و لم يلحق بهم، فقال رسول الله r (المرء مع من أحب) { [2] [3] .

ولذا كان أصحاب رسول الله r يتقربون إلى الله بمحبة أبي بكر وعمـــر ويعدون ذلك من أفضل أعمالهم وأرجاها عند الله. روى الإمام البخـــاري من حديث أنس بن مالك t } أن رجلا سأل النبي r عن الساعة فقـــال: متى الساعة ؟ فقال النبي r (وماذا أعددت لها). قـــال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقَال النبي r (أنت مع من أحببت)، فقال أنس: فمـــا فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي r أنت

---

(1) سورة المائدة آية : ٥٦ .

(2) البخاري الأدب (٥٨١٧) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٤١) ، أحمد (٤/٤٠٥) .

(3) صحيح مسلم برقم (٦١٦٨) .

مع من أحببت. قال أنس: (فأنـــا أحب النبي r وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إيـــاهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم } [1] [2] .

(1) البخاري المناقب (٣٤٨٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٣٩) ، الترمذي الزهد (٢٣٨٥) ، أبو داود الأدب (٥١٢٧) ، أحمد (٢٨٣/٣) .

(2) صحيح البخاري برقم (٣٦٨٨) .

المبحث الثاني

وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم

والكف عما شجر بينهم في ضوء الأدلة الشرعية

فضلهم:

لقد أثنى الله تعالى على الصحابة ورضي عنهم ووعدهم الحسنى. كما قال تعالى ﴿ tbqà)Î6»¡¡9$#ur tbqä9¨rF{$# z`ÏB tûïÌÉf»yßJø9$# Í$|ÁRF{$#ur tûïÏ%©!$#ur Nèdqãèt7¨?$# 9`»|¡ômÎ*Î §ÅÌ §ª! $# öNåk÷]tã (#qàÊu'r ã&è±y% £ÅÌ "ÉfrB $ygtFøtrB ㍻yg÷RF{$# tûïÏ$Î#»z !$pkÏù #Y‰t/r& 4 y7Ï9ºsŒ ã—öqxÿø9$# ÞOŠÏàyèø9$# ÇÊÉÉÈ ﴾[1] (التوبة: ١٠٠). وقال تعالى ﴿ ô‰s)©9 š_ÅÌu‘ ª!$# Ç`tã šúüÏZÏB÷sßJø9$# øŒÎ) štRqãèÎ$t7ムšóstrB Íotyf¤±9$# zNÎ=yèsù $tB ’Îû öNÍkÍ5qè=è% tAt“Rr'sù spoY‹Å6¡¡9$# öNÍköŽn=tã öNßgt7»rOr&ur $[s÷Gsù $Y6ƒÌs% ÇÊÑÈ ﴾[2] (الفتح: ١٨). وقال تعالى: ﴿ Ïä!#ts)àÿù=Ï9 tûïÌÉf»yßJø9$# tûïÏ%©!$# (#qã_Ì÷zé& `ÏB öNÏdÌ»tƒÏŠ öNÎgÏ9ºuqøBr&ur tbqäótGö6tƒ WxôÒsù z`ÏiB «!$# $ZRºuqôÊÍ‘ur tbrçŽÝÇZtƒur ©!$# ÿ¼ã&s!qß™u‘ur 4 y7Í´¯»s9'ré& ãNèd šcqè%Ï‰»¢Á9$# ÇÑÈ ... ÇÊÉÈ ﴾[3] (الحشر: ٨- ١٠).

فقد دلت الآيات الكريمة على فضل الصحابة والثناء عليهم من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكل من حصل على شرف الصحبة. ووصف الذين جاؤوا من بعدهم بأنهم يستغفرون لمن سبقهم من الصحابة ويدعون الله تعالى ألا يجعل في قلوبهم غلًّا للذين آمنوا.

---

(1) سورة التوبة آية: ١٠٠ .

(2) سورة الفتح آية: ١٨ .

(3) سورة الحشر آية: ٨ - ١٠ .

كما تضمنت الآيات وغيرها مما لا يمكن حصره من الترضي عنهم وبشارتهم بالجنة وحصولهم على الفوز العظيم ومدحهم وذكر بعض صفاتهم من الحب والإيثار والكرم والجود وحب إخوانهم المسلمين ونصرهم لدين الله ونحو ذلك من الأوصاف العظيمة والذكر الجميل ما هم أهل له.

وقد أثنى عليهم رسول الله r بأحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله t أن النبي r قال: { لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة } [1] [2].

وقد جاءت أحاديث بعضها عامة في فضل جميع الصحابة وبعضها في فضل أهل بدر، وبعضها في أفراد بخصوصهم.

فالواجب على المسلمين تطبيق هذه النصوص وتولي الصحابة جميعًا، ومحبتهم والترضي عنهم، وذكرهم بكل جميل، والاقتداء بهم والسير على منهجهم.

وجوب الكف عما شجر بين الصحابة وحكم سبهم:

عرفنا أن أصحاب رسول الله r هم الصفوة المختارة من هذه الأمة بعد نبينا r فهم السابقون إلى الإسلام وهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأبلوا بلاءً حسنًا في الذود عن حياض الإسلام حتى مكن الله لهذا الدين في الأرض على أيديهم. فمن تنقصهم أو سبهم أو نال من أحد منهم فهو من شر الخليقة؛ لأن عمله هذا اعتداء على الدين كله. ومن كفرهم أو اعتقد ردتهم فهو أولى بالكفر والردة وإنه مهما عمل أحدٌ بعدهم من عمل فإنه لن يبلغ شيئًا من فضلهم.

فقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري t قال: قال رسول الله r { لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُد أحدهم ولا

---

(1) الترمذي المناقب (٣٨٦٠).

(2) صحيح مسلم: حديث برقم (٢٤٩٦).

نصيفه } [1] [2] . فقد دل الحديث على تحريم سب أصحاب رسول الله r والتأكيد على أنه لن يبلغ أحد مبلغهم مهما قدم من عمل.

فالواجب على المسلمين اعتقاد عدالتهم والترضي عنهم والكف عمـــا شجر بينهم وعدم الخوض فيما جرى بينهم من خلاف وترك ســـرائرهم إلى الله تعالى. قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (أولئك قوم طهر الله أيدينا مـــن دمائهم، فلنطهر ألسنتنا من أعراضهم).

وخلاصة القول أن أهل السنة يوالون الصحابـــة كلـــهم وينـــزلوهم منازلهم التي يستحقوها بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب. فإن ذلـــك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد.

(1) البخاري المناقب (٣٤٧٠) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٤١) ، الترمذي المناقب (٣٨٦١) ، أبو داود السنة (٤٦٥٨) ، أحمد (٣/٥٥) .

(2) صحيح البخاري حديث برقم (٣٦٧٣) ، ومسلم كتاب الفضائل حديث رقم (٢٥٤٠ ، ٢٥٤١) .

المبحث الثالث

أهل بيت النبي r

التعريف بأهل البيت:

أهـــل البيـــت هـــم آل النبي r الذين حرّمت عليهم الصدقة. وهـــم: آل علي بن أبي طالب، وآل جعفر، وآل العبـــاس، وبنـــو الحـــارث بـــن عبد المطلب وأزواج النبي r .

أدلة فضل أهل البيت:

قوله تعالى: { $JŔ¦ $¨ß/ƒ ì¦ ª! =ŭõä |Zã Ñà6 ô_ŀø$ ß ©¯dø ÏMø?ø$ ŏä•ĝÜår #Zŷgŏ? ÇÌÎÈ } [1] (الأحزاب: ٣٣).

وقال r { أذكّركم الله في أهل بيتي } [2] [3] .

دخول أزواج النبي r في أهل البيت:

قال تعالى: { ƒ»ï¡$ä $9ÉZ# ûñü9 ŸÇ2 n'% `B ï9$ ¡$ä Ŝ¦ $?)ø¤û ùÛ Ÿ¿ ©B ÕÒø `è ø) Ŝø¦ ùÛ¦Šù ìJ $@‰ï “ 'Î ¾ïĩ¼ ‹B• ÖÛ `ùè ßÜr %ŒB $ŢrèèB ÇÌÎÈ Ÿrô¦ b 'Î çŒ§£ q'¢ £ä ŵr ?§ ô_ ŀø$ f ŞŠ¦Ŝø¦ $)ŵ4 r&%`Ŷ0 r& 9$ ÁË¤ o ùŒ#är Š9$ šú ü¤2 o'Ÿ `ÛÜ&r $`Ö r‘ßq Š¦ ¤ŒŒ$JŔ¦ $¨ß/ƒ ì¦ ª! =ŭõä |Zã Ñà6 ô_ŀø$ ß ©¯dø ÏMø?ø$ ŏä•ĝÜår #Zŷgŏ? ÇÌÎÈ ÷ŒB 2 ŏà šc $B ã‡ 4 ì 'Î Ÿq¢ã£ Eà6 Bô ä#ƒ»M $ «! ø$ ŒJò6 ¦b $¦ .% šc 9Ü‹ $ ¦ z#ŷ‹Ŷ ÇÌÍÈ } [4] (الأحزاب: ٣٢-٣٤). قال الإمام ابن

---

(1) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

(2) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٨) ، أحمد (٣٦٧/٤) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣١٦) .

(3) صحيح مسلم حديث برقم (٢٤٠٨) .

(4) سورة الأحزاب آية : ٣٢ - ٣٤ .

كثير رحمه الله: (ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي r داخلات في قوله { ÇÌÈ #Žãÿô? öä•ãÜå Mø7ø$ö@ø ô§ ô‍ ä$Ñà6 Zã |=ùõäi ª! $‰/Ìå$JR) } [1].

فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله: { £à6 ÏqãŠç 'Î 4 ‡Fã$B šc öä2 ø$ } [2]، أي واعملن بما ينـــزل الله تبارك وتعالى على رسوله r في بيوتكن من الكتاب والسنة. قال قتادة وغـــير واحـــد: (واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين النساء) [3].

الوصية بأهل البيت:

تقدم حديث { أذكركم الله في أهل بيتي } [4]. فأهل السنة يحبونهم ويكرمونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله r لأن ذلك من محبة النبي وإكرامه وذلك بشرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين على الملة كما كان سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وبنيه. أما من خالف السنة و لم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته، ولو كان من أهل البيت.

فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم ويتبرؤون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت، فإنّ كونه من أهل البيـــت ومـــن قرابـــة الرسول لا ينفعه شيئًا حتى يستقيم على دين الله. فقد روى أبو هريـــرة t قال: قام رسول الله r حين أنـــزل عليـــه { ÇËÊÍÈ šú üÎ/t•øF{$ 7 ?ŽÏ±ã öÉR&r } [5] (الشعراء: ٢١٤). فقال: { يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفســكــم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم

(1) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .
(2) سورة الأحزاب آية : ٣٤ .
(3) تفسير ابن كثير ٦ / ٤١١ .
(4) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٨) ، أحمد (٤/٣٦٧) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣١٦) .
(5) سورة الشعراء آية : ٢١٤ .

من الله شيئًا، يـــا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنـــت محمـــد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا } [1] [2] . والحديث: (من بطـــأ به عمله لم يسرع به نسبه) [3] . معنى من بطأ: أي من تأخر.

ويتبرأ أهل السنة والجماعة من الذين يغلون في بعض أهل البيت ويدعون لهم العصمة. ومن الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين، ويطعنـــون فيهم، ومن طريقة المبتدعين والخرافيين الذيـــن يتوســـلون بـــأهل البيت ويتخذونهم أربابًا من دون الله.

فأهل السنة في هذا الباب وغيره على المنهج المعتدل والصراط المســـتقيم الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

(1) البخاري الوصايا (٢٦٠٢) ، مسلم الإيمان (٢٠٤) ، النسائي الوصايا (٣٦٤٦) ، أحمد (٢/٣٦١) ، الدارمي الرقاق (٢٧٣٢) .

(2) صحيح البخاري برقم (٤٧٧١) ، ومسلم برقم (٢٠٤) .

(3) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩) .

المبحث الرابع

الخلفاء الراشدون

التعريف بالخلفاء الراشدين:

الخلفاء الراشدون هم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب (الفاروق)، وذو النورين عثمان بن عفان، وأبو السبطين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأرضاهم.

مكانتهم ووجوب اتباعهم:

الخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون المهديون الذين أمر الرسول r باتباعهم، والتمسك بهديهم. كما ثبت ذلك من حديث العرباض بن سارية t الذي جاء فيه أن النبي r قال: { أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة } [1] [2] .

فضلهم:

أجمع أهل السنة والجماعة على أن التفضيل بين الخلفاء بحسب ترتيبهم في الخلافة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. وقد ورد في فضل كل واحد منهم أحاديث كثيرة نورد حديثًا واحدًا منها لكل واحد منهم:

فمما جاء في فضل أبي بكر t ما ثبت في الصحيحين أن النبي r قال على منبره: { لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر } [3] [1] .

---

(1) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(2) رواه أحمد (٤ / ١٢٩- ١٢٧) ، والترمذي (٧ / ٤٣٨) بسند صحيح .

(3) البخاري المناقب (٣٦٩١) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٣٨٢) ، الترمذي المناقب (٣٦٦٠) ، أحمد (١٨/٣) .

ومما جاء في فضل عمر t ما ثبت في الصحيحين أن النبي r كان يقول: } قد كان في الأمم قبلكـــم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فإن عمـــر بن الخطاب منهم { [2] [3] . ومعنى محدّثون: مُلْهَمُون.

ومما جاء في فضل عثمان t حديث عائشة الطويل الذي قالت فيـــه: } دخل أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وعندما رآه الرسول جلس وسوى ثيابـــه فسألته عائشة فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة { [4] [5] .

ومما جاء في فضل علي t ما رواه الشيخان عن سهل بن ســـعد t أن النبي r قال عشية خيبر: } لأعطين الراية غدًا رجلا يحـــب الله ورســـولَه، ويحبه الله ورسولُه يفتَح الله على يديه... فقال: ادعوا لي عليًّا... فدفـــع الراية إليه ففتح الله عليه { [6] . [7] .

(1) صحيح البخاري برقم (٣٦٥٤) .
(2) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٨٢) ، أحمد (٣٣٩/٢) .
(3) صحيح البخاري برقم (٣٦٨٩) . ومسلم برقم (٢٣٩٨) .
(4) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠١) ، أحمد (١٥٥/٦) .
(5) صحيح مسلم برقم (٢٤٠١) .
(6) البخاري المغازي (٣٩٧٣) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٦) ، أحمد (٣٣٣/٥) .
(7) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٢) . ومسلم برقم (٢٤٠٥) .

المبحث الخامس

العشرة المبشرون بالجنة

عرفنا فيما سبق فضل الصحابة وأنهم جميعًا عدول، وأنهم يتفـــاضلون في الصحبة. وأفضل الصحابة السابقون الأولون في الإسلام من المـــهاجرين ثم الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل غزوة الأحزاب ثم أهـــل بيعـــة الرضوان، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقـــوا من بعد وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى.

وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون أبو بكر الصديق وعمـــر الفـــاروق وعثمان ذو النورين، وأبو السبطين علي بن أبي طالب، ثم عبد الرحمن بـــن عوف، والزبير بن العوام حواريّ رسول الله r وطلحة بـــن عبيـــد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بـــن زيد بن نفيل رضي الله عنهم أجمعين.

وقد جاءت في فضلهم أحاديث عامة ومنهم من جـــاء فيـــه حديـــث بخصوصه. ومن الأحاديث العامة في فضلهم ما رواه أحمد وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس t عن سعيد بن زيد قال: أشهد على رســـول الله r أني سمعته وهو يقول: { عشرة في الجنة، النبي r في الجنة، وأبو بكـــر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنـــة، وطلحـــة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بـــن عوف في الجنة)، ولو شئت لسميت العاشر. قال: فقالوا: من هو ؟ فســـكت قال: فقالوا: من هو ؟ فقال: (هو سعيد بن زيد رضي الله عنه) } (1) (2).

وقد بشر النبي r آخرين غير هؤلاء العشرة بالجنة، مثل عبد الله بـــن مسعود، وبلال بن رباح، وعكاشة بن محصن، وجعفر بـــن أبي طـــالب، وغيرهم كثير. وأهل السنة

---

(1) الترمذي المناقب (٣٧٥٧) ، أبو داود السنة (٤٦٤٨) ، أحمد (١/١٨٨) .

(2) رواه أحمد (١ / ١٨٨) ، وأصحاب السنن بسند صحيح .

والجماعة ينصون على مـــن ورد النـــص مـــن المعصوم فيه باسمه فيشهدون له بالجنة لشهادة رسول الله r له، ومن عداهم يرجون لهم الخير لوعد الله لهم جميعًا بالجنة كما قال تعـــالى بعـــد ذكـــر الصحابة وبيان فضل بعضهم علـــى بعـــض { ª! $%ãr yx är 4_ó tø$ } [1] (النساء: ٩٥). والحسنى هي الجنة. كما أن مذهب أهـــل الســـنة في عمـــوم المسلمين عدم القطع لأحد منهم بجنة أو نار، وإنما يرجـــون للمحســـنين الثواب ويخافون على المسيئين العقاب مع القطع لمن مات على التوحيد بعدم تخليده في النار لقوله تعالى: { ãt±„ `Jÿ š• ÿ"Œ šc rß $B ãÿyóƒr ¾ÏmÎ 8ŽÅ³ç„ bå ãÿyóƒ Ÿw ©!$b) } [2] (النســـاء: ١١٦).

(1) سورة النساء آية : ٩٥ .

(2) سورة النساء آية : ١١٦ .

الفصل الرابع:
الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم
ولزوم جماعتهم

روى مسلم عن أبي رقية تميم الداري t أن النبي r قال: { الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم } [1] [2] .

فالنصيحة لله: إفراده تعالى بالعبادة وتعظيمه وخوفه ورجاؤه ومحبته وفعل أوامره واجتناب نواهيه.

والنصيحة لرسوله r تصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر به، واتباع سنته، والاهتداء بهديه ومحبته، وألا نعبد الله إلا وفق ما جاء به r .

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهي الدعاء لهم ومحبتهم وطاعتهم في حدود طاعة الله تعالى.

وأما النصيحة لعامة المسلمين فهو أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحبُ الخير لهم كما نحب لأنفسنا وبذل الخير لهم ومساعدتهم بقدر ما نستطيع.

الواجب نحو ولاة الأمور:

لقد دل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على وجوب طاعة الإمام وإن جار في حدود طاعة الله تعالى، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. كما تجب الصلاة خلفه، والحج والجهاد معه، ويطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم

---

(1) مسلم الإيمان (٥٥) ، النسائي البيعة (٤١٩٧) ، أبو داود الأدب (٤٩٤٤) ، أحمد (١٠٢/٤) .

(2) صحيح مسلم برقم (٥٥) .

لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف وتجنب مفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المصالح الخاصة. كما تجب النصيحة له بالطرق المشروعة وترك منازعته وعدم الخروج عليه.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله U فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة).

والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: { $pkš‰r'¯»tƒ öàZÏ ÍDF $' ÍrZr AqŠ$$šq㋠Ür ©$šq㋠Ü‹ #þqãB#ä ûïÏ%©$ } [1] (النساء: ٥٩).

ومن السنة حديث أبي هريرة t عن النبي r أنه قال: { من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني } [2] [3] . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله r { على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة } [4] [5] .

والسنة أن تُبذل النصيحة للإمام سرًّا بعيدًا عن الإثارة والتهويل يدل لذلك ما رواه ابن أبي عاصم وغيره، عن عياض بن غنم t قال: قال رسول الله r { من

(1) سورة النساء آية : ٥٩ .

(2) البخاري الجهاد والسير (٢٧٩٧) ، مسلم الإمارة (١٨٣٥) ، النسائي الاستعاذة (٥٥١٠) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٥٩) ، أحمد (٢/٣١٣) .

(3) صحيح البخاري برقم (٧١٣٧) .

(4) البخاري الأحكام (٦٧٢٥) ، الترمذي الجهاد (١٧٠٧) ، أبو داود الجهاد (٢٦٢٦) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٤) ، أحمد (٢/١٤٢) .

(5) صحيح البخاري برقم (٧١٤٤) .

أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، وليـــأخذ بيده فإن سمع منه فذاك، وإلا أدى الذي عليه } [1] [2] .

هذه النصوص من القرآن والسنة كلها تأمر بطاعة الأئمة وولاة الأمـــور في غير معصية الله تعالى. ويمكن أن نستخلص منها ما يأتي:

١ - أن السمع والطاعة واجبة في كل الأحوال في غير معصية.

٢ - عدم الخروج على ولاة الأمر إذا لم يقبلوا النصيحة.

٣ - أن من نصح لولاة الأمر وأنكر عليهم بالطريقة المشروعة فقد برئ مـــن الذنب.

٤ - النهي عن إثارة الفتن وأسباب إثارتها.

٥ - عدم الخروج على الولاة ما لم يظهر منهم الكفر البـــواح أي الظـــاهر الذي لا يحتمل التأويل.

٦ - وجوب لزوم جماعة المسلمين الذين يسيرون على هدى الكتاب والسنة قولا وعملا واعتقادًا وموالاتهم واتباع سبيلهم والحرص علـــى جمع كلمتهم على الحق وعدم مفارقتهم أو الانشقاق عليهم. كمـــا قـــال تعالى: { ûü6? $B ‰è/ .`B AqßS$$Ëï$±ç`Br

#Ž•Ã B ðÎä$™r NÝg_ ¾Ïi#ÁÃ ÿçr 4‹q? $B ¾Ïk‹qçR ûüÏZÏB÷sßJø9$ @‹Î6y™ ŽöÏî ôìÎFtƒr 3“y‰ßgø9$ ã&

ÇÊÊÎÈ } [3] (النساء: ١١٥) وقال رسول الله r { عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار } [4] [5] وعن ابن عباس t قـــال: قـــال رسول الله r

---

(1) أحمد (٣/٤٠٤) .

(2) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٥٠٧) بسند صحيح .

(3) سورة النساء آية : ١١٥ .

(4) الترمذي الفتن (٢١٦٧) .

(5) الترمذي برقم (٢١٦٧) ، السنة لابن أبي عاصم برقم (٨٠) .

{ من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فـــارق الجماعة شبرًا فمات فميتته جاهلية } [1] [2] .

فـــدلت هذه النصوص على وجوب لزوم الجماعة وعدم منازعـــة الأمـــر أهله، والوعيد الشديد لمن يخالف ذلك. إذ أن الجماعـــة رحمـــة والفرقـــة عذاب.

(1) البخاري الفتن (٦٦٤٦) ، مسلم الإمارة (١٨٤٩) ، أحمد (١/٢٩٧) ، الدارمي السير (٢٥١٩) .
(2) صحيح البخاري برقم (٧١٤٣) .

الفصل الخامس:
وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة
وأدلة وجوبه

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: معنى الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه.

المبحث الثاني: التحذير من البدع.

المبحث الثالث: ذم التفرق والاختلاف.

المبحث الأول

معنى الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه

لقد أمر الله الأمة بالاجتماع واتحاد الكلمة وجمع الصف على أن يكـــون أساس هذا الاجتماع الاعتصام بالكتاب والسنة، وهى عن التفرق وبـــين خطورته على الأمة في الدارين. ولتحقيق ذلك أمرنا بالتحاكـــم إلى كتـــاب الله تعالى في الأصول والفروع وهانا عن كل سبب يؤدي إلى التفرق.

فالطريق الصحيح إلى النجاة هو التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رســـوله r فإهما حصن حصين وحرز متين لمن وفقه الله تعـــالى. قـــال تعـــالى: } «!$ŠÈtbqßÏÂGãã$ (qãBÅ
_ÜY‹$ Ÿwr ?qè%Sÿ (qã‰0G$ «!$MJèÏ #ŠÄø ØÏã Žä&±Å Ý‹¤%#Ù Ÿwr 7ô Lãs #ŠÂlKèÏ ¾ÏmÌ
}Î)ztq¨$ Äär$ 4?ã $©ÿ ‰0¯ã $Z9‘`Ï í$'ù)<Nä $k÷]B 7%9‘<. $Üä6ã !ª $Ü9 ¾ÏmÌG»f#ä N3ä9 ‰8è#ä rb% ÈÇÊÉ { (آل عمران: ١٠٣)[1]. فقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبل الله، وحبل الله هو عـــهد الله أو هو القرآن كما قال المفسرون، إذ العهد الذي أخذه الله على المســـلمين هو الاعتصام بالقرآن والسنة. فقد أمر الله تعالى بالجماعة وهى عن التفـــرق والاختلاف. قال تعالى: } $Br #ä?9Ä3 N3ä9 #$Aq߉9 ùãäz rçB $Br R¹kX3 N3ä ãã ¨ùR$Sgqß({ (الحشر: ٧)[2]. وهذا شامل لأصول الدين وفروعه الظاهرة والباطنـــة.

وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفتـــه، وأن نص الرسول على حكـــم الشيء كنص الله تعالى لا رخصة لأحـــد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله. قال تعالى: } $‡k$$S»ï šú #B#äš(qã‹Û$(® r‘ßq¼ä Ÿwr

(1) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

(2) سورة الحشر آية : ٧ .

{ ÇËÈ bqãèJó¡ OçFRr&r çm÷Zã (#öq©9uqs? } [1] (الأنفال: ٢٠). فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعتــه وطاعة رســوله، وزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له. ولهذا قــال: { çm÷Zã (#öq©9uqs? wr } [2] أي تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره.

وقال تعالى: { (#þqãè‹ÏÛr&ur ©!$# (#qãè‹ÏÛr& (#þqãZtB#uä šúïÏ%©!$# $pkš‰r'¯»tƒ bÎ*sù 4öNä3ZÏB ÍöDF{$# 'Í<'ré&ur tAqß™§9$# ¨bÎ) ÏQöqu‹ø9$#ur «!$$Î/ šcqãZÏB÷sè? ÷LäêZä. bÎ) ÉAqß™§9$#ur «!$# 'n<Î) çnr–Šãsù &äóÓx« 'Îû ÷Läêôãt"uZs? ×Žöyz y7Ï9ºsŒ 4 ¸xƒÍrù's? ß`|¡ômr&ur ÇÎÒÈ } [3] (النساء: ٥٩).

قــال الحافظ ابن كثير: (أطيعوا الله، أي اتبعوا كتابه، وأطيعوا الرسول أي خــذوا سنته، وأولي الأمر منكــم أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصيــة الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله). وقوله { bÎ*sù 4öNä3ZÏB ÍöDF{$# 'Í<'ré&ur tAqß™§9$#ur «!$# 'n<Î) çnr–Šãsù &äóÓx« 'Îû ÷Läêôãt"uZs? } [4] .

قال مجاهد: أي إلى كتاب الله وسنة رســوله.

وهذا أمر من الله U بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الديــن وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعــالى: { $tBur óOçFøÿn=tG÷z$# ÏmŠÏù `ÏB &äóÓx« ÿ¼çmßJõ3ßsù 'n<Î) «!$# } [5] (الشورى: ١٠). فما حكــم به الكتــاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال. ولهذا قال تعــالى: { bÎ) ÉAqß™§9$#ur «!$# } [6] ، أي ردوا الفصــل في الخصومات والجهالات إلى الكتاب والسنة

---

(1) سورة الأنفال آية : ٢٠ .

(2) سورة الأنفال آية : ٢٠ .

(3) سورة النساء آية : ٥٩ .

(4) سورة النساء آية : ٥٩ .

(5) سورة الشورى آية : ١٠ .

(6) سورة النساء آية : ٥٩ .

ومن لا يرجع إليهما في ذلـــك فليس مؤمنًا بالله ولا اليوم الآخر. وقوله { 7ﮋﮌ ﮍz } [1] ، أي التحـــاكم إلى كـــتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إليهما في فصل النـــزاع خير { ÇÈ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫr } [2] ، أي وأحسن عاقبة ومآلا كما قال السدي وقال مجاهد: (وأحســـن جزاء وهو قريب) [3] . وفي كتاب الله آيات كثـــيرة وردت في وجـــوب الاعتصام بالكتاب والسنة والرجوع إليهما في كل الأمور.

وأما الأدلة من السنة على وجوب التمسك بالكتاب والسنة فمنها مـــا رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: { إن الله يرضى لكـــم ثلاثًا ويسخط لكـــم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويسخط لكـــم ثلاثًا، قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال } [4] [5] . وعن جابر t قال: قال رسول الله r { إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي } [6] . وقال r { تركتكـــم علـــى البيضـــاء ليلـــها كنهارها لا يزيغ عنها بعد إلا هالك } [7] [8] . وجاء في حديث

(1) سورة النساء آية : ٥٩ .

(2) سورة النساء آية : ٥٩ .

(3) تفسير ابن كثير (٢ / ٣٠٤) .

(4) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٢/٣٦٠) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .

(5) صحيح مسلم برقم (١٧١٥) .

(6) رواه مالك في الموطأ (٢ / ٨٩٩) .

(7) ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (٤/١٢٦) .

(8) سنن ابن ماجه (١/ ١٦) المقدمة . وصحيح ابن ماجه للألباني (١/ ٦) .

العرباض بن سارية قوله r { عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ } [1] [2] .

وقد بشر النبي r المتمسكين بسنته من أمته بأعظم بشارة وأشرف مقصد يطلبه كل مؤمن ويسعى إلى تحقيقه من كان في قلبه أدنى مسكة من إيمان ألا وهو الفوز بدخول الجنة. جاءت هذه البشرى في حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله r { كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى } [3] [4] . وأي إباء ورفض للسنة أعظم من مخالفة أمره r ؟ وذلك بالإحداث والابتداع في الدين.

ومعلوم أن الفرقة الناجية هي التي كانت على مثل ما كان عليه النبي r وأصحابه، وهي الجماعة. قال أبي بن كعب t { عليكم بالسبيل والسنة فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبدًا وإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة } .

---

(1) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(2) سنن أبي داود (٥/ ١٣) والترمذي مع تحفة الأحوذي (٧/ ٤٣٨) .

(3) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٥١) ، أحمد (٣٦١/٢) .

(4) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٠) .

المبحث الثاني

التحذير من البدع

تعريف البدعة:

البدعة لغة: هي الاختراع على غير مثال سابق ومن ذلـــك قول الله تعالى: { ßìÏè‰/ ÏNºuq»yJ¡¡9$# ÇÚö‘F{$#ur } (1) أي مخترعهما.

وشرعًا: ما خالف الكتاب والسنة، أو إجمـــاع ســـلف الأمـــة من الاعتقادات والعبادات المحدثة في الدين.

خطر البدع:

إن البدع والمحدثات في الدين لها خطورة عظيمة، وآثار سيئة على الفرد والمجتمع بل وعلى الدين كله أصوله وفروعه. فالبدع: إحداث في الديـــن، وقول على الله بغير علم وشرع في الدين بما لم يأذن به الله، والبدعة ســـبب في عدم قبول العمل وتفريق الأمة، والمبتدع يحمل وزره ووزر من تبعـــه في بدعته، كما أن البدعة سبب في الحرمان من الشرب من حوض النبي r فعن ســـهل بـــن ســـعد الأنصاري، وأبي سعيد الخـــدري رضي الله عنهما أن رســـول الله r قـــال: { أنا فَرَطُكم على الحوض من مرّ علي شرب، ومن شرب لا يظمأ أبدًا. ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقولِ إنهم من أمتي، فيقال: إنك لا تدري مـــا أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاَ لمن غيّر بعدي } (2) (3) . والفرط: الذي يسبق إلى المـــاء.

وسحقًا: أي بعدًا.

---

(1) سورة البقرة آية : ١١٧ .

(2) البخاري الرقاق (٦٢١٣) ، مسلم الفضائل (٢٢٩١) ، أحمد (٥/٣٣٩) .

(3) صحيح البخاري برقم (٦٥٨٣) ، ورقم (٦٥٨٤) ، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٠) .

والبدعة تشويه للدين، وتغيير لمعالمه. والخلاصة أن البدعة خطر عظيم على المسلمين في أمر دينهم ودنياهم.

أسباب البدعة:

للبدع أسباب كثيرة أعظمها البعد عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله r ومنهج السلف الصالح، الأمر الذي يؤدي إلى الجهل بمصادر التشريع.

ومن أسباب انتشار البدع، التعلق بالشبهات والاعتماد على العقل المجرد وجلساء السوء، والاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدل بها المبتدعة على بدعهم، والتشبه بالكفار، وتقليد أهل الضلال ونحو ذلك من الأسباب الخطيرة.

خطر البدع:

من تأمل الكتاب والسنة وجد أن البدع في الدين محرمة ومردودة على أصحابها من غير فرق بين بدعة وأخرى، وإن كانت تتفاوت درجات التحريم بحسب نوعية البدعة.

ومن المعلوم أن النهي عن البدع قد ورد على وجه واحد في قول النبي r { إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة } [1] [2] . وقوله r { من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد } [3] [4] . فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوع البدعة فمنها ما هو كفر صراح كالطواف بالقبور تقربا إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء

(1) مسلم الجمعة (٨٦٧) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٧٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٥) ، أحمد (٣/٣١١) ، الدارمي المقدمة (٢٠٦) .

(2) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٣٥) ، والدارمي في السنن (١/ ٧٨) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٨) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

(3) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٧٠) .

(4) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧) ، وصحيح مسلم برقم (١٧١٨) .

أصحابها والاستغاثة بهم، ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء على القبور، والصلاة والدعاء عندها، ومنها ما هو فسق ومعصية كإقامة الأعياد التي لم ترد في الشرع، والأذكار المبتدعة والتبتل والصيام قائما في الشمس.

المبحث الثالث

ذم التفرق والاختلاف

الأدلة على ذم التفرق:

لقد ذم الله التفرق ونهى عن الطرق والأسباب المؤدية إليه. وقد جـــاءت النصوص من الكتاب والسنة التي تحذر من التفرق والاختلاف وتبين ســـوء عاقبته وأنه من أعظم أسباب الخذلان في الدنيا، والعذاب والخزي وســـواد الوجوه في الآخرة. قال تعالى: ﴿ ÇÎÈ Ò§ŠÏàtã ë>#‹ã Nçl; 7Í¯»s9'ré& 4 àM»uZÉi t6ø9$# ãNèdu!$y_ $tB ω÷èt/ .`ÏB (qàÿn=tF÷z$#ur (qè%§xÿs? tûïÏ%©!$%x. (qçRqä3s? Ÿwur >#‹ã è@$$Î/ (qè%r䌠öNçGΖä. $yJÎ/ z>#‹yèø9$# (qè%räŒsù ö/ä3ÏZ»yJƒÎ) y‰÷èt/ Lãè?öxÿx.r& öNßgèdqã_ãr ôN¨Šuqó™$# tûïÏ%©!$# $¨Br'sù 4 ×nqã_ãr ‘Šuqó¡n@ur ×nqã_ãr ÙuŠö;s? tPöqtƒ brãàÿõ3s? ÷LäêZä. $yJÎ/ z>#‹yèø9$# (qè%räŒsù öNßgèdqã_ãr ôM¨Šuqó™$# tûïÏ%©!$# $¨Br'sù ÇÊÉÐÈ brà$Î#»yz $pkŽÏù öNèd «!$# ÏpuH÷qu' ’Å"sù öNßgèdqã_ãr ôMÒu‹ö/$# tûïÏ%©!$# $¨Br&ur ÇÊÉÏÈ ﴾ [1] (آل عمران: ١٠٥-١٠٧). قال ابن عباس: (تبيض وجـــوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة).

وقال تعالى: ﴿ «!$# ’n<Î) öNèdãøBr& !$yJ¯RÎ) 4 >äóÓx« ’Îû öNåk÷]ÏB |Mó¡©9 $Yèu‹Ï© (qçR%x.ur öNåks]ƒÏŠ (qè%§sù tûïÏ%©!$# ¨bÎ) ÇÊÎÒÈ brè=yèøÿtƒ (qçR%x. $yJÎ/ Nåkã¥Îm7t^ãƒ §NèO ﴾ [2] (الأنعام: ١٥٩).

فقد دلت الآيات على ذم التفرق وخطورتـــه علـــى الأمـــة في الدنيـــا والآخرة، وأنه سبب هلاك أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، وســـبب كل انحراف وقع في الناس.

وأما السنة فقد جاءت فيها أحاديث كثيرة في ذم التفرق والاختـــلاف والحث على الجماعة والائتلاف فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد وأبـــو داود عن معاوية **t** أنه قام فقال: ألا إن رسول الله **r** قام فينا فقـــال: ﴿ ألا إن من قبلكـــم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة. وإن هذه الأمـــة ستتفرق على ثلاث وسبعين ملة اثنتان

(1) سورة آل عمران آية : ١٠٥ - ١٠٧ .

(2) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

وسبعون في النار وواحدة في الجنـــة وهي الجماعة } [1] [2] . فقد أخبر النبي r بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذيـــن مـــن قبلهم ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي r إما في الدين فقط وإمـــا في الدين والدنيا ثم يؤول إلى الدين. وقد يكون الاختلاف في الدنيـــا فقـــط. وعلى كل حال فإن الفرقة والاختلاف لا بـــد مـــن وقوعـــهما في الأمـــة والرسول r يحذر أمته منه لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة.

الاختلاف والتفرق سبب هلاك الأمم السابقة:

إذا تأملنا القرآن والسنة وجدنا أن سبب هلاك الأمم السابقة هو التفرق وكثرة الاختلاف لاسيما الاختلاف في الكتاب المنـــزل عليهم.

قال حذيفة t لعثمان t (أدرك هذه الأمة، لا تختلف في الكتـــاب كما اختلفت فيه الأمم قبلهم)، لما رأى أهل الشام وأهل العراق يختلفون في حروف القرآن الاختلاف الذي نهى عنه رسول الله r . فأفاد ذلك شيئين:

أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا.

والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مشابهتهم. قال تعالى: { A"R ®$b'Î 7Ï9ºŒ ÇÚÏÈ ‰‹Ïè/ ¥$)Ï© 'Å9 É»GÅ3ø9$# 'Î (qàÿn=tF÷z$# ûïÏ%©!$# bÎ)r ÈÉs)ø9$$Î/ |=»tFÅ6ø9$# } [3] (البقرة: ١٧٦).

وقوله: { $Br #qàÿn=tF÷z$# ûïÏ%©!$# (qè?ré& |=»tGÅ3ø9$# žwÎ) .`ÏB ‰÷èt/ $B ãNèduä!%y` ãNù=Ïèø9$# $Jø‹ót/ óOßgoY÷t/ } [4] (آل عمران: ١٩).

(1) أبو داود السنة (٤٥٩٧) ، أحمد (١٠٢/٤) ، الدارمي السير (٢٥١٨) .
(2) رواه أحمد (٤ / ١٥٢) . وأبو داود (٥ / ٥) وغيرهما بسند صحيح .
(3) سورة البقرة آية : ١٧٦ .
(4) سورة آل عمران آية : ١٩ .

ومن السنة ما رواه أبو هريرة t أن رسول الله r قال: { ذروني مـــا تركتكم فإنما هلك من كان قبلكـــم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائـــهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم } [1] [2] . فقد أمرهم الرسول r في هذا الحديث بالإمساك عما لم يؤمروا به، معلـــلا بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال، ثم الاختلاف على الرســـل بالمعصية أي بمخالفتهم لما أمرتهم به أنبياؤهم.

هل الاختلاف رحمة:

يدعي بعض الناس أن الاختلاف رحمة اعتمادًا على حديث موضـــوع: (اختلاف أمتي رحمة). وهذا القول مردود بالكتاب والسنة والعقل. وقـــد ذكرنا بعض الآيات والأحاديث الواردة في ذم الاختلاف والتفـــرق. وفي ذلك كفاية لمن تدبر وتأمل.

بل قد دل القرآن على أن الاختلاف لا يتفق مع الرحمة بل هو ضدهـــا. قال تعالى:

{ 7 ﴿‘ Mïm§ `B žw) Çْ ÈÑ šú üÿîG÷æ bqä“ƒ Ÿwr } [3] (هود: ١١٨، ١١٩).

والحديث الذي استدل به أصحاب هذه الدعوى باطل ولا يصح بحـــال، ولا يوجد في شيء من كتب السنة. وهذا كافٍ في بطلان هذه الدعـــوى، يضاف إلى ذلك مخالفته للمعقول، فإنه لا يتصورَ عاقل أن الاختلاف رحمة، بعدما عرفنا المفاسد الخطيرة الناتجة عنه من التشاحن والتباغض والتهاجر بـــل وربما القتال والحروب التي كثيرًا ما ثارت بين الناس بســـبب الاختـــلاف، حتى في بعض مسائل الفروع.

---

(1) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٥٨) ، مسلم الحج (١٣٣٧) ، النسائي مناسك الحج (٢٦١٩) ، ابن ماجه المقدمة (٢) ، أحمد (٢/٤٢٨) .

(2) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨) ، وصحيح مسلم برقم (١٣٣٧) .

(3) سورة هود آية : ١١٨ ، ١١٩ .

طريق الخلاص من الفرقة والاختلاف:

ومن المعلوم أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هي الجماعة. والجماعـــة هم الذين يسيرون وفق منهج النبي **r** وأصحابه لا يعدلون عن ذلـــك ولا يحيدون عنه يمينًا أو شمالًا.

قال الشاطبي رحمه الله في الاعتصام: (إن الجماعة ما كان عليه النبي وأصحابه والتابعون لهم بإحسان). فطريق الخلاص هو اتباع منــــهج أهـــل السنة والجماعة قولًا وعملًا واعتقادًا، وعدم مخالفتهم أو الشذوذ عنهم.

قال تعالى: } Br`ç±$Ë$9$S'Aq B`. /è‰ B$?6üû â$%$6G %3 r/Fôô îö Ž ™î‹ @$B3sBŽüû { (1) Ç‰îÈ #Ž•ÅÀ B Nä$™r NŸg_ ¾ii#ô Åçr 4‹q? $B ¾ikqçR (النساء: ١١٥).

وقـــال تعالى: } r&b d»‹ # ÅºŽ Ûº'‌ Å óG$ŠV$ $?qãŽ qr W ?FãŽqã$9 ¡o@ çGù - §y îâ N ã` { (2) ™Ç‰îÈ bqàG? Nà6 ‍=è9 ¾ini Nä8œ r Nä9ºŒ ¾iii‹Î™ (الأنعام: ١٥٣).

وفي السنة ما رواه الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله **r** قال: } لا تجتمع أمتي على ضلالة- أو قال: أمة محمـــد على ضلالة- ويد الله على الجماعة { (3) (4) .

وبهذا نختم القول بأن طريق الخلاص وعنوان السعادة التمسك بكتـــاب الله تعالى، ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنـــزيل من حكيم حميد وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عـــن رسول الله **r** الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فإنهما أي الكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان لعقيدة

---

(1) سورة النساء آية : ١١٥ .

(2) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(3) الترمذي الفتن (٢١٦٧) .

(4) رواه الترمذي (٤ / ٤٦٦) ، وغيره بسند صحيح .

الإسلام وشريعته. فـــأي منهج جانب هذا الطريق فإنه منهج خاسر، فالتمسك بالسنة هـــو ســـبيل المؤمنين، وطريق الوصول إلى مرضاة رب العالمين، والحصن الحصين، وهـــذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمة من بدع المبتدعين وانتحـــال المبطلـــين، وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين. وهو الطريق الذيَ صلحت بـــه أحـــوال الأمة في صدر الإسلام، ولا فلاح لنا ولا نجاح إلا بالرجوع إليه. يقول إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، وما صلح به أولها هو العمل بكتاب الله وسنة رســـوله r ومما ينبغي على المسلم في هذا الجانب أن يكون العمل بالكتـــاب والســـنة مقيدًا بفهم السلف الصالح ومنهجهم لقـــول الله تعـــالى: }

¾ÏîÁ ßr 4ҁq? $B ¾ÏkÏçR ûüÏZÏBsßJø9$# È@‹Î6y™ uŽöîxî ôìÎ6®Ktƒur 3“y‰ßgø9$# ã&s! tû¨üt6s? $B Ï‰÷èt/ .`ÏB tAqß™§9$# È,Ï%$t±ç„ `tBur

ÇÊÊÎÈ #·ŽÅÁtB ôNuä!$y™ur (NΩg_ { [1] (النساء ١١٥).

فاتباع سبيل المؤمنين وهم الصحابة وأتباعهم من الأئمة المهديين بإحسان هو سبيل النجاة نسأله تعالى أن يوفق الأمة الإسلامية للتمسك بكتاب ربها وسنة نبيها r واتباع سبيل المؤمنين. وآخر دعوانـــا أن الحمـــد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(1) سورة النساء آية : ١١٥ .

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس